

نبوات ورؤى

النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة
دراسة في النصوص النبوية والرؤويةفي الكتاب المقدس

الجزء الثاني

القس محسن نعيم

نبوات ورؤى

النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة

دراسة في النصوص النبوية والرؤوية في الكتاب المقدس

الإسخاتولوجي في الكتاب المقدس وعلم اللاهوت

الجزء الثاني

القس محسن نعيم



دار الثقافة

الطبعة الأولى

الكتــاب : **نبوات ورؤى (ج٢)**
المـؤلـف : **محسن نعيم**
صدر عن : دار الثقافة - ص. ب. ١٦٢ - ١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقــم الإيــداع : ٢٦٧٣ / ٢٠١١
الترقيم الدولـــي : 3 - 874 - 213 - 977
المطبعــــــة : مطبعة سيوبرس ت: ٢٦٢٢١٤٢٥/٦
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغـــــلاف : آن مجدي

١٠ / ١٠٩٢ ط١ / ١-١ / ٢٠١١

نعيم/محسن.
نبوات ورؤى - النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة: دراسة في النصوص النبوية والرؤيوية في الكتاب المقدس الإسخاتولوجي في الكتاب المقدس وعلم اللاهوت/ محسن نعيم.- القاهرة: دار الثقافة، الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، ٢٠١١.
مج ٢ ؛ ٢٢سم.
تدمك ٣ ٨٧٤ ٢١٣ ٩٧٧.
١- اللاهوت العلمي (مسيحية).
أ- العنوان

٢٧٦,١

إهداء إلى

ابني المحبوب مُحب

لحبه لكلمة الله، وشغفه لفهمها بعمق

مقدمة الدار

على مر الأجيال والعصور ظلت النبوات محور اهتمام بالغ من قِبَل الكثيرين، إذ يشتاق الإنسان إلى استكشاف الغد المجهول أو تلمس الحقائق وسط عالم المستقبل الذي يلفه الغموض. كذا فإننا كثيرًا ما نحاول تفسير حدث ما بالاستناد إلى نبوة قديمة، وبذلك تصير النبوة هي الشفرة السرية القادرة على فك رموز الأحداث.

قد زاد مؤخرًا شغف الكثيرين بالنبوات والرؤى الكتابية نتيجة لتعمد البعض أن يخلطوا بين النصوص الكتابية وبين الأفكار والأهواء السياسية، مما أوجد مشاعر ومواقف متناقضة تجاه النصوص الكتابية بوجه عام والنصوص النبوية والرؤوية تحديدًا.

وفي خضم هذه التفاعلات المتلاحقة وضع الكاتب على قلبه مهمة البحث في النبوات والرؤى الكتابية، وخرج إلينا بهذه الدراسة المتعمقة التي تتناول النبوات والرؤى الكتابية، فيشرحها ويحلل البعد التاريخي والبعد النبوي لكل منها. وهو بذلك يساعد القارئ على إدراك قيمة ومغزى النبوات والرؤى الكتابية وكيف يمكن فهمها بالطريقة الصحيحة دون مبالغة أو تلفيق ودون تجاهل أو تهميش.

ودار الثقافة تفخر بتقديم هذا العمل البحثي الضخم في جزئه الثاني، على أن تستتبعه بأجزاء أخرى. على رجاء أن يسهم هذا الكتاب في مساعدة القارئ العربي أن يتخذ موقفًا صحيحًا من نبوات ورؤى الكتاب المقدس لكي يدرك ما الذي يريد أن يقوله الله لنا هنا والآن من خلال كلامه الذي يتواصل معنا بعمق ويغير باقتدار.

دار الثقافة

المحتويات

تقديم الكتاب

اعتاد الدارسون أن يقفزوا من المعنى اللغوي لكلمة إسخاتولوچي (أخير) إلى العقيدة في الإسخاتولوچي على كونها الأمور المختصة بمجيء المسيح ثانية ونهاية العالم.

في هذا الكتاب خرج القس محسن نعيم عن العرف السائد واستطاع في دراسة عميقة، متكاملة أن يتتبع جذور التعليم الإسخاتولوچي ليس في العهد الجديد فقط بل في العهد القديم أيضًا، موضحًا ارتباط التعليم عن الأمور الأخيرة (الإسخاتولوچي) بالرجاء في قدوم يوم الرب الذي يتدخل الله فيه ليضع نهاية الشر، ونصرة على الظلم والقهر، ليحقق ارتباطًا أقوى وأمتن بالله حيث يسكن الله وسط شعبه ووسطهم. وقد استطاع الكاتب أن يأخذنا في رحلة مشوقة لنرى تطور الفكر الإسخاتولوچي في التوراة والأنبياء قبل السبي وأثناءه وبعده.

ثم يجول بنا الكاتب في جنبات العهد الجديد موضحًا كيف يرتبط الإسخاتولوچي بمجيء المسيح الأول إتمامًا للنبوات وبمفهوم ملكوت الله وكذلك بالوعد والنبوات المرتبطة بحلول الروح القدس على كل بشر.

وفي المقابل، لم يهرب الكاتب من المشاكل العويصة المرتبطة بعقيدة الإسخاتولوچي، سواء فيما يحدث بعد الموت أو في ما يرتبط بمجيء المسيح ثانية ونهاية العالم والنظريات المختلفة المتعلقة بذلك كالمُلك الألفي وغيرها. ويختتم الكاتب دراسته بعرض رائع للفكر المشيخي في عقيدة الإسخاتولوچي.

هذا الكتاب يجب أن يُقتنى في مكتبة كل دارس وخادم مسيحي جاد. تهنئة للكاتب ولدار الثقافة وللقارىء المسيحي العربي.

د.ق. عاطف مهني المعصراني

عميد كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة

مقدمة المؤلف

* ما معنى الإسخاتولوچي؟
* هل هناك فكر إسخاتولوچي واضح في العهد القديم؟ وما هو التطور التاريخي لهذا الفكر؟
* متى وأين يملك المسيح؟ وما هي طبيعة هذا الملكوت؟ وما هي معوقات ومقومات العضوية في هذا الملكوت؟
* الكنيسة وإسرائيل.. هل من علاقة؟
* هل من علاقة بين هجرة اليهود إلى إسرائيل والمجيء الثاني للمسيح؟
* ما هي علامات المجيء الثاني للمسيح وسوابقه التاريخية؟
* ما هو فكر اليهو مسيحين في الإسخاتولوچي والمجيء الثاني للمسيح؟ وما علاقة هذا الفكر بإسخاتولوچي ما بين العهدين؟
* ما هو المنظور الإنجيلي المشيخي للإسخاتولوچي والمجيء الثاني للمسيح؟
* أي أُناس نحن في موقفنا من المجيء الثاني للمسيح؟

هذه الأسئلة وغيرها نحاول الإجابة عليها في هذا الكتاب، وهو الجزء الثاني من سلسلة «نبوات ورؤى»، وقد خصصناه لدراسة الإسخاتولوچي في الكتاب المقدس وعلم اللاهوت، وتطوُّر هذا الفكر عبر مراحل التاريخ.

ويأتي هذا البحث في إطار دراستنا الموسعة للنصوص النبوية والرؤوية في الكتاب المقدس، إيمانًا منا بالأهمية الكبيرة لفهم الإسخاتولوچي حتى نفهم النصوص النبوية والرؤوية.

وإن كان مفكرون كثيرون قد أثروا المكتبة المسيحية العربية بدراسات جادة عن المجي الثاني للمسيح، إلا أنه ندرت الدراسات التي تتناول الإسخاتولوچي عمومًا. لذلك حاولت الإسهام بجهدي المتواضع فخصصت البابين الأولين لدراسة الإسخاتولوچي في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وعلم اللاهوت. بينما حاولت في الباب الثالث تغطية قضية المجيء الثاني للمسيح، إذ استعرضت النظريات المختلفة في الموضوع، وركزت على المنظور الإنجيلي المشيخي. وقد جمعتُ بين الإسلوب الأكاديمي والعملي في الدراسة.

كنا قد أشرنا في مقدمة الجزء الأول من هذه السلسلة أننا نتوقع بمشيئة الله أن تصدر الدراسة في ثلاثة أجزاء، لكننا بعد تفكير متأنٍ رأينا التوسع في الدراسة لتصدر في ثمانية أجزاء. وقد صدر الجزء الأول ونحن نلتقي الآن مع الجزء الثاني.

وأنا إذ أضع هذا الكتاب بين يدي الرب، أصلي أن يباركه فيكون سبب بركة لك أيها القارئ العزيز، كما يكون عامل بناء ونهضة للكنيسة في عالمنا العربي. ولنكون منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب.

القس محسن نعيم

الباب الأول: الإسخاتولوچي في العهد القديم وما بين العهدين

الفصل الأول : الله القدوس بين شعب مقدس في مكان مقدس

الفصل الثاني : الإسخاتولوچي في العهد القديم

الفصل الثالث : الإسخاتولوچي في فترة ما بين العهدين

مصطلح «إسخاتولوچي» مشتق من الصفة اليونانية «εσχατοφ اسخاتوس» التي تعني «أخير» أو «نهائي» Final & Last. وقد أُستخدم هذا المصطلح في بداية القرن التاسع عشر للحديث عن الأمور الأخيرة. ويشير لوقت ما في المستقبل عندما يتغير مسار التاريخ للوضع الذي يمكن أن يقال عنه: «الحالة أو الحقيقة الأبدية الجديدة»[١].

والكلمة اليونانية لها استخدامات متعددة إذ تشير إلى الجزء النهائي من الوقت، وآخر جزء من المال، والمصير الشخصي الأبدي، والحياة الآخرة، والأمور الأخيرة على نطاق عالمي، والتغيير العالمي الجذري[٢]، وهي تتضمن عودة المسيح في مجد عالمي، ودينونة العالم، وتحقيق أو إكمال ملكوت الله، والقيامة العامة للأموات، والخليقة الجديدة لكل الأشياء. أحداث النهاية هذه ستضع نهاية للتاريخ إذ ستتغير كل الأشياء وتزول. إلا أن إبعاد هذه الأحداث إلى اليوم الأخير جرَّدها من معناها المباشر والارتقائي والأخلاقي للأيام التي وقعت فيها، وبذلك لا تحمل أيّة عَلاقة لعقائد الصَّلب والقيامة وتمجيد وسيادة المسيح. لذلك يرى يورجن مولتمن «Jurgen Moltman» أن الإسخاتولوچي هو عقيدة الرجاء المسيحي، من البداية إلى النهاية، وليس فقط في الخاتمة. فالمسيحية إسخاتولوچية، فهي الرجاء. ومن ثم فهي أيضًا ثورية revolutionizing ومُغيِّرة tranforming للحَاضر. فالاسخاتولوچي ليس مجرَّد عنصر واحد من المسيحية بل هو قلب الإيمان المسيحي ككل، هو المفتاح الذي فيه يَقُوم كلُّ شيء فيه، هو اللون الذي يلون كل شيء هنا على الأرض في ضوء اليوم الجديد.

وقد انبثق الإيمان المسيحي من قيامة المسيح المصلوب، وامتدَّ إلى الوعود بالمستقبل العالمي للمسيح، ومن ثم فالإسخاتولوچي هو وصف لكل الإيمان المسيحي، لكل الوجود المسيحي ولكل الكنيسة[٣]. ويؤيد يورجن مولتمن هذا الرأي بقوله: «إن الإسخاتولوچي طريقة لفهم التحقيق الكامل للخلاص كحدث مستقبلي أو كسلسلة من الأحداث، ومع ذلك فهي بشكل ما تنتمي وترتبط بالحاضر. فالحاضر يمكن أن يعمل دائمًا كمرحلة لافتتاح وتدشين inauguration الدراما الإسخاتولوچية، والمستقبل يمكن أن يكون متداخلاً مع الحاضر. لأن التأكيد على التوقع الوشيك للنهاية غالبًا ما يزداد في الأوضاع المُعَاكسة الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية، وينقص خلال فترات السلام والازدهار والنجاح. لذلك فإن الإسخاتولوچي له صور متعددة تتطلب دراسة مفصلة[٤]. فالعهد القديم مثلًا لم يتكلم عن نهاية العالم، بل قدّم وعودًا عن نهاية الخطية (إر ٣٣: ٨) والحرب (مي ٤: ٣) والمجاعات (حز ٣٦: ٣٠) والقتل وأي أذى بدني (إش ١١: ٩). فالإسخاتولوچي في العهد القديم هو «نهاية الشر»[٥]. ومشكلة التعريف التقليدي للإسخاتولوچي – كعقيدة الأمور الأخيرة – هي أنه ينجرف في اتجاه الثنائية الزمنية temporal التي تقسم الزمن إلى الدهر الحاضر الشرير، والدهر الآتي المجيد، وأن الإسخاتولوچي هو التغيير الجذري العنيف للعصر الحاضر الشرير إلى العصر الآتي المجيد، دون العمل على إصلاح الدهر الحاضر. فالتاريخ لا يمكن أن يُفدى أو يتعدل بل سيتغير تغيُّرًا فجائيًا عنيفًا وجذريًا. إلا أن الإسخاتولوچي ليس هو الحقائق البعيدة فقط التي سوف تحدث وتظهر في آخر الزمن، ولكن تلك التي تبقى باستمرار في المُقَدَّسين الذين يعيشون دائمًا في الحاضر بحسب الناموس والأنبياء. فالإسخاتولوچي هو رجاء العهد القديم الذي تحقَّق جزئيًا في مجيء المسيح الأول، أما اكتماله النهائي سيكون في نهاية الزمن. وإحدى الطرق لفهم ذلك هي تتبع فكرة القداسة في العهدين القديم والجديد. فالمفهوم أنَّ الله القدوس بين شعب مقدس في مكان مقدس، كالرجاء الاسخاتولوچي الثابت في الكتاب المقدس.

الفصل الأول: الله القدوس بين شعب مقدس في مكان مقدس

أولًا: صورة العهد القديم[٦]

إن الفردوس المُستَرَد في سفر الرؤيا هو عودة بوضوح إلى قصة سفر التكوين. فالسرد الكنسي التوراتي يبدأ بأن الله كان يتمتع بصداقة مع الإنسان غير الآثم، الذي خُلق في بيئة لا تشوبها شائبة. وينتهي السرد مع الله الكلي القدرة وحياة الخروف بين المؤمنين في المدينة المقدسة التي لا وجود فيها لأي شخص غير طاهر.

وفي مراحل عدة بين البداية والنهاية حاول الله إعادة خلق هذه الصورة. وكانت أول مرة كشف فيها الله عن نفسه كالإله القدوس كان في جبل حوريب لموسى، ثم في أحداث مثيرة بعد ذلك يكشف الله قداسته أكثر في نفس الجبل لبني إسرائيل، ويعلن لهم أنه اختارهم له مملكة كهنة وأمة مقدسة (خر ١٩)، ويقدم لهم وصاياه العشر بمحتواها الأخلاقي المتسامي الذي يُظهر قداسة الله (خر٢٠). فقد كان قصد الله القدوس أن يسكن بين شعبه، لكن الخطر يكمن في كيف يسكن الله القدوس بين شعب أثيم، فإن قدسية الله تُهلكهم. لذلك وضع الله ثلاث طرق أو ثلاث حلول:

١- خيمة الاجتماع: يقول الرب: «**فيصنعون لي مَقدِسًا لأسكن في وسطهم**» (خر ٢٥: ٨). قبل إنشاء الخيمة «**كان الله يسير أمام بني إسرائيل نهارًا في عمود سحاب ليهديهم الطريق، وليلًا في عمود نار ليضيء لهم. لكي يسيروا نهارًا وليلًا. لم يبرح عمود السحاب نهارًا وعمود النار ليلًا من أمام الشعب**» (خر ١٣: ٢١-٢٢). لكن عندما كانوا يتوقفون كان لابد أن يبقى الله عند مسافة آمنة. وهكذا يجب على موسى أن يبتعد كفاية عن المعسكر لكي يتمتع بمحادثات منتظمة مع الله في خيمة الاجتماع (خر٣٣: ٧-١١). إلا أن هذا لا يُرضي الله الذي يتمنى أن يكون مركز كل احترام في حياة شعبه. إنه يريد أن يكون بينهم وليس على هامش حياتهم العامة. فكان لابد من إنشاء مكان نظيف ومكرس تمامًا في منتصف المعسكر ليحل الله فيه. ووُضِعَت قواعد حازمة لطريقة الاقتراب إلى الخيمة. ويصف كاتب سفر الخروج مبادرة الله التي تعبر عن رغبته المقدسة أن يسكن بين شعبه بقوله: «**ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن. فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع، لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن**» (خر٤٠: ٣٤-٣٥).

٢- أمر الرب شعبه أن يكونوا مُقَدَّسين لأنه هو قدوس (لا ١١: ٤٤-٤٥، ١٩: ١-٢). فالشعب الذي دخل في علاقة عهد مع الله القدوس ينبغي أن يكون مقدسًا كإلهه القدوس. وهذه القداسة تشمل الحياة الروحية (عدم التأثر بالديانات الكنعانية الوثنية). والحياة الجنسية ، والحياة الاجتماعية (لا ١٩: ١٨). وهناك ما يسمى بالشيمع «اسمع يا إسرائيل» (تث ٦: ٤-٥) توضح أن الله يريد أن يكون شعبه مقدسًا، ويحبونه من كل القلب والنفس والقدرة.

والتعريف الأكثر انتشارًا للقدسية هو الانفصال عن العالم والانفصال إلى الله للأغراض المقدسة. وهكذا فإن التوراة توضح بشدة أن الله القدوس يريد أن يسكن بين الشعب المؤمن المقدس.

٣- يريد الله أن يسكن في مكان مقدس. فليس كافيًا أن تكون الخيمة مقدسة، فالمعسكر (المحلة) أيضًا يجب أن يكون مقدسًا. فقد كان يجب على بني إسرائيل أن يُبعِدوا كل مصادر النجاسة عن المحلة حيث يسكن الله (عده: ٣). فالمعسكر يجب أن يكون مقدسًا ونظيفًا (تث٢٣: ١٢-١٤).

والسبب الجوهري لكل هذه الإجراءات لكي يسكن الله القدوس بين شعب مقدس في مكان مقدس، يرجع إلى أن الله خلق الإنسان على صورته، فالإنسان الفرد هو الصورة الحقيقية لله. ويرى اللاهوتيون أن حقيقة الثالوث القدوس تقدم طريقة مختلفة لفهم الأمر، فحيث أن الله واحد في جوهره، هو ثلاثة أقانيم متحدة في الجوهر، فإن صورته هي الشعب المتحد معًا. فشعب إسرائيل المقدس هو صورة الله، ويسوع صورة الله المتجسد، وأخيرًا الكنيسة هي صورة الله في العالم.

فكون إسرائيل مختارًا من الله كمملكة كهنة وأمة مقدسة يعني أنه مدعو من الله كوسيط بين الله والأمم. وهكذا يتحقق وعد الله لإبراهيم أن في نسله تتبارك جميع أمم الأرض (تك ١٢). فإن إسرائيل مُجْتَمِعَة «كأمة» هي مدعوة لنموذج في حياة الله. أن تظل تحيا محبة وصلاح وعدل الله ليكونوا رسالة مجسدة للأمم. إلا أن بني إسرائيل لا يمكنهم أن يكونوا مملكة كهنة إلا بمقدار كونهم أمة مقدسة. فلو أنهم غير متميزين عن جيرانهم في سلوكهم الروحي والاجتماعي، فإن إرسالية الله تموت.

هيكل مقدس في المدينة المقدسة في الأرض المقدسة، يحل محل الخيمة في المعسكر المقدس. فالتجلي الإلهي في تكريس هيكل سليمان هو توسيع وتطوّر للفكرة التي تأسست في سيناء.

في السنوات التالية استعمل الأنبياء المجاز لتوصيل الرجاء الإسخاتولوجي بالنظر إلى الماضي. فقد شرحوا المستقبل كأنه عدن جديدة (إش ١١: ٦-٨، ٥١: ٣، حز ٣٦: ٣٥) وكخروج جديد (إش ٤: ٥، ٥٢: ١١-١٢). أو كمملكة داود جديدة (إش ٩: ٦-٧، ١١: ١-٣، إر ٢٣: ٥). في كل هذه الصور يُحَرِّر الله شعبه ثانية، ويعيد النظام في المجتمع، وسيفهم الشعب الناموس ويحفظه (إر ٣١: ٣٣).

وكان الأنبياء أثناء فترة الملكية يدعون إسرائيل للعودة إلى التوراة، والعودة إلى دعوتهم أن يكونوا أمة مقدسة في المكان المقدس، يسكن بينهم الله القدوس. فاختيار إسرائيل المتحدة كمملكة كهنة وأمة مقدسة هو القضية الأساسية، فلو أنها فشلت في دعوتها، فإن غرض الله الخلاصي للأمم سوف يُحبَط. فعن طريق المحافظة على مقاييس ومبادئ الله في حياتها يمكن لإسرائيل أن تقدم معرفة الله الحقيقية للآخرين. والطريق الوحيد هو الطاعة المقدسة للتوراة والابتعاد الحاسم عن القيم الدينية والأخلاقية للأمم الوثنية.

إن كلمات وأفعال الأنبياء تهدف أن تبين الطرق المتنوعة التي تُعرِّض قداسة إسرائيل للشُّبهة، وهي تتضمن:

١- الوثنية التي تُفسد وتُسيء إلى تكريس المحبة الكلية لله. إنها تكسر أول وصية من الوصايا العشر «لا يكن لك

آلهة أُخرى أمامي» وتكسر أيضًا وصية عظمى «أن تحب الرب إلهك من كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك». ولأن المحبة هي قلب علاقة العهد، فإن الأنبياء يصورون الوثنية كزنا (هو ٤: ١٢، ٩: ١، إر ٥: ١١، ١٣: ٢٧). وكخيانة للزواج الذي حدث في سيناء بين يهوه وعروسه إسرائيل. ويكمن التناقض هنا في أن الله أمين في مقابل عدم أمانة إسرائيل التي قُصِدَ لها أن تكون صورة الله.

٢- الشر والإثم الذي يشوه الصورة الأخلاقية لشخصية الله التي قُصِدَ لإسرائيل أن ترسمها وتقدمها (هو ٤: ١-٣، مي ٦: ١٠-١٢، إر ٩: ٤-٦). ويكمن التناقض هنا أن الله صالح بينما إسرائيل آثمة.

٣- الظلم الذي يُفسد النظام الأخلاقي للمجتمع الذي قُصِدَ أن يُظهِر نظام الخليقة المُسترد في العلاقات بين الناس. فالظلم يُفسد أي إمكانية لإصلاح الخطأ (عا ٥: ١١-١٢، مي ٣: ١-٣، إر٥: ٢٨). و «البر» هو الكلمة التي تشرح هذه العلاقات الصحيحة والتي تسير جنبًا إلى جنب مع العدل (عا ٥: ٢٤، إش ٢٨: ١٧، ٤٨: ١٨، ٥٨: ١). والتناقض هنا أن الله عادل بينما إسرائيل غير عادلة.

في كل هذا يظهر العائق الرئيسي لتتميم آمال الله في تاريخ إسرائيل الذي نتج من التأثر المُفسِد لوثنية الأمم. وقد أكد العهد القديم أن تعليم الأطفال التوراة هو الدواء ضد الفساد (تث ٦: ٤-٦، مز ١١٩، أم ٢٢: ٦). والتأديب الإلهي هو وسيلة الله القدوس لتقديس الأفراد (أم ٣: ١١-١٢) والأمة (تث ٨: ٢-٥). وعندما ينقطع صوت التعليم الكتابي فإن دينونة الله تُعلَن بواسطة الأنبياء، لترد إسرائيل إلى حالتها السابقة. فالله يسمح بالمجاعة والقحط والوباء والسيف ثم السبي بهدف تطهير وغسل الأرض مما وممن نجسوها. فالسبي يطهر الشعب بترك البقية التي ستكون ملائمة وأهل لإعادة سكن الأرض المقدسة. لذلك فالتطهير والعودة للأرض هو تتميم للرجاء الإسخاتولوجي للأنبياء، ليس للمستقبل البعيد، لكن لوقت محدد. وبالتالي فإن الحسابات المعقدة التي تحاول أن تطابق بدقة متى توقع الأنبياء أن يأتي ملكوت الله للأرض في ملئه وكماله، هذه الحسابات مضيعة للوقت.

ويوم الرب في العهد القديم هو أي يوم يجيء الرب فيه، عندما يتدخل الله العلي في التاريخ ليدعو كل العصاة والمتمردين إلى الحساب. إن دينونة الله صحيحة وعادلة وقائمة كل الأوقات. والله يمكن أن يتدخل في التاريخ في أي وقت ويعيد تأسيسه (إش ٦٤: ١).

ويُصوَّر الأمر الأساسي للخلاص والتحرير كعودة صادقة إلى يهوه، ورفض الظلم في الحياة العامة (عا ٥: ١٤- ١٥، هو ١٠: ١٢، يؤ ٢: ١٢، صف ٢: ١-٣، إش ١: ١٦-٢٠، إر ٣،٤). وهذا سيعيد سعادة إسرائيل التي وُعِدَ بها في العهد (تث ٣٠: ٣) وردها الأنبياء (عا ٩: ١٤، إر ٢٩: ١٣- ١٤) وبالمزامير (مز ١٢٦).

على أية حال، فإن أعمال التوبة القومية قليلة وقصيرة الأمد. فبعد الكارثة التي حلت على أورشليم، يحدد الأنبياء مفتاح تتميم الرجاء الإسخاتولوجي في العهد الجديد الذي توقعه إرميا (إر ٣١: ٣١- ٣٤). وعندما يحدث هذا فإن الله سوف يضع شريعته داخل الشعب ويكتبها في قلوبهم، وبدلًا من كراهية وصايا الله كواجب مؤلم، فإن الناس سوف

يريدون أن يحفظوها ويعملوها، وهذه الرغبة لا تأتي من الخارج بل من داخلهم. وقد أظهر حزقيال فكرة مشابهة (٣٦: ٢٢-٢٦) إذ رأى أن عودة إسرائيل من بين الأمم ستجلب تغيرات روحية عديدة كتطهير إسرائيل من كل نجاساتها ومن كل أوثانها، وتغيير إسرائيل إلى القلب الطيّع (قلب لحمي بدلًا من الحجر)، وسكنى روح الله في إسرائيل. والبر الذي سيسكن فيهم (أن الله سيجعلهم يسيرون في شرائعه). والعلاقة الصحيحة مع الله (ستكونون لي شعبًا وأنا أكون إلها لكم). وحزقيال لا يتخيل كل هذا في المستقبل البعيد، لكن كأمور تالية لعودة إسرائيل من السبي البابلي. وكلمات إرميا أيضا محصورة في الأصحاحات (٣٠-٣٣) التي تتحدث عن عودة إسرائيل. والحديث عن التقديس للشعب ليصير شعبًا مقدسًا هنا والآن ليلائم الإله القدوس، على الأقل في المستقبل القريب.

إن تتميم الرجاء الإسخاتولوچي يمكن أن يُوضَّح بدقة بهذه الطريقة: إنه سكنى الله القدوس وسط شعب مقدس في أرض مقدسة (يؤ ٢: ٢٧، ٣: ١٧، إش ١٢: ٦، ٦٠: ١٩-٢١) والنص المحوري لهذه الفكرة هو (حز ٣٧: ٢٥-٢٨). هؤلاء الذين عادوا من السبي، أُحيوا وتقدسوا بروح الله، وأُهِّلُوا لسكنى الله القدوس في أرضهم في وسطهم لكي ترى الأمم المجاورة كيف يكون الله.

إن نتيجة تقديس إسرائيل ستكون هي إنجاز غرض الله المُرسَلي لإسرائيل، وسُيعلَن مجد الله في كل العالم (إش ١١: ٩، ٤٠: ٥). وستَعرِف الأمم سلطانه، وستشترك في عبادَته (مي ٤: ١-٤، إش ٦٦: ١٨-٢١). ولكن مع الأسف فإن إسرائيل فشلت في أن تعيش وتتمتع بامتيازاتها وتقوم بمسؤولياتها كعبدة الرب، وكمعلنة للعهد الجديد. لذلك فإن الرجاء الإسخاتولوچي للقداسة يصل إلى تحقيقه الكامل في المسيا.

ثانيًا: صورة العهد الجديد(٧)

تتكرر شهادات البشائر، لاشتياق الله لشعب يعيش حياة مقدسة، بصور متنوعة. ففي إنجيل متى، يطلب المسيح من تلاميذه برًا أعظم من بر الكتبة والفريسيين (مت ٥: ٢٠). لأنه أكمل الناموس والأنبياء (مت ٥: ١٧). كما أن الآمال الإسخاتولوچية عن القلب الجديد والروح الجديد في ظل العهد الجديد الذي تنبأ عنه كل من إرميا وحزقيال، هذه الآمال تحققت عندما أخذ يسوع كأس الإفخارستيا (العشاء الرباني) وأعلن: «**هذا هو دمي الذي للعهد الجديد**» (مت ٢٦: ٢٨). ويرسم مرقس صورة لحياة شعب الله المقدس الذي يجمعه «المقدس من الله» "The Holy one of God" (أي يسوع) والذين يتبعونه في طريقه إلى الصليب، وإنكار الذات، وحمل الصليب ونموذج حياة العبد. ويسجل لوقا نبوة زكريا: «**أن يعطينا (الله) إننا بلا خوف، منقذين من أيدي أعدائنا، نعبده بقداسة وبرٍّ قدامه جميع أيام حياتنا**» (لو ١: ٧٤-٧٥). وفي البشارة الرابعة، مكان سكنى الله بين شعبه ليس هو خيمة أو هيكل، لكن هو جسد الكلمة المتجسد، الذي خيّم بيننا، وأعلن مجد الله (يو ١: ١٤). ويشير في (يو ٢: ١٩-٢١) أن جسد يسوع المنقوض والمُقام يحل محل هيكل هيرودس. هذه الفكرة ازدادت وضوحًا في حديث المسيح مع المرأة السامرية (يو ٤: ٢٣). لقد حاولت المرأة أن تختفي خلف الجدل القديم حول الجبل الصحيح الذي يجب العبادة فيه لله. لكن هذه المحاولة انهارت أمام توضيح

يسوع أن لا جبل جرزيم (في السامرة) ولا جبل الهيكل في أورشليم هو المكان الإلهي المحدد للعبادة.

وحيث أن يسوع يجمع في شخصه حضور الله المقدس، ومكان السكنى المقدس، فمن هم الشعب المقدس؟ إن الشعب المقدس هم الذين يحبون يسوع ويحفظون وصاياه، فحفظ الوصايا هو الوسيلة التي بها يبرهنون محبتهم والبقاء في علاقة وشركة حميمة مع يسوع. واستعارة يسوع لفكرة الأغصان الثابتة في الكرمة (يو ١٥) تزداد قوة في صورة السكنى المتبادلة للآب والابن والمؤمنين (يو١٧). وفي الحقيقة ليست هناك عبارة تُظهر رغبة الله القدوس أن يسكن بين شعب مقدس أكثر من لغة يسوع في صلاته الشفاعية: «**لستُ أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضًا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني**» (يو ١٧: ٢٠-٢٣).

من الشعب المليء بالفشل والأنانية وعدم الأمانة، يربط يسوع جماعة العهد الجديد. ففي (أع ٢) يسجل لوقا كيف نُسجت (التحمت) هذه الجماعة معًا في مكان واحد، متوقعة ومنتظرة الانسكاب الإسخاتولوجي للروح القدس على كل جسد، كما تنبأ يوئيل النبي (يؤ ٢). والروح (البارقليط) ليس فقط معهم، لكنه فيهم مُحققًا كلمات يسوع: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يو ١٤: ١٧). وهو بينهم كأساس لشركتهم مع بعضهم البعض، وهو الذي بقوته يطهر قلوبهم بالإيمان. هذه الحالة المقدسة كانت مهددة بكذب حنانيا وسفّيرة. إلا أن الروح القدس يعمل بقوة ليقمع ويستأصل الفساد كما فعل يهوه نفسه في أيام يشوع، عندما أخطأ عاخان بن كرمي وشوّه قداسة شعب الله (يش ٧).

ويبرز الرسول بولس في رسائله كفاية موت المسيح وقيامته للتعامل مع الخطية في كل صورها، على النقيض من عجز الناموس. والنصائح الأخلاقية تركز على تنوع الطرق والوسائل التي دُعِيَ المسيحيون أن يعيشوا بها طبقًا لوضعهم المتميز كأعضاء في جسد المسيح، وكحجارة حية في الهيكل المقدس، الذي هو مكان سكنى الله الروح القدس (أف ٢: ٢٢). والعبارة التي تأتي في بداية ونهاية رسالة رومية تُبرِز أفضلية إنجيل المسيح على التوراة. إن هدف الإنجيل يختص بحياة المسيح (حدث المسيح Christ – event) كما سُلِمَ للرسل «لإطاعة الإيمان» (رو ١: ٥، ١٦: ٢٦). أي ليُحدث طاعة أمينة لله.

لم تكن لدى كاتب الرسالة إلى العبرانيين أية تحفظات على تفوق وسمو العهد الجديد، ومن خلو المسيح التام من الخطية (عب ٤: ١٥) لأنه هو الإله الكامل (١: ٣) والإنسان الكامل (٢: ١٧) الابن رئيس الكهنة. ولا عن الفاعلية الكاملة والتكفير التام للخطية (٩: ٢٦) ولا عن اكتمال تطهير وتقديس المؤمنين الذي تحقق بموت المسيح «**لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المُقَدَّسين**» (١٠: ١٤). كما يدعو قرَّاءه أن يطرحوا الخطية ويتبعوا خطى يسوع (١٢: ١-٣). ويقبلوا تأديب الله الأبوي (١٢: ٥-١١) ويسعوا نحو السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب (١٢: ١٤).

فما فعله يسوع لهم يجب أن يجعلوه فيهم، إنهم يجب أن يتغيروا حقًا.

ويؤكد يوحنا الرائي حقيقة السُكنى المقدسة في الرسائل التي أرسلها إلى الكنائس السبع في آسيا (رؤ ٢-٣). وهدف رسالة يوحنا الأولى هو حفز القراء أن لا يخطئوا. والخطوط الفاصلة بين النور والظلمة التي رسمها الرؤيون اليهود واضحة فالساعة الأخيرة تتميز بظهور أضداد المسيح (١يو ٢: ١٨). فالشيطان وأولاده في جانب، والله وأولاده في الجانب الآخر. الخطية هي طبيعة المجموعة الأولى، بينما ليست هي طبيعة المجموعة الثانية. ويستمر نسل الله في أبنائه الذين ولدوا ثانية (يو ٣). وهكذا فإن الحياة المقدسة ليست فقط مطلوبة بل أيضًا طبيعية لأبناء الله الذين يحملون طبيعته. ورسائل بطرس أيضًا لديها الكثير عن ضرورة أن يعيش شعب الله حياة مقدسة. ففي الرسالة الثانية هناك عبارة أخاذة عن الهروب من الفساد الذي في العالم بسبب أن المؤمنين صاروا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٣-٤). أي الكينونة في المسيح أو الملء بالله أو امتلاك بذرة الله فينا. ووقت تحقيق هذه الخبرة غامض في هذه الآيات لأن كلمة (الوعود) ربما تكون حاضر أو مستقبل. إلا أن الرسول في موضع آخر يُظهر أن وقت التحقيق في الحاضر متضمنًا إشارة لقرب مجيء يوم الرب (٢بط ٣: ١١-١٢).

مما سبق نخلص: إلى أنه من الممكن أن نتحدث عن نوعين من القداسة الإنسانية: قداسة منسوبة Imputed (محفوظة لأجلنا في السماء)، وممنوحة Imparted (مُعطاة جزئيًا لنا لنتمتع بها هنا والآن). ويقول T. Purkiser: «إن الله وحده قدوس في ذاته، وأي قداسة أُخرى تنبع من العلاقة معه». أي أن الله يُعطي نفسه بالكامل لشعبه وعلى شعبه أن يتجاوب معه بالكامل. لقد أعطى الله ناموسه بل أعطى ابنه وروحه، ومن الجانب الآخر يطلب محبةً من كل القلب له ولقريبنا هنا والآن.

بالإضافة إلى العلاقة الصافية معه، سواء المُعطاة (الموهوبة) أو المطلوبة، فإن الله يضع مطالب أخلاقية أخرى على شعبه. فإن عبادة الله تتضمن المقبولية لديه، تتضمن الأيدي النقية والقلوب الطاهرة. العلاقة مع الله تتطلب الانسجام والتناغم معه، وأن نكون قديسين كما هو قدوس. والإرسالية لأجل الله تتطلب التشبه به.

هذا الاستعراض السريع لبعض الصور والمفاهيم لتعليم الكتاب المقدس عن القداسة، هي محاولة لإظهار ما يريده الله دائمًا: لسكنى الله القدوس بين شعب مقدس في مكان مقدس. وقد تحركت الرحلة عبر الكتاب المقدس من جنة عدن إلى خيمة الاجتماع في سيناء مرورًا بالهيكل. وبالتجسد اختار الله القدوس الشخص المقدس والمكان المقدس (المسيح) أن يسكن بين شعبه. وفي مرحلة ما بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، اندمج الشعب المقدس والمكان المقدس معًا في الكنيسة. لكن قصد الله يمتد في سفر الرؤيا مع مسكن الله القدوس وسط شعبه المقدس في المكان المُطلق القداسة، أورشليم الجديدة النازلة من السماء (رؤ ٢١: ٢٢-٢٧).

فالله القدوس بين الشعب المقدس في المكان المقدس، هو الرجاء الإسخاتولوچي الثابت في الكتاب المقدس، وهدف الله النهائي لعالمه، ليس فقط في المستقبل البعيد بل هنا والآن وباستمرار.

الفصل الثاني: الإسخاتولوچي في العهد القديم

أولاً: مصادر إسخاتولوچي العهد القديم

مَنْ يتابع تطور الفكر الإسخاتولوچي في العهد القديم والفكر اليهودي يلاحظ تعدُّد المصادر والتقاليد. هذه المصادر تؤكد أن الله سيعمل على نحو حاسم في المستقبل وأن الأحوال ستتغير. إلا أن هذه المصادر والكتابات النبوية يجب أن تُفَسَّر في ضوء الأحداث المحددة التي صِيغَت في ضوئها، أي أن تُدرَس في ضوء قرينتها (آنذاك وهناك) حتى يمكننا فهم رسالتها لنا نحن (هنا والآن)، بل وفي كل عصر ومكان.

ولقد توصل العلماء إلى ثلاثة مصادر لإسخاتولوچي العهد القديم:

١- تقاليد الوعد البطريركي (الوعد للآباء) Patriarchal promise traditions

يبدأ تاريخ الدين اليهودي بحقبة الآباء بدءًا بإبراهيم سنة ٢٠٠٠ ق. م تقريبًا. حيث يعتقد اليهود أن إبراهيم أبا الأنبياء هو أول مَنْ أعلن له الله وحدانيته. وهو الذي دخل الله معه في عهد، وبناءً على هذا العهد قدّم الله لإبراهيم وعودًا بالنسل الكثير وميراث الأرض (تك ١٢: ١-٣، ٧، ١٤: ١٣-١٧، ١٥: ١-٢١، ١٧: ١-٢٢، ١٨: ١٧-١٨، ٢٢: ١٥-١٨). وبعد فحص دقيق لهذه النصوص والنصوص الوثيقة الصلة، تبين أن الأرض التي وعد الله بها إبراهيم هي الأرض التي دخلها الشعب بقيادة يشوع، وسيطروا عليها خلال فترة المملكة المتحدة، وبعد العودة من السبي. كما حقق الله وعده بالأمة العظيمة والنسل الكثير في مراحل تاريخية متعددة من تاريخ الشعب[٨].

٢- تقاليد عهد سيناء

يُشدِّد E. Sellin على أهمية تقليد سيناء كمصدر مبكر وهام لإسخاتولوچي العهد القديم[٩]. هذا التقليد يتضمن العهد الذي قطعه الله مع شعبه بقيادة موسى (الميثاق الموسوي)، بعد أن أخرجهم بقوة من مصر. وكانت هذه المرحلة هي بمثابة نقطة الانطلاق لملكوت الله أو الإسخاتولوچي الذي وصل ذروته وأُعْلِن في المسيح.

وقد بُني إيمان بَني إسرائيل في تلك الفترة على دعامتين أساسيتين هما:[١٠]

أ- الإيمان بالله

بينما كانت الشعوب حولهم يعبدون الطبيعة والآلهة الوثنية، إلا أن بني إسرائيل هم أول مَنْ عبدوا الله، وأول من آمنوا بوحدانية الله (خر٢٠: ٣). فالله هو إله السماوات والأرض، هو المتسلط والقدير وقد أظهر قدرته في أحداث تاريخية وأعمال عظيمة هزم فيها آلهة مصر الوثنية وآلهة كل أرض كنعان. وبالتالي فإن معرفة بني إسرائيل بوحدانية

الله هي معرفة اختبارية. فالله هو إله التاريخ وهو مُسيّر التاريخ وراسمه. وله قصد في الأعمال التي يعملها وهو يسخّر أعمال الناس لتحقيق قصده العظيم.

ب- العهد مع الله

كما قطع الرب عهدًا مع إبراهيم، ودخل أيضًا في عهد مع الشعب (خر ١٩). هذا العهد هو عهد النعمة لأن طرفيه (الله والشعب) لم يكونا ندّين، كما أن الله وهو الطرف الأعظم والأمجد هو الذي سعى لإقامة هذا العهد. هذا العهد بُني على أساس تاريخي (إر ٣١: ٣٢). وتميَّز هذا العهد بأن الجميع رأوه واجتازوا في هذا الاختبار، فلم يكن أحد نائبًا عنهم فيه (تث ٥ : ٢-٣). فقد اختار الله هذا الشعب وأجرى معهم عملاً إلهيًا تاريخيًا وعظيمًا، ولم يكن الاختيار على أساس تسلسل أو نسب، إذ لم يقتصر على نسل إبراهيم بل شمل الذين هم من خارج (خر ١٢: ٣٨، يش ٦: ٢٥).

هذا العهد هو سر التميز عن الأمم الوثنية وآلهتها، فالأمم الوثنية كانت تعتقد أن الإله الوثني هو والد القبيلة، وهو الذي دخل معها في رباط لا ينقطع، كما لا يستطيع أحد من خارج القبيلة لم يتسلسل منه أن يندمج مع إله القبيلة (عد ٢١: ٢٩، ١مل ١١: ٣٣). وبذلك يكون الإله الوثني هو المُعبِّر الحقيقي عن رغبات القبيلة، وتتخذه القبيلة أو الأمة شعارًا لأهدافها وتطلعاتها. ووجود الإله مرتبط بوجود واستمرار القبيلة، فلو انتهت القبيلة انتهى الإله. إلا أن عهد الله مع بني إسرائيل أبطل هذه الأفكار، فوجود الله لا يتوقف على وجود إسرائيل بل بالعكس، فالله هو الذي أوجدهم واختارهم كشعب له، وهو يستطيع أن يمحوهم ويقيم لنفسه شعبًا آخر (خر ٣٢: ١٠). والعلاقة بين الله وشعبه هي علاقة الملك بالرعية، علاقة تسمو على الرباط الطبيعي الذي عرفه الوثنيون. فمجتمع إسرائيل القديم يتضح فيه سلطان اختيار الله للشعب، أنه لم يتوقف على أي امتياز فيهم، بل كان لقصد الله وحده. وهو ليس مُجتَمَعًا مُغلقًا مَانعًا، بل هو مجتمع مفتوح لكل مَنْ يؤمن بيهوه إلهًا له. هذا المجتمع المتميز بهذه العلاقة مع الله هو نواة ملكوت الله ويمثل الأساس التاريخي الحقيقي للملكوت. فالعهد إذًا هو عهد نعمة لم يُبْنَ على صلة طبيعية بين الإله والشعب، بل بُني على اختيار الأعظم (الله) للأقل (الشعب). وهو أيضًا عهد كلمة مُعلَنَة، أي أن الله أعلن إرادته للشعب في وصيته ووعده. فالوصية جزء من عهد النعمة، فهي ليست فرض ناموس لكنها وصية النعمة. والوصية تقترن دائمًا بالوعد، في كل حياة إسرائيل، وفي كل مرة تجيء الوصية لابد أن يصحبها الوعد. وقد بُني الوعد على عقيدتهم في الله وعلى أساس العهد الذي دخل معهم فيه. فلقد آمنوا أن الله أخرجهم من مصر ليُدخِلهم أرض الموعد ويُجري معهم أعمالاً أُخرى مجيدة ، ولهذا صدّقوا مواعيده وعرفوا أن هناك مستقبلاً مجيدًا ينتظرهم. وكان هذا الأمر هو نواة الإسخاتولوچي. فقد انتظروا وعد الله في إدخالهم بنصرة إلى أرض الموعد (خر١٥: ١٣-١٧). وأخذوا وعد البركة بأنهم يكونون شعبًا مقدسًا مباركًا من الرب (عدد ٢٣: ٧-١١، ١٨- ٢٤). وتحقيق الوعود يثبت أن العهد عهد نعمة، فالله السيد قد وهبهم المواعيد ماداموا له شعبًا مقدسًا. هذا هو أساس فكرة ملكوت الله والإسخاتولوچي.

كان العهد مع الشعب مشروطًا بالطاعة لله والسلوك في شريعته. فإذا أطاع الشعب بنود العهد، عندئذ يختبر

الحياة والبركة (تث ٢٨: ١-٢٤)، وعلى العكس عندما لا يطيع الشعب أوامر العهد فإنهم يختبرون الهلاك واللعنة (تث ٢٧: ١٦-٤٦)[١١].

وعهد سيناء فيه علاقة متلازمة بين الماضي والحاضر أو بين الحاضر والمستقبل، فالله يتعامل مع إسرائيل في الحاضر، مكافئًا أو معاقبًا الشعب عُمِلَ في الماضي، أو أن الله يُتوقع أن يُفْعَل هكذا في المستقبل بسبب أفعالهم الحاضرة. هذه العلاقة السببية بين الماضي والحاضر أو بين الحاضر والمستقبل مشروحة ومفسرة بالتفصيل في سفر التثنية الأصحاحات (٢٨ - ٣٠، ٣٢) في سيناريوهين. فالأصحاح الثامن العشرون يشرح البركات واللعنات التي سوف تحل على الشعب بالتناوب عندما يطيعون أو لا يطيعون. ويؤكد الأصحاح الثلاثون على نفس الحقيقة، ويضيف أن اللعنة ستصل إلى قمتها في السبي. إلا أنه يتنبأ أن إسرائيل ستتوب، وأن الله سيعيدها من السبي لأرضها. وفي ترنيمة موسى (تث ٣٢) تُعَاقَب الخطية من خلال ضيق وظلم العدو، إلا أن عجرفة العدو تُثير قضاء الله فينتقم لدم عبيده[١٢].

هذا المُخطط التثنوي عن العهد المشروط، يصبح نموذجًا للكُتَّاب المتأخرين والنصوص اليهودية في الفترة اليونانية الرومانية. فالارتباط بين الماضي والحاضر أو بين الحاضر والمستقبل يُوضع بطرق عديدة في الكتابات النبوية. فالنجاح الحاضر هو برهان أمانة إسرائيل وبركة الله، بينما النكبة والكوارث الحاضرة دليل على الوضع الخاطئ الذي يستدعي التوبة. كما أن الأمانة في الحاضر تستنزل بركات الله في المستقبل، والتمرد على الله وشريعته يستوجب اللعنة في المستقبل.

٣- تقليد داود - صهيون David-Zion tradition

تقليد آخر لتطور الإسخاتولوچي يركز على الخط الداودي ومدينة داود، صهيون أو أورشليم. وهو على ما يبدو يغطي عصر المملكة من بعد زمن القضاة وحتى أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد. فبعد دخول بني إسرائيل أرض الموعد وامتلاكهم إياها، مَرُّوا في فترة طويلة تزيد عن أربعمائة سنة، من التذبذب الروحي، إذ تأثروا سلبيًا بعادات وعبادات وأعمال الأمم الوثنية المحيطة بهم وبذلك كسروا عهدهم مع الله. فأغاظوا الرب، فسمح لهم الرب بالسقوط في أيدي أعدائهم فأذلُّوهم فترات طويلة، وكان عندما يعود بنو إسرائيل إلى الرب نادمين كان الرب يقيم لهم شخصًا يحل عليه بروحه، فيخلِّصهم من أعدائهم ويقضي لهم مدى حياته، وبعد موته يبقى الشعب بلا قاضٍ، وتتكرر المأساة مرة أُخرى. ظل هذا الأمر هكذا حتى جاء صموئيل الذي كان آخر القضاة وأقواهم وأتقاهم جميعًا (١صم ١٢: ١-٥). وكان يجمع في يده كل القوى الثلاث التي لعبت دورًا فاعلاً في حياة الشعب: الكاهن والنبي والحاكم. بدأ بعده عصر المملكة بشاول بن قيس كأول ملك (١صم ١٠: ١٧-٢٤، ١١: ١٤-١٥). لكنه لم يبق طويلاً مُرْضيًا لله ولصموئيل، لأنه حاول التعدي على رسالة وسلطة صموئيل ككاهن (١صم١٣: ٨-١٤) ورفض أن يسمع لصوت النبوة (١صم ١٥: ٤-٣١) لذلك رفضه الرب، واختار داود الذي أضحى المثل الأعلى لكل الملوك، وفي عهده توسعت المملكة بشكل لم يسبقه أو يلحقه مثيل. كما قطع الرب معه ميثاقًا ليُعطي المملكة لنسله من بعده (٢صم ٧، مز ١٣٢). وكان أهم ما في هذا الميثاق هو الوعد باستمرارية مُلك نسل داود. وقد أُعتبر الملك (مسيح الرب)، فقد كان الملك الداودي مسيحًا مقربًا لله، لكي يكون خادمًا

لله، يُجري عدله وقضاءه بين الشعب. فالله هو الملك الحقيقي صاحب الإرادة العليا في حياة الشعب ومصيره، أما الملك البشري فهو خادم الله. وهناك إشارات أنه بمجرد جلوس أي ملك داودي صالح على العرش، كانت هناك توقعات أكيدة للمستقبل بالسلام والخصب والنماء والبر والعدل في الأرض (قارن إش ٩: ٢-٧، ١١: ١-٩).

كما يتضمن تقليد داود ـ صهيون إشارات إلى كرسي داود الشهير في مدينة داود أو صهيون. التي تتمتع بمكانة خاصة لأنها حلّ الله فيها، كما أُسِّس فيها المُلك الداودي[١٣]. ومَنْ يدرس مزموري ٤٦، ٤٨ يكتشف حُرمة وقدسية inviolatility سكنى الملك الإلهي والبشري في هذه المدينة التي كانت بسبب حضور الله فيها لا يمكن أن تُهزم.

ثانيًا: الترتيب الزمني للأنبياء

حتى يمكننا فهم التطور التدريجي للفكر الإسخاتولوچي للأنبياء، يجب علينا معرفة الترتيب الزمني لخدمة الأنبياء. ومن الجدير بالذكر أن التواريخ التي نوردها تقريبية، فهناك خلافات بين المؤرخين الكتابيين حول التواريخ، الأمر الذي يصعب معه التحديد الدقيق لزمن كل نبي[١٤].

أنبياء عصر الملكية

النبي	التاريخ التقريبي لبدء خدمته	الملوك المعاصرون	المملكة التي تنبأ فيها
يوئيل	٨٢٠ ق. م	يوآش وعُزّيا	يهوذا
يونان	٧٨٢ ق. م	عُزيا في يهوذا ويربعام الثاني في إسرائيل	إسرائيل
عاموس	٧٦٠ ق. م	عُزيا ويوثام وآحاز في يهوذا ويربعام الثاني في إسرائيل	إسرائيل
هوشع	٧٦٠ ق. م	عُزيا ويوثام وآحاز في يهوذا ويربعام الثاني في إسرائيل	إسرائيل

٧٢٢ ق. م سقوط السامرة (السبي الأشوري)

النبي	التاريخ التقريبي لبدء خدمته	الملوك المعاصرون	المملكة التي تنبأ فيها
إشعياء	٧٤٠ ق. م	عُزيا ويوثام وآحاز وحزقيا	يهوذا
ميخا	٧٣٥ ق. م	يوثام وآحاز وحزقيا	يهوذا
ناحوم	٦٥٠ ق. م	منسى	يهوذا
صفنيا	٦٤٠ ق. م	يوشيا	يهوذا
إرميا	٦٣٠ ق. م	يوشيا ويهوآحاز ويهوياقيم وصدقيا	يهوذا
حبقوق	٦٠٠ ق. م	يهوياكين	يهوذا

٥٨٧ ق. م سقوط أورشليم

الأنبياء في فترة السبي البابلي

النبي	التاريخ التقريبي لبدء خدمته	الملوك المعاصرون	المملكة التي تنبأ فيها
دانيآل	٦٠٤ ق. م	نبوخذنصر وداريوس، وكورش	بابل
حزقيال	٥٩٠ ق. م	نبوخذنصر	بابل
عوبديا	٥٨٧ ق. م	نبوخذنصر	بابل

أنبياء بعد السبي

النبي	التاريخ التقريبي لبدء خدمته	الملوك المعاصرون	المملكة التي تنبأ فيها
حجّي	٥٢٠ ق. م	داريوس الأول (هستاسيس)	يهوذا (أورشليم)
زكريا	٥٢٠ ق. م	داريوس الأول (هستاسيس)	أورشليم
ملاخي	٤٤٥ ق. م	داوريوس نوتسيس وأرتحشستا فيمون	أورشليم

ثالثًا: السبي نقطة تحوّل

يعتبر السبي (الأشوري والبابلي) نقطة تحول هامة في تاريخ شعب الله القديم. تنبأ بعض الأنبياء قبل السبي، وبعضهم أثناء السبي، والبعض الآخر أثناء وبعد السبي كما هو موضح من الجدول السابق. فقد كان الأنبياء معاصرين لكل الأحداث الهامة في تاريخ شعوبهم، وكانوا ينطقون بكلمة الرب حسب الحاجة والظروف التي يجتازها الشعب العبراني. كما أحدث السبي تحولاً بالغ الأثر في حياة الشعب وعلاقتهم بالله. وقبل أن نغوص في رسالة الأنبياء لعصورهم، نلقي لمحة تاريخية سريعة على السبي[١٥].

١- المملكة الشمالية (إسرائيل)

بدأ احتكاك إمبراطورية أشور بمملكتي يهوذا وإسرائيل في عهد شلمناسر الثاني الذي كان معاصرًا لكل من يهورام وأخزيا ويهوآش ملوك يهوذا، ولأخآب وأخزيا ويهورام وياهو ملوك إسرائيل. ولمقاومة خطره الكاسح تحالفت إسرائيل مع أرام (سورية)، لكنه هزمهما، وبذلك انتهى التحالف. وفي عهد تغلث فلاسر الثالث سنة ٧٤٥- ٧٢٦ ق. م ضعفت قوة أشور وقتيًا، في حين بلغت مملكة يهوذا في أيام عزيا الملك، وإسرائيل في عهد يربعام الثاني، أوج قوتها. وتغلث فلاسر هو (فُول) (٢مل ١٥: ١٩، ١أخ ٥: ٢٦). وقد كان أعظم الملوك في التاريخ، إذ كان أول من حاول تكوين إمبراطورية على نمط الإمبراطورية الرومانية، فلم يكتفِ بالحصول على الجزية من الملوك والولاة الذين هزمهم؛ بل أصبحت الأقطار التي غزاها، ولايات في إمبراطوريته. ومع مضي الوقت بدأ يتحرش بيهوذا. وفي غزوة أُخرى وضع منحيم ملك إسرائيل وغيره من الملوك تحت الجزية (٢مل ١٥: ١٩-٢٠، ٢٩). وبعد ذلك استنجد آحاز ملك يهوذا بالأشوريين لينصروه على رصين ملك أرام وفقح بن رمليا (إش ٧: ٤). ولكي يضمن معونة الأشوريين «**أخذ الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب**

وفي خزائن بيت الملك، وأرسلها إلى ملك أشور هدية» (٢مل ١٦: ٨). في ذلك الوقت قام تغلث فلاسر بحملة جديدة على الغرب اجتاح فيها سورية، وفي طريق عودته استولى على السامرة دون أن يدمرها، وكان الشعب قد اغتال فقح، فأقام الملك الأشوري هوشع، قائد المؤامرة، ملكًا عوضًا عن فقح، تحت سيادة أشور.

بعد شلمناسر الثالث جاء شلمناسر الرابع سنة ٧٢٧- ٧٢٢ ق. م (٢مل ١٧، ١٨). وفي وقته حاول هوشع بمعونة مصر أن يستقل عن أشور، لكن بسبب الشرور والمفاسد التي وبَّخَها النبيان هوشع وعاموس (هو١٠: ٧-٨، ١٤-١٥). وكذلك تنبأ إشعياء وميخا (إش ٢٨: ١، مي ١: ٥-٦). ولم تأت للملك معونة من مصر، فوقف وحيدًا في مواجهة قوات عاتية، أسرته، واجتاحت الجيوش الغازية البلاد، وعاثوا فيها الفساد، كما سبق وأعلن الأنبياء.

بعد شلمناسر الرابع جاء سرجون (إش ٢٠: ١) وأكمل غزو إسرائيل وأجلى سكانها إلى أشور. وقد سجل في مذكراته: «في بداية حكمي استوليت على مدينة السامرة بمعونة «شماس» (إلهه) الذي ضمن لي النصر.. وأخذت ٢٧,٢٩٠ أسيرًا من سكانها، كما استوليت على ٥٠ مركبة ملكية منها. ثم أعدت الاستيلاء على المدينة، وأسكنت فيها أُناسًا من البلاد التي غزوتها بذراعي.. وعينت حاكمًا عليهم وفرضت عليهم الجزية والضرائب كما على الأشوريين». قارن (٢مل ١٧: ٦، ٧، ١٨: ١١-١٢)[١٦]. وقد جاء سرجون بغرباء ممن سباهم في حروبه وأسكنهم في السامرة بعد أن سبى أهلها (٢مل ١٧: ٢٤).

٢- المملكة الجنوبية (يهوذا)

تعاقبت على مملكة إسرائيل عدة أُسر حاكمة، بينما ظلت يهوذا وعاصمتها أورشليم مواليتين لبيت داود حتى النهاية، فقد قامت يهوذا على أساس أكثر رسوخًا، وصمدت أورشليم بهيكلها وكهنوتها أمام الأعداء الذين أطاحوا بالسامرة، لمدة نحو ١٥٠ سنة بعد سقوط السامرة.

تفككت مملكة أشور بعد موت أشور بانيبال سنة ٦٢٥ ق.م، وبدأت شعوبها بالتمرد على نينوى عاصمة أشور. وفي سنة ٦٠٦ ق. م زحفت عصابات سكيثية نحو نينوى، ويرسم لنا النبي ناحوم صورة للفرح الذي عم مملكة يهوذا لتوقع سقوط نينوى (نا ١: ١٥،١، ٣: ٨-١١). واستعاد الماديُّون استقلالهم وتحالفوا مع الكلدانيين وحاصروا عاصمة أشور، فسقطت سنة ٦٠٦ ق. م، وقامت على أنقاضها الإمبراطورية الكلدانية التي كان من أبرز ملوكها نبوخذ نصر سنة ٦٠٤- ٥٦٢ ق. م. وكان عهده عهد قوة لمملكة البابليين (حب ١: ٧-٨). فقد هزم نخو فرعون مصر في موقعة كركميش. وهكذا فشلت مساعي يهوذا في الاستنجاد بمصر ضده. وكانت رسالة إرميا النبي في ذلك الوقت العصيب ليهوذا، هي أن يخضعوا لملك بابل وأن يُصلحوا طرقهم أمام الرب، حتى ينجوا من الغضب الإلهي الذي يتهددهم، فيخبرهم - بأمر الرب - بالدينونة التي ستحل بأورشليم والشعوب المجاورة، على يد الكلدانيين. بل إنه تنبأ بالمدة التي سيقضونها تحت حكم الكلدانيين: **«تصير كل هذه الأرض خرابًا ودَهَشًا وتخدُمُ هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة»** (إر ٢٥: ١١).

السبي الأول سنة ٦٠٦ ق. م

يقول دانيآل: «**في السنة الثالثة من مُلك يهوياقيم ملك يهوذا، ذهب نبوخذناصَّرُ ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها**» (دا١١: ١). وأسقطها وأخذ معه آنية بيت الرب وبعض أفراد النسل الملكي وشرفاء يهوذا، مأسورين إلى بابل. وكان من بينهم دانيآل ورفاقه، بل والملك يهوياقيم نفسه (٢أخ ٣٦: ٦، ٢مل ٢٤: ٢). وتُحسب مدة السبي السبعين سنة من سنة السبي الأول ٦٠٦ ق. م.

السبي الثاني سنة ٥٩٧ ق. م

تولى بعد يهوياقيم أخوه يهوياكين سنة ٥٩٧ ق. م لمدة ثلاثة أشهر فقط، وجاء عليه نبوخذناصَّرُ فاستسلم له يهوياكين، فأخذه نبوخذنصر هو وأمه وعبيده ووزراءه وخصيانه وجميع جبابرة البأس أسرى إلى بابل (٢مل ٢٤: ١٠–١٧). وعاش يهوياكين ٣٧ سنة أسيرًا في بابل. إلا أنه كان يحظى باحترام وولاء المسبيين آنذاك، إلى أن رفع مرودخ ملك بابل في سنة تملكه رأس يهوياكين وأخرجه من السجن (٢مل ٢٥: ٢٧–٣٠).

كان إجلاء الأمراء والصُناع والأقيان (الحدادين) هو موضوع رؤية إرميا لسلتي التين، اللتين كان في إحداهما تين جيد، وفي الأُخرى تين رديء لا يؤكل من رداءته (إر ٢٤: ١–٣). فالتين الجيد هم المسبيون من يهوذا الذين أُخِذُوا إلى أرض السبي لخيرهم، أما التين الرديء فهم الملك صدقيا والأمراء الباقون في أورشليم الذين كانت تنتظرهم دينونة قاسية تفنيهم (إر ٢٤: ٤–١٠).

خدم النبي حزقيال سنة ٥٩٢ – ٥٧٠ ق. م تقريبًا، وكان بين المسبيين في بابل الذين وضعوا على نهر خابور. وفي السنة الخامسة من السبي بدأ يقص رؤياه، ويعلن أهميتها للمسبيين عند أنهار بابل. في ذلك الوقت وصلت للمسبيين أخبار سيئة عن سقوط يهوذا وخراب أورشليم وحرق الهيكل، عندئذ بدأ حزقيال يتنبأ لهم بأخبار مفرحة عن العودة من السبي وإعادة بناء المدينة والهيكل والمملكة.

آنذاك كانت لإرميا النبي رسالة للمسبيين وللذين بقوا من السبي. وكانت رسالته للمسبيين أن العبادات الوثنية التي حولهم، يجب ألا تجذبهم بل أن تحولهم رجوعًا إلى شريعة إلههم، فترتفع حالتهم الروحية والأدبية (إر ٢٤: ٥–٧).

ملَكَ صدقيا سنة ٥٩٧– ٥٨٦ ق. م، وفي بداية مُلْكِه تمرد على بابل، فزحفت جيوش الأخيرة بقيادة نبوزرادان على أورشليم، إلا أن فرعون مصر زحف لمناصرة حليفته يهوذا، فأجبر الكلدانيين على فك الحصار عن أورشليم. لكن نبوزرادان عاد وحاصر أورشليم.

السبي الثالث وتدمير أورشليم سنة ٥٨٦ ق. م

يقول إرميا: «**في السنة التاسعة لصدقيا ملك يهوذا في الشهر العاشر، أتى نبوخذراصر ملك بابل وكل جيشه إلى أورشليم وحاصرها. وفي السنة الحادية عشرة لصدقيا، في الشهر الرابع، في تاسع الشهر فُتحت المدينة**»

(إر ٣٩: ١-٢). بعد أن أرهقها الحصار الطويل الذي تسبب في مجاعة، ويبدو أن صدقيا ورجال الحرب هربوا من المدينة ليلاً (٢مل ٢٥: ٤-٧). وسقطت المدينة وأُحرق الهيكل والقصر الملكي (٢مل ٢٥ : ٩) وهُدِمَت أسوارها وأُخِذَت كنوز الهيكل إلى بابل، وكان خراب المدينة كاملاً (مرا ٤١: ١١-١٢، ٥: ١٦-١٨، إر ٥٢: ٢٧، ٢مل ٢٥: ٢١).

السبي الرابع سنة ٥٨١ ق.م

نقرأ في سفر إرميا عن الدفعات الثلاث الأخيرة إلى السبي البابلي، ففي السنة التاسعة لنبوخذنصر ملك بابل أي سنة ٥٩٧ ق. م سبي ٣٠٢٣ من اليهود، وفي السنة الثامنة عشر أي سنة ٥٨٦ ق. م سبى ٨٣٢ شخصًا. وفي السنة العشرين أي سنة ٥٨١ ق. م سبى ٧٤٥ شخصًا. أي أن جملة النفوس ٤٦٠٠ (إر ٥٢: ٢٨-٣٠، ٢مل ٢٤: ١٤-١٦).

لقد كان السبي نقطة تحول إيجابي في حياة الشعب، إذ جعلهم ينفصلون عن نجاسات جيرانهم، ويتعلقون بإلههم. إذ أنهم بسبب سبيهم وغربتهم عن أوطانهم، أدركوا أكثر من ذي قبل أهمية تراثهم الروحي والإيماني، فبنوا قوميتهم في محيطهم الجديد على أساس الدين. وكان للأنبياء ولا سيما إرميا وحزقيال دور فَعَّال في تشجيع المسبيين برسالة الرجاء في العودة، وبالبركات الروحية التي تنتظرهم نتيجة لأمانتهم للعهد.

العودة من السبي سنة ٥٣٨ ق. م

استولى كورش الفارسي على بابل سنة ٥٣٩ ق.م ، فانتعشت آمال المسبيين إذ رأوا فيه (الفأس) التي سيسحق بها يهوه بابل (إر٥١: ٢٠) (قارن إش ٤٤: ٢٦-٢٨). وفي سنة ٥٣٨ ق. م أصدر كورش مسيح الرب مرسومًا يمنح المسبيين إذنًا بالعودة وبناء بيت الرب في أورشليم (٢أخ ٣٦: ٢٢-٢٣، عز ١: ١-٤). كما أخرج آنية الهيكل التي أحضرها نبوخذ نصر إلى بابل وسلّمها إلى شيشبصر رئيس يهوذا الذي أصعدها بدوره إلى أورشليم (عز ١: ٧-١١). وقد رجع ٤٢,٣٦٠ بقيادة شيشبصر بالإضافة إلى العبيد. وفي أيام يشوع (يهوشع) بن صادوق (يهوصادق) الكاهن وزربابل بن شالتئيل والي يهوذا، بنوا المذبح ووضعوا أساسات الهيكل، لكن العمل توقف لمدة تزيد عن ١٥ سنة بسبب مقاومة السامريين. إلى أن جاء النبيان حجي وزكريا وحثا الشعب على استئناف العمل، وشجعاهم بالقول: «**إن مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، قال رب الجنود**» (حج ٢: ٩). وفي فترة قياسية أُنجِز العمل واكتمل في آذار (مارس) في السنة السادسة لداريوس الملك سنة ٥١٥ ق. م، واحتفلوا بالفصح في الهيكل الجديد (عز ٦: ١٥-٢٢).

في سنة ٤٥٨ ق.م عاد عزرا ومعه ١٨٠٠ شخص من السبي، وقاد نهضة روحية في حياة الشعب وعمل على فصلهم عن الأمم الوثنية التي تزاوجوا منها فأفقدتهم هويتهم (عز ٩). وفي سنة ٤٤٥ ق. م جاء نحميا إلى أورشليم وكان له دور كبير في ترميم الخرائب وبناء السور. في تلك الفترة (نحميا وعزرا) أصبحت شريعة موسى أساس الحياة القومية، إذ قرأ عزرا واللاويون الشريعة وفسروها للشعب، مما قادهم للتوبة وقطعوا عهدًا بحفظ ناموس موسى (نح ٨: ١- ١٨، ١٠: ٢٨- ٣٩).

رابعا: الفكر الإسخاتولوجي عند الأنبياء

١- أنبياء ما قبل السبي Preexilic

تَركَّز الدور الرئيسي لأنبياء ما قبل السبي حول تقويم الأمة التي انتهكت العهد مع الله، وبالتالي كانت الدينونة حتمية، كلعنات العهد. وقد تركز الفكر اللاهوتي لأنبياء ما قبل السبي على بعض النقاط الهامة:

أ- الله

الله الذي اختبره وأعلنه أنبياء ما قبل السبي هو إله العهد، الذي يطلب أفعالاً وسلوكيات متميزة من البشر بصفة عامة، ومن شعبه بصفة خاصة. إلا أن إسرائيل - كما رأى الأنبياء - لم تحيا وفقًا لدعوتها، وتجاهلت بل وكسرت بنود عهدها مع الله، وانتهكت المبادئ الأخلاقية التي وضعها الله لهم. لذلك طالب الأنبياء الشعب أولاً أن يعبدوا الله وحده. كما أشار الأنبياء أن العبادة الصحيحة لله تتطلب المعاملة الصحيحة مع البشر. فهناك ارتباط وثيق بين العبادة والسلوك، أي بين علاقة الإنسان مع الله والعلاقة مع أخيه الإنسان. لذلك حث الأنبياء الشعب أن يسلكوا وفقًا لمبادئ العهد في العلاقة مع الله ومع البشر.

كما أعلن الأنبياء الحب الذي قدمه الله للبشرية عامة، ولإسرائيل خاصة. الحب الذي استمر وامتد بالرغم من عدم الأمانة والارتداد. وقدم الأنبياء الله في صور عدة تُظهِر حبه كالأب والمعلم والشافي والراعي والمرشد لشعبه. وأكد الأنبياء أن حبه ينسجم مع عدله، فالعدالة الإلهية فعل للحب أكثر منه للانتقام. فعندما يبتعد الشعب عن الله، فإن الله يتدخل بحب وبعدل ليُصوِّب اتجاه الشعب ويُعيده إليه[١٧]. فالأنبياء عمومًا والنبيان عاموس وهوشع بصفة خاصة يظهران شفقة الرب وإخلاصه لعهده، فالله رغم زيغان الشعب لم يقف قاضيًا ليحكم، بل جاء منذرًا للشعب المذنب، جاء ليرد العصاة إليه[١٨].

ب- إسرائيل

إن عدم أمانة الشعب هو ما صَدَم وأزعج الأنبياء. وكان لفساد الملوك دور مؤثر في تفشّي الظلم والفساد والطبقية. فالغني يزداد غِنًى، مستفيدًا من عناء وخسارة الطبقات الأقل. والأنبياء كثوار المجتمع وكمتحدثين رسميين بلسان الله والعهد نَدَّدُوا بهذا الفساد. وكضمير للأمة كان للأنبياء دور فاعل في إنذار الشعب بحتمية دينونة الله، لانتهاكهم حقوق الله وحقوق البشر.

جـ- علاقة الله بإسرائيل

لقد وجّه الأنبياء رسالة الله لإسرائيل طوال تاريخ الأمة، وكانت الرسالة النبوية الأساسية بخصوص إسرائيل أن سقوط إسرائيل وفشلها في علاقة العهد تأتي بها إلى النهاية[١٩]. وهناك تنوع في الصور التي استخدمها الأنبياء لنهاية هذه العلاقة، فقد تحدّث عاموس بشكل مباشر: **قال لي الرب: «قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل. لا أعود أصفح له**

بعد» (عا ٨: ٢). وصور إرميا وهوشع وحزقيال العلاقة بين الله وإسرائيل بعلاقة العهد الزوجي (إر ٣: ٢، حز ١٦: ٨، هو ٢: ٤). والطلاق والانفصال هو نهاية هذه العلاقة. كما صَوَّروا الله بصور تُبرز محبته لشعبه فهو أب إسرائيل (هو ١١: ١) وهو الراعي (حز ٣٤: ١) والملك (إش ٦: ٥). إلا أن إسرائيل ابن عنيد ، وشعب أثيم، ومجتمع فاسد. كل هذه الصور تعبر عن إفساد إسرائيل للعلاقة مع إلهها وحتمية دينونة الله لها. إلا أن هناك صور عن الرجاء والإصلاح النابعين من حب الله المستمر الذي يعطي فرصة تلو الأخرى لتوبة شعبه. فالابن يُعاد، والخطايا ستُغفر، والمجتمع سيُنَقَّى[٢٠].

د- يوم الرب

تَوقَّع بنو إسرائيل أن يوم الرب هو يوم بشرى وسعادة كاملة لهم. إلا أن الأنبياء عكسوا ذلك، فيوم الرب هو يوم دينونة الرب وإعلان غضبه على الشعب الذي كسر العهد (هو ٦: ١٥، ١١: ٨-٩) وهو يوم رعب وموت (عا ٥: ١٨-٢٠). فالأمة الخاطئة تتوقع دينونة إلهية وشيكة الحدوث، وبحسب إشعياء سيأخذ الله إسرائيل بماكينة الحصاد (أشور). كما تنبأ الأنبياء بقرب السبي البابلي وخراب الهيكل، كعقاب حاسم. وهذا ما حدث في مراحل السبي المختلفة (الأشوري والبابلي). كما أعلن الأنبياء أن الرب سيُدِين الملوك لأنهم لم يفوا بعهودهم ولم ينجزوا واجباتهم الملكية (إر ٢١: ١١- ٢٢: ٣)، لذلك تنبأ الأنبياء بتوقف المُلك في بيت داود لأنهم لم يسلكوا حسب العهد الإلهي مع داود (٢صم ٧) والذي أشرنا إليه بالتفصيل في المجلد الأول من هذه الدراسة.

إلا أن الله المحب لم يهدف من الدينونة أن يبيد شعبه أو يهلكه، بل يقصد تأديب الشعب لتزكيته وتهذيبه. فهوشع في قوله: «**إثم أفرايم (إسرائيل) مصرور: خطيته مكنوزة. مخاض الوالدة يأتي عليه. هو ابن غير حكيم، إذ لم يقف في الوقت في مولد البنين**» (هو ١٣: ١٢-١٣). يدمج صورتي الدينونة: التدمير والتهذيب معًا. فإسرائيل الجديد هو الطفل الذي يُولَد، أما إسرائيل القديم فهو الأمة الخاطئة التي تموت، حالما يُولَد هذا الوليد. فكوارث الدينونة تنجم من ابتعاد الرب عن إسرائيل (هو ٥: ٦، ١٥، ٩: ١٢). إلا أن الدينونة تؤدي إلى التجديد، فهي تلقي الضوء على الأسباب التي أدت إلى غضب الله، ونقمته بالقضاء على أدوات الشر، وهكذا تمهد الطريق للاعتراف بالخطية (هو ٨: ٦، ١٠: ٢-٨، ٤: ١٥، ١١: ٦). وبالتالي يرجع إسرائيل إلى الرب.

ويرى إشعياء أن الدينونة تهدف إلى التطهير، ولكن هذا التطهير يتم باقتلاع جذور الشر. فهي العملية التي بها تُمَحَّص البقية الباقية وتُنقَّى (إش ٤: ٣-٤، ٦: ١١-١٣، ١٠: ٢٠-٢٣، ١٧: ٦، ٧، ٢٤: ١٣، ١٤، ٢٨: ٥-٦، ٢٣-٢٦). وفي (إش ٢٨-٣٨) نلمس وجود علاقة إيجابية بين الدينونة والتجديد. فما حدث في أزمة سنحاريب ليس لمحو الأشرار فقط، بل أيضًا لتعريف الآخرين بمدى شناعة خطية إسرائيل ومدى سمو نعمة الرب[٢١]. فالله لم يقصد من الدينونة أن يمحو الشعب، بل أن يؤدب الشعب ثم يشفيهم، وأن يكسرهم ثم يجبرهم. فالتأديب ويوم الرب ما هما إلا طريقًا للرحمة والرجاء (عا ٩: ١١-١٥، هو ٣: ٥). فالشعب سيرجع إلى الرب نادمًا تائبًا، ويطلب داود (نسل داود) ملكًا عليهم، ويقيم الرب مظلة داود الساقطة، ويعطيها الرب وادي عخور بابًا للرجاء.

فيوم الرب هو يوم الدينونة لكل الشعب، ثم بعد ذلك هو يوم الرحمة والتوبة ورد السبي و الرجاء. فالأنبياء رأوا المستقبل يشوبه الظلام ثم النور، الدينونة ثم الرحمة، تأديب الرب ثم الرجاء، السبي ثم العودة من السبي، اللعنة كنتيجة لكسر العهد ثم البركة نتيجة للتوبة والرجوع إلى الله. فالأنبياء يتوقعون البركة الإلهية عندما يكون عقاب إسرائيل كافيًا، وعندما يعود الشعب إلى الله. فقد أكد الأنبياء أن بداية جديدة ستحدث في المستقبل في علاقة الله بشعبه، تُصوَّر أحيانًا كعودة إلى الماضي المجيد، إذ يتنبأ إرميا بعودة النسل الداودي للمُلك، بل وتنبأ عن مَلِك المستقبل الذي يحكم بشكل متفرِّد بالبر والعدل : **«ها أيام تأتي، يقول الرب، وأقيم لداود غُصن برٍّ، فيملك وينجح، ويُجري حقًّا وعدلاً في الأرض. في أيامه يَخلُص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمنًا، وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: الرب برنا»** (إر٢٣: ٥-٦). كما كانت هناك توقعات نبوية بعودة التُخوم القومية والاستقرار من جديد في الأرض.

هـ- البقية والمُلك

ركزّ النبيان إشعياء وميخا في نبوتيهما على فكرتي البقية والمُلك[٢٢].

١- البقية

لقد رأي النبيان الشر الذي ساد في مملكة يهوذا أيام يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا. حتى إن إشعياء شبهها بسدوم وعمورة (١: ١٠). فقد انتشر فيها الظلم الاجتماعي بشكل مرعب (إش ٢٢، ٢٣، مي ٢: ١-٢). ثم يصنف كل من النبيين قضاء الرب على هذه الأمة الظالمة، فالله قد كره أعيادهم (إش ١: ١١-١٥) ولهذا سينزع منها الأعمدة ويعاقب بناتها المتشامخات (إش ٤٠)، إنها ككَرْم لم يُثمر فلم يبق سوى دوسه وجعله مرعى للأغنام (إش ٥: ١-٢٤). وهكذا رأى ميخا كل هذا القضاء العادل جزاءً لكسر العهد (مي ٦: ٩-١٦، ٧: ١٠-٦) ويُلاَحَظ أن هذا العقاب نهائي وأن جرحها عديم الشفاء (إش ٢٢: ١٢-١٤).

رغم ذلك فالرب لم يفشل في تحقيق قصده لأن إسرائيل فشلت في رسالتها، فالشعب لن يهلك كله بل هناك بقية ستخلص. جاء ذكر هذه البقية في الرسالة التي وضعها الرب على إشعياء عندما دعاه (إش ٦: ١٣). كما أن الرب لم يُرجع كل الشعب من السبي بل يُرجع بقية مُخْلِصة له (إش ١١: ١١-١٦). فإشعياء رأى أن هناك جماعة مُخْلِصة في وسط الشعب هي التي سيبقى عهد الرب فيها ومعها، ولكي يؤكد رؤياه أطلق على ابنه اسم «شآرياشوب» (إش ٧: ٣) أي «البقية ستعود»، وهو ما سنشير إليه في القسم الثاني تحت عنوان «عمانوئيل». ويصف البقية وصفًا مجيدًا (إش ٤: ٢-٦). ويتفق ميخا معه في فكرة هذه البقية والمجد الذي سيكون فيهم (مي ٥: ٧-٨) مُلك الرب عليهم (مي ٤: ٦-٨).

البقية هنا ليست بقية أفراد نجوا من السبي والموت، ولا بقية سياسية، لكنها بقية روحية يربطها رباط روحي بالرب هو رباط الإيمان. إنها تعطي فكرة الكنيسة المُخْلِصة التي تبقى أمينة للرب في وسط عالم شرير قاسٍ. إنهم النجم الساطع وسط الليل الحالك الظلام (إش١٠: ٢٠-٢٢) والرجوع هنا رجوع روحي، فهم يرجعون إلى الرب فيشفيهم ويشفي ارتدادهم، إنهم لا يرجعون كأمة ولكنهم جماعة مُخْلِصة قد بقيت حافظة للعهد. فالأمة انتهت لكن البقية باقية.

٢- الملك

إن الشعب في رجوعه إلى الله لا يُحيي فقط العهد المقدس، لكنه يُحيي عهد الرب مع داود. إذ يطلبون داود (نسل داود) ملكًا عليهم. ويتقدم النبيان إشعياء وميخا خطوة أبعد إذ يميزان شخصًا بعينه يصفانه بأعظم الأوصاف وأمجدها مما لا يستطيع أحد أن ينكر أنها أوصاف المسيا نفسه.

تظهر الفكرة أولاً عند إشعياء أولاً في مناظراته مع آحاز الملك (إش٧)، ورفض الأخير أن يطلب آية من الرب، فيقول له إشعياء: «**يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه «عمانوئيل»** (إش ٧: ١٤). لكن إشعياء يصل إلى القمة في نبوته عن المستقبل عندما يقول: «**لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيبًا مُشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام. لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليُثبِّتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا**» (إش٩: ٦-٧). إنها أسماء وأوصاف لا تُخلع إلا على المسيا. هذا المسيا يأتي من نسل داود (إش١١: ١-٥). ويعلن ميخا بأكثر جرأة: «**أما أنت يا بيت لحم أفراته، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطًا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل**» (مي: ٢).

ويلخص نيتشلسبورج (George W. E Nichlsburg) بالقول: إن الأوضاع المُعاصرة لأنبياء ما قبل السبي من الظلم الاجتماعي والاقتصادي والتمرد الفاضح ضد التوراة، والضلال والبُعد عن الله. هذه الأوضاع جعلت الأنبياء يتوقعون التدخل المحتوم من الله البار ليدين هذه الأوضاع، فيعاقب المتكبرين والمتغطرسين والعُصاة بينما يكافئ الأبرار، وينصف المتألمين والمظلومين. إن يومًا جديدًا سيأتي، تزدهر فيه بركات البر الغزيرة[٢٢]. فالله المحب يؤدب شعبه دون إبادته، ويُطهر شعبه دون إهلاكه. فالنبي هوشع يشير إلى قيام اتحاد جديد بين الرب وإسرائيل يُشَار إليه بزواج جديد، فعهد الخيانة القديم سيُمحَى تمامًا ولا يلقي بظله على المستقبل المبارك لهذا الاتحاد الإسخاتولوجي، أما المظهر الروحي الشخصي لهذا الاتحاد الجديد، نجد نبوة عنه في (هو ٢: ١٨-٢٠). والمظهر الطبيعي بصبغته فوق الطبيعية، فيشار إليه في (هو ٢: ٢١-٢٣). وفي الأصحاح الرابع عشر تتحد الصورتان. فيصبح الإسرائيليون أبناء الله الحي (١: ١٠). وقد استخدم الرسولان بولس وبطرس هذه الوعد وطبقاه على دعوة الله للأمم (١بط٢: ١٠، رو ٩: ٢٥-٢٦). هذا لأن المبدأ في الحالتين لا يتغير، ولأن الأمم قد أُدخِلوا في نطاق عهد إسرائيل. وسوف يتبع رد إسرائيل زيادة كبيرة في النسل (هو ١: ١٠) وأن لقب يزرعيل (١: ٤) الذي كان له معناه المشئوم، سوف يكون له معناه الجديد المُفرح. وسوف يزرع الرب الحفنة الباقية من شعبه في الأرض ليجعل منها جمهورًا عظيمًا. وسوف تتحد المملكتان، ويتم رأب الصدع الذي حدث بينهما. وسيقيم الشعب المتحد ملكًا داوديًا عليهم (هو ١: ١١، ٣: ٥). وسيتند سلطانهم إلى الشعوب المجاورة (هو ١: ١١). وهو ما تحقق تاريخيًا بعد العودة من السبي.

٢- أنبياء السبي وبعد السبي (إلى فترة ما بين العهدين)

وقعت كارثة السبي، وأُخِذَ خيرة القادة والشعب مأسورين إلى بابل. تركوا المدينة المقدسة، بعد أن هُدِمَت أسوارها وخُرِّبت معالمها، ونُهِب الهيكل وهُدِمَ وأُحرِقَ. لذلك أحدث السبي أزمة نفسية للمسبيين، وكان تجربة مريرة لإيمانهم، فكيف يعبدون إلههم في أرض غريبة (مز ١٣٧)؟ كما أحدث السبي كسرًا في العديد من تقاليد وأنظمة إسرائيل القديمة، وكانت له نتائجه الاجتماعية والسياسية.

من هذا المنطلق تميزت النبوة أثناء السبي بالحديث عن الخير والرفاهية والبركة والرجاء في العودة، وإعادة بناء وتكريس الهيكل (إش ٥٤: ١١- ١٧، حج ٢: ٦). وإن كانت هذه التوقعات النبوية لم تتحقق للعائدين من السبي، فور عودتهم، إلا أنها ظلت حية وفاعلة، إلى أن تحققت في مرحلة تالية[٢٤].

وسنعرض الآن باختصار لكل واحد من أنبياء تلك الحقبة التاريخية، ثم نحاول الوقوف على ألمع القضايا المشتركة بينهم.

أولاً: إرميا

تنبأ إرميا قبل وأثناء السبي البابلي. وقد عاصر الكثير من الأحداث الهامة والفاصلة في حياة مملكة يهوذا، وكان له دور فاعل في توجيهها. فقد عاصر اكتشاف سفر الشريعة في الهيكل في صندوق التقدمة (٢أخ ٢٢-٢٣). وعاصر محنة السبي، وبذل قصارى جهده ليمنع مصائب عدة، وذلك بمحاولته التخفيف من حدة عناد يهوذا واتكاله على مصر، لكنه فشل (إر ٤٢: ٧-٤٣: ٤)، ولهذا السبب وقعت محنة السبي.

كلَّف الله إرميا برسالة: «**ها قد جعلت كلامي في فمك. انظر! قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك، لتقلع وتهدم وتُهلك وتبني وتغرس**» (إر ١: ٩-١٠). بهذه الرسالة واجه إرميا فساد المجتمع، حتى البقية كان قد دب فيها الفساد (إر ٦: ٩، ٨: ٣، ١١: ٢٣). لذلك أكد إرميا أن الرب سيترك أورشليم والهيكل والتابوت للخراب مادام هناك الظلم والفساد، كما خرّب شيلوه لأجل شر الساكنين فيها (إر ٧: ٤، ١١-١٥)[٢٥]. ومن الواضح أن رسالة إرميا تأثرت بسفر التثنية (الشريعة) الذي أُكتشف في الهيكل، والذي كان يؤكد على لعنات العهد نتيجة للتمرد ورفض وصايا الرب، لذلك تنبأ إرميا بالسبي ومآسيه. كما أكد سفر الشريعة على بركات العهد عندما يتوب الشعب ويرجع إلى الله، ومن هنا تنبأ إرميا عن العودة إلى الماضي المجيد، عندما يعود شتات إسرائيل ويهوذا للأرض من الأماكن التي تشتتوا فيها (إر ٢٣: ١-٨، ٢٩: ١٠-١٤). وأن أورشليم سيُعاد بناؤها (إر٣١: ٣٨-٤٠) والملك الداودي سيملك (إر٢٣: ٥-٦). وقد نظر إرميا إلى العودة من السبي كأنها خروج جديد (إر٢٣: ٧-٨). وقد حدَّد إرميا متى يعود الشعب من السبي، بعد سبعين سنة (إر ٢٩: ١٠)، عندما يطلب الشعب الله من كل قلوبهم (إر ٢٩: ١٣) قارن (تث ٣٠: ٢)[٢٦].

كانت أهم حقيقة ركز عليها إرميا هي حقيقة العهد الجديد. فالعهد الأول قد تغيَّر ونُقض نتيجة لتغير الشعب،

الرب لم يتغير بل ظل أمينًا. لذلك تنبأ إرميا أن عهدًا جديدًا سيُقيمه الرب مع إسرائيل التي تطهرت في بوتقة السبي، وخرجت منها جماعة جديدة (إر٢٤: ٤-٧). فهي جماعة جديدة، حتى وإن كان أصلها الشعب الضال ولكن الرب طهَّرَها ونقَّاها، وجعلها جماعة تستحق بنعمته أن تدخل معه في عهد. هذا العهد الجديد عهد روحي مجيد يبلغ قمته في المسيح (إر ٣١: ٣٠-٣٤). وهو عهد بر ومعرفة كلية، عهد القلب الجديد، عهد الصلة الروحية العميقة مع الله، فالعلاقة مع الله وعبادته لم تعد محصورة بمركز جغرافي في أورشليم. وهذا ما أبرزه إرميا في رسالته التي بعث بها إلى المسبيين في بابل، إذ كان الإسرائيلي يعتبر الغربة عن أرضه هي بمثابة بعده عن الله نفسه. لأن مركز يهوه أضحى في أورشليم وبالتحديد في الهيكل. لذلك من يتأمل مزامير ٤٢، ٤٣، ١٣٧ يلمس الإحساس العميق بالحزن لُبُعد الإسرائيلين عن أورشليم والهيكل. لكن إرميا بجرأة يكتب للمسبيين في الرسالة السالفة الذكر أن يمارسوا حياتهم بصورة طبيعية في أرض السبي، ويعبدوا الله، فالهيكل لن يَحْصُر الله، ولن يقتصر ظهور الله على الهيكل فقط (إر ٢٩). فإعلان الله عن نفسه ليس فقط في أورشليم والهيكل بل في كل العالم. من هنا وُضعت اللبنة الأولى في الديانة الفردية، فكل شخص يستطيع أن يكون له علاقة شخصية مع الله. هذه الديانة الفردية التي تتقدم بعد ذلك فتضئ بنور الصباح الكامل في المسيح[٢٧]. ففي المسيح يصل ملكوت الله الروحي إلى تمامه، إذ يملك المسيح في القلوب.

ثانيًا: إشعياء الثاني والثالث

يتفق عدد من الباحثين المعاصرين على تقسيم سفر إشعياء إلى ثلاثة أقسام: إشعياء الأول (١-٣٩)، وإشعياء الثاني أو البابلي (٤٠-٥٥)، وإشعياء الثالث (٥٦-٦٦) وهو تلميذ إشعياء الثاني. وسنعرض لذلك بالتفصيل في المدخل لسفر إشعياء.

تنبأ إشعياء الأول في يهوذا بدءًا من سنة ٧٤٠ ق. م كما سلفت الإشارة في أنبياء قبل السبي. بينما عاش إشعياء الثاني في بابل وعايش الأحداث السياسية والدينية في فترة السبي، ورأى يد الرب تعمل بقوة وبأس. وأوحى الرب له برسالة تصل في سموها إلى درجة العهد الجديد لذلك سمي بالنبي الإنجيلي. وقد خُصصت وكُرست إعلاناته للأخبار السارة عن تحرير إسرائيل وعقاب بابل الآسرة. وقد ركّز على صهيون كالوطن الأم وعودة أمجادها (إش ٥١: ١٧- ٥٢: ٣، ٥٤: ١١-١٢) وعودة الله إليها (إش.٤٠: ٢-٥، ١٠-١١). وكما في النصوص المبكرة، إن السبي عقاب مضاعف للخطية تم في كماله (إش ٤٠: ٢) لذلك فالعودة هي عمل العدل الإلهي، به يعوض الله يهوذا، ويعاقب تجاوزات بابل المتعجرفة (إش ٤٦-٤٧ قارن تث ٣٢: ٣٦-٤٣). فالله سيجري عملاً جديدًا مع شعبه، ويخلقهم خليقة جديدة (إش ٥١: ١١) ويعيد تشكيل العالم (إش.٤٠: ٤، ٤٥: ٢) ويجعل البرية مثمرة كعدن (إش ٣٤-٣٥،٥١: ٣)[٢٨].

وأهم ما كتب فيه هذا النبي:

أ- الله

أكد إشعياء الثاني على وحدانية الله. حتى إذا كان الله قد ترك شعبه في محنة السبي، إلا أنه هو الإله الوحيد الذي

لا يوجد غيره. وقد قدم إشعياء أدلة على ذلك كبرهان الخلق (إش ٤: ٥، ٢٦) فالله هو الذي خلق الكون وله سلطان عليه. والبرهان الثاني هو الإخبار بالمستقبل، أي الإخبار بأمور آتيات (إش ٤١: ٢١-٢٥). هذه الآتيات حتمية الحدوث لأنها إعلان الله وترتيبه، فالله هو إله التاريخ. هذه الآتيات تلخص في أن الله سيرفع أورشليم من الحضيض إلى المجد (إش ٤١: ٢٥-٢٧) وسيقيم كورش ليتمم قصده السامي (إش ٤٤: ٢٨، ٤٥: ٧)، فالله هو الذي يصنع التاريخ. أما البرهان الثالث فهو بر الله الذي يظهر في أعماله. وبر الله لا يتجلى في عقاب الخطية بل في الخلاص. فبر الله ليس سلبيًا بل إيجابيًا يخلص ويفدي (إش ٤١: ١٠)، فقد أَنْهَض كورش لخلاص شعبه. نعم إن بر الله يقتضي التأديب كما فعل مع الشعب إذ أرسلهم إلى السبي، لكنه لا يقف إلى هذا الحد، إنه يتقدم إلى الخلاص والفداء، ففي تأديبه يظهر بره كإله فادي لكل شعبه. وهذا هو أساس العهد الجديد (رو٣: ٢١-٢٦).

ب- عمل الله الجديد

تنبأ إشعياء إن الله سيبدأ معهم صفحة جديدة، ينسى كل الماضي (كل خطاياهم) ويعمل معهم أمرًا جديدًا «**هاأنذا صانع أمرًا جديدًا. الآن ينبت. ألا تعرفونه؟ أجعل في البرية طريقًا، في القفر أنهارًا**» (إش٤٣: ١). هذا الأمر الجديد يسميه الآتيات تمييزًا له الأوليات. فما هو هذا الأمر الجديد؟

في الآية التاسعة من نفس الأصحاح: «**اجتمعوا يا كل الأمم معًا ولتلتئم القبائل. منْ منهم يُخبر بهذا ويُعلمنا بالأوليات؟ ليقدموا شهودهم ويتبرروا. أو ليسمعوا فيقولوا: صِدقٌ**». يخبرهم النبي أن الآتيات لم تنبت بعد ولكنه سيعلنها لهم. ثم يتقدم خطوة للأمام ليعلن في (إش٤٣: ١٩) أن الأمر الجديد بدأ ينبت أمامه، ثم يعلن في (إش ٤٨: ٦) أن الذين يسمعون هذا الكلام قد عرفوا هذه الآتيات، إنهم يمرون فيها ويختبرونها. هذه الأمر الجديد هو الرجوع من السبي (إش ٤٣: ١٩-٢٠). هذا العمل يعتبر من أقدس وأمجد الأعمال لأولئك الذين لم يستطيعوا أن يرنموا ترنيماتهم في أرض غريبة (مز ١٣٧: ١-٥)، وقد أمر الرب كورش (الملك الفارسي، الذي دعاه إشعياء مسيح الرب) (إش ٤٥: ١) أن يعمل هذا العمل العظيم. وقد اعتبر إشعياء العودة من السبي كخروج جديد بل وأعظم من الخروج الأول. وخروج السبي هذا ما هو إلا رمز لخروج آخر يقوم به الرب مع هذه البقية الباقية من الشعب. هذا الخروج هو الروحي من السبي الروحي، سبي الخطية. وهو خَلْق جديد لهذا الشعب لكي يُؤَهَّل أن يحمل الرسالة القديمة بنجاح، ويشهد للرب بقوة. ويعلن النبي أن هناك صلة بين الخلاص المادي، أي الرجوع من السبي، وبين الرجوع الروحي، أي غفران الخطية ومحو الذنوب. فالشفاء الجسدي هو العلامة على الشفاء الروحي. قد يكون الرجوع من السبي هو المهم في نظر المسبيين، لكن الأهم في نظر النبي الموحَى إليه هو مغفرة الخطايا، وخَلْق هذا الشعب من جديد، حتى يحمل الشهادة لله ويكون نورًا للأمم.

جـ- عبد الرب

هو الشخص الذي يُحَمِّله الرب برسالة فيتممها، ممثلاً الله الذي أرسله أصدق تمثيل. وسندرس بتوسع قصائد عبد الرب لاحقًا.

د- اتساع ملكوت الله

تنبأ إشعياء باتساع ملكوت الله حتى يشمل الأرض كلها، فإسرائيل سيتمجد والأمم سيرجعون إلى الرب. وسيستخدم الرب ثلاث وسائط ليرجع الأمة إليه:

١- إظهار مجده وإعلان بره وشريعته (إش ٥١: ٤، ٥) فهو يظهر مجده بإقامته «كورش» الوثني لعمل مسرته (إش ٤٥: ١-٧) ثم بالخلاص المجيد الذي يجريه لشعبه (إش ٥٢: -١٠).

٢- الخلاص والتمجيد الذي يسبغه على شعبه الذي كان مسكينًا ونائحًا، فعندما يرون الأمة وقد تمجدت ينبهرون منها (إش ٥٤: ١١-١٢) ثم يخضعون لها ويرجعون حاملين أولادها معهم (إش ٤٩: ٢٣) ثم يبنون أسوارها (إش ٦٠: ١٠) ويخدمونها دائمًا (إش ٦١: ٥) فتمجيد الرب للشعب ليس لإخضاع الأمم وإذلالهم ولكن لإرجاعهم إليه.

٣- عبد الرب نفسه وعمله (إش ٤٢: ٤، ٥٢: ١٣-١٥، ٤٩: ٦، ٥٣: ١٢) فعمل الرب في الإعلان والتعليم والفداء يقوم به لكل الشعوب والأمم فيرجعون إليه[٢٩].

أما إشعياء الثالث (إش ٥٦-٦٦) فقدم إعلاناته في يهوذا بعد العودة من السبي. إذ عاصر خيبة الأمل في سرعة تحقيق الآمال النبوية بالازدهار والبناء والرفاهية، وذلك بسبب قائمة الخطايا التي سقطت فيها أورشليم وشعبها (إش ٥٦- ٥٩، ٦٦: ١-٣). ففي نبوات إشعياء الثالث يدمج إعلانات الخلاص مع الدينونة، على خلاف إشعياء الثاني المتفائل. فإن إشعياء الثالث يعترف بخطايا الشعب (إش ٦٣: ١٥-٦٤: ١٢) ويعلن دينونة الله على «كل جسد» (إش ٦٦: ١٥،١٦ قارن إر ٢٥: ٣٠-٣٣) هذه الدينونة متزامنة مع خلق الله لسماوات جديدة وأرض جديدة (إش ٦٥: ١٧، ٦٦: ٢٢) وأورشليم جديدة (إش ٦٥: ١٨-٢٥ قارن إصحاح ٦٠) التي يسكن فيها البر، وتعم بركات العهد في العالم الذي سيعود إلى السلام والفردوس (إش ٦٥: ٢٥).

إن رسالة إشعياء الثالث الأساسية هي الاختلاف الحاد والحاسم بين زمن الحاضر الشرير، الذي سينتهي بدينونة عالمية تستأصل الشر، وخلق العالم الجديد (السماء والأرض) التي فيها يتحقق قصد الله الأساسي. وبالرغم من أن النبي لا يذكر (نهاية) أو (بداية جديدة) فإن الاختلاف بين الحاضر والمستقبل تركُّز الذي يعُود إلى البدايات الأساسية، يبدو أنه يبرر مصطلح الإسخاتولوجي[٣٠]. وإن كانت رسالة إشعياء الثالث تبدو موازية ومشابهة لرسالة الكتابات الرؤوية، إلا أن هناك فرقًا بينهما أشارت إليه الدراسات المعاصرة.

ثالثًا: حزقيال

تنبأ حزقيال في بابل سنة ٥٩٠- ٥٧١ ق.م تقريبًا. وقد فسَّرَ السبي كعقاب للزنا الروحي عن الله، كما توقع النهاية للعقاب وعودة بركة الله. وفي إعلاناته عن المستقبل (الأصحاحات ٣٤-٣٧) يُفصِّل ويتوسع في الدوافع التي أشار إليها

إرميا. أن خراف إسرائيل التي أفسدها رعاتها (القادة السياسيون والدينيون)، والتهمتها وحوش البرية (الأمم)، سوف يطلبها الرب ويعيدها إلى جبال إسرائيل، فإن إلههم سيصنع معهم عهد سلام، مبعدًا الوحوش عن الأرض، ويُطعم شعبه ويقودهم، واضعًا إياهم تحت رعاية داود (حز ٣٤).

وفي حزقيال ٣٦: ٢٢-٣٦ يشرح إرجاع الله لهم على أنه خليقة جديدة، فإن الله سوف يُطَهِّر إسرائيل من خطيتها، ويضع روحًا جديدة في شعبه، ويغير قلبهم الحجر بقلب جديد، والأرض المهجورة، ستكون كجنة عدن. ويمتد التصوير في الأصحاح السابع والثلاثين شارحًا القيامة وإعادة خلق الأمة الميتة. عندئذ ستعود إسرائيل ويهوذا لأرضهم ويرتبطان معًا في أمة واحدة ، وتُحكَم بواسطة رئيس وراعي واحد من نسل داود، في حضور الرب الذي سيجعل العهد الأبدي بالسلام معهم، ويسكن بينهم في المقدس. ويُوضِّح حزقيال أهمية المدينة والمقدس في حزقيال ٤٠-٤٨ حيث يسجل الرؤية الواسعة التي توازي (حز ٨-١١) أن المقدس القديم المدنس الذي فارقه مجد الرب (حز١٠) سيُبدل بهيكل جديد يعود فيه مجد الرب حز ٤٣: ١-٩).

رابعًا: حجي وزكريا

سنة ٥٣٨ ق. م استولى كورش الفارسي على عرش بابل، وكان هذا الرجل مستنيرًا متسامحًا، لذلك أصدر مرسومًا بمنح المسبيين من كل أمة حقوقهم في العودة إلى بلادهم، وأطلق الحرية الدينية (عز ١: ٧-١١)، فعاد من السبي فوج كبير كما سلفت الإشارة. إلا أن الراجعين من السبي واجهوا مشكلات كبيرة في بناء الهيكل، فتوقف البناء، إلى أن جاء النبيان حجي وزكريا سنة ٥٢٠ ق. م، وحفَّزا الشعب والقادة الدينيين والسياسيين على إعادة بناء حياتهم الروحية وعلاقتهم بالله وبناء الهيكل. وتجاوب القادة والشعب إذ نبَّه الرب أرواحهم، وبدءوا بناء الهيكل (حجي ١: ١٢-١٥). إلا أنه بعد أن أنهوا البناء قلل الشيوخ من مجد الهيكل الجديد إذ قارنوه بالهيكل القديم. هنا جاهد حجي وزكريا ليدعما إيمان ورجاء الشعب وسط هذه النظرة اليائسة المُحْبَطة (حج ٢: ٦، ٧، ٩).

وقد ربط حجي وزكريا آمالهما بزربابل الداودي، الذي اعتبره زكريا (الغصن) الذي تنبأ عنه إرميا (زك ٣: ٨، ٦: ١٢-١٣، إر ٢٣: ٥). والذي يعتبره حجي كعبد الرب ومختاره (حج ٢: ٢٣). وهو مع رئيس الكهنة المسوح (يهوشع) سيكونان كسليمان الذي سيبني الهيكل ويجلس على كرسي الملك (زك ٣، ٦: ٩-١٤). فكل من حجي وزكريا رأيا في وضعهم الحاضر وفي الشخصيات التي كانت آنذاك تحقيقًا لنبوات أنبياء قبل السبي بالعودة وإعادة البناء[٣١]. وقد عاصر النبيان حجي وزكريا عدد من القادة الدينيين والسياسيين المؤثرين في تاريخ الشعب مثل نحميا وعزرا اللذين كان لهما دور قيادي فاعل في بناء الحياة الروحية وتعليم الشريعة للشعب. وكذلك في بناء أسوار أورشليم المنهدمة. وقادا الشعب في العودة إلى الله وتجديد العهد، والانفصال عن نجاسات الأمم الوثنية وعالجا مشكلة الزواج المُختلط مع الأمم الغريبة (عز ٩). هذا العمل على الرغم من أنه كان له تأثيره الإيجابي في تطهير الأمة، إلا أنه كان له تأثيره السلبي إذ أدّى إلى الانعزالية، فانقطعت رسالة الله للأمم من خلال اليهود كشعب مختار من الله لتوصيل هذه الرسالة.

قضايا مشتركة بين أنبياء السبي وبعده

اشترك أنبياء السبي وبعد السبي في بعض القضايا التي مَيَّزت نبوتهم عن أنبياء قبل السبي. وأهم القضايا هي:[٣٢].

١- من الدينونة إلى الرجاء

لقد رأى أنبياء السبي وبعده، الرجاء خلف الدينونة. كانت الدينونة جزءً هامًا من تعليم أنبياء قبل السبي، فقد قال عاموس: **قال لي الرب: «قد أتت الساعة على شعبي إسرائيل. لا أعود أصفح له بعد»** (عا ٨: ٢). وقال هوشع: «**تختفي الندامة عن عينيَّ**» (هو١٣: ١٤). وإشعياء الأول: «**فيرفع الرب أخصام رصين عليه ويهيج أعداءه: الأراميين من قُدام والفلسطينيين من وراء، فيأكلون إسرائيل بكل الفم. من كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد!.. لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه، ولا يرحم يتاماه وأرامله، لأن كلاً واحد منهم منافق وفاعل شرٌ، كل فم مُتكلم بالحماقة. مع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد!.. منسى أفرايم، وأفرايم منسى، وهما معًا على يهوذا. مع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد!**» (إش ٩: ١١-١٢، ١٧، ٢١). وفي إرميا والنبوات الأولى لحزقيال، نسمع نفس الرسالة عن دينونة وشيكة بالسبي. لكن بعد حدوث السبي بدأ الأنبياء يلتفتون إلى ما هو خلف الكارثة من أغراض إلهية أفضل لإسرائيل (إر ٢٩: ١١). وهذا واضح في بعض النبوات المسجلة في (إر٣٠-٣٣)، (حز ٣٦-٤٨) وفوق الكل إشعياء الثاني (٤٠-٥٥).

إلا أن تفاؤل الأنبياء الصالحين كان تفاؤلاً حذرًا، ففي (إر ٢٨) نقرأ أن إرميا جَادل وعارض حننيا النبي، الذي قال: «**في سنتين من الزمان أردُّ إلى هذا الموضع (هيكل أورشليم) كل آنية بيت الرب التي أخذها نبوخذناصّر ملك بابل من هذا الموضع، وذهب بها إلى بابل. وأرد إلى هذا الموضع يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا وكل سبي يهوذا الذين ذهبوا إلى بابل، يقول الرب، لأني أكسر نير ملك بابل**» (إر ٢٨: ٣-٤). فقد رفض إرميا هذا التفاؤل المزيف، لأنه رأى أن السبي جزء من خطة الله، وعندما يتم سيحدث تغير في مصير يهوذا.

وأكد إشعياء الثاني أن السبي كان جزءًا من مُخطط الله كعقاب على الخطية (إش٤٣: ٢٧-٢٨)، وأكد أن المستقبل الجديد الأفضل ينبع من أن الله حقَّق تأديبه لشعبه. ويأتي وقت (وقد أتى، وفقًا للنبي) أن جهاد الأمة قد كمل: «**طيبوا قلب أورشليم ونادوا بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها**» (إش ٤٠: ٢). وهذا يتضمن إشارة إلى أن البابليين، أداة يهوه للعقاب، قد تجاوزوا حدودهم، وعاملوا بني إسرائيل بقسوة أكثر مما يستحقون، وهكذا وقع البابليون تحت قضاء وشيك الحدوث (إش ٤٦-٤٧). وقال زكريا: «**أنا مُغْضِبٌ بغضب عظيم على كل الأمم المطمئنين. لأني غضبت قليلاً وهم أعانوا الشر**» (زك ١: ١٥). فقد صبَّ الله غضبه على شعبه في السبي، الذي انتهى الآن، وليس هناك خطر في تكرار السبي ثانية.

إلا أنه بعد العودة من السبي حذَّر ملاخي من أن الخطية تقود إلى الجفاف والمجاعة (ملا ١: ٦-١١) وأن التقدمات المعيبة تقود إلى عدم مسرة الله (ملا ١: ٦-٢: ٩). وقد أدان إشعياء الثالث الظلم الاجتماعي والممارسات الوثنية (إش ٥٩).

٢- دعوات للتوبة

الدعوة للتوبة جزء أساسي من رسالة الأنبياء عبر الزمن. إلا أن هذه الدعوة تزايدت أثناء وبعد السبي، فقد حثّ إرميا معاصريه أن (يتوبوا) ويبتعدوا عن الممارسات الوثنية. إلا أنهم لقساوتهم تنبأ بكارثة السبي. وأن توبتهم المتأخرة – أثناء السبي– لا تُبدّل مجرى الأحداث وتلغي قضاء الله بالسبي، بل عليهم أن يمارسوا حياتهم في أرض السبي (إر ٢٩). وأن الله يستخدم السبي لتنقيتهم، وعند تمام قضاء الله وتمام توبتهم سيعودون من السبي. وتضمنت دعوة إرميا للتوبة حثهم على رفض الآمال الكاذبة. ويتفق حزقيال في نبواته الأولى مع توجّه إرميا، فقد أكد حزقيال مسؤولية الشعب عن المصير الذي وصلوا إليه في السبي، وعن الاعتقاد أن هناك عودة سريعة.

في فترة ما بعد السبي، ركّز الأنبياء في رسالتهم على تغيير القلب والسلوك وإصلاح الحياة الاجتماعية، والإسراع بإعادة بناء الهيكل (حج ١: ٤، ٩). ونادى «زكريا» بضرورة تجديد الحياة والعدل الاجتماعي (زك ٨ : ١٦-١٧) وهو ما يذكرنا برسالة عاموس وإشعياء الأول. وقد اجتهد النبيان حجي وزكريا لتحسين الوضع الاجتماعي للأمة، وأعلن كل أنبياء بعد السبي أن الله يسعى إلى إصلاح وتجديد أخلاقي للأمة.

٣- تنبؤات عن أمم أجنبية

منذ فجر النبوة نطق الأنبياء بنبوات عن أمم أجنبية، إذ كان الملوك يستشيرونهم في دخول الحرب من عدمه. ويفترض عاموس في الأصحاحين الأولين من سفره أن مستمعيه كان مألوفًا لهم عادة النطق بالنبوات عن سقوط أعدائهم. إلا أن أنبياء قبل السبي استبدلوا الحديث عن الكوارث لأعداء الأمة، بالحديث عن دينونة إسرائيل نفسها. وقد رأى إرميا إسرائيل كالعدو الذي لعنه الله. لكن أيضًا قبل السبي كان هناك اهتمام قليل بمصير الأمم الأجنبية أُدين بعضها بسبب عداوتها لإسرائيل، بينما أُدين البعض الآخر لأنها كانت أداة يهوه لعقاب شعبه، لكنها تجاوزت حدودها وتجبرت على إسرائيل. و(إش ١٠) يُظهر السقوط النهائي لأشور بعد أن نفّذت مهمتها في عقاب إسرائيل. ومن إرميا إلى ما بعد العودة من السبي اتسع اهتمام الأنبياء بالحديث عن مصير الأمم الأجنبية، فكل من حزقيال وإشعياء الثاني رأيا سقوط بابل كتمهيد للرجوع النهائي لإسرائيل إلى أرضها. وتجدد التقليد القديم للَعْن أعداء إسرائيل (بابل مثلاً) وسقوطهم السريع كوعد من يهوه (إش ٦-٤٧، إر٥٠-٥١). لأن البابليين أظهروا طغيانهم وجبروتهم على إسرائيل (قارن أشور إش١٠). ويعلن الله أنه اختار الملك كورش الفارسي كنائب له في دينونة بابل ومَنْ ثَمَّ الخلاص لليهود. وقد وصف كورش أنه مسيح الرب (إش٤٥: ١-٧) هذا اللقب الذي اُستخدم من قبل عن الملك الداودي.

بجانب النبوات الخاصة عن دينونة بابل وخلاص إسرائيل وبركة فارس، احتوى إشعياء الثاني وما بعده على نبوات

غامضة عن أمم أُخرى ذكر اسمها أحيانًا ولم يُذكر أحيانًا أخرى. كما أن هناك نبوات عن تجمع الأمم إلى أورشليم وسقوط الحواجز بين اليهود والأمم، وأن كل البشرية ستأتي إلى معرفة يهوه بكونه الإله الواحد (إش ٩: ٢٤-٢٥، ٥٦: ٣-٨، زك ٨ : ٢٠-٢٣). وينتقد ملاخي العبادة الإسرائيلية المعيبة، ويشير إلى أفضلية الأمم الذين يقدمون للرب تقدمة طاهرة (ملا ١: ١١-١٤).

٤- اتساع الفكر الإسخاتولوچي

اتسع الحديث عن الأخرويات في نبوة بعد السبي عنه في نبوة قبل السبي، وقد يرجع هذا إلى:

أ- المجال الزمني لنبوات بعد السبي أطول، لأن اهتمام أنبياء قبل السبي انصب على النتائج السلبية العاجلة لخطية الأمة. في حين أن أنبياء بعد السبي اهتموا بمجال تاريخي أطول، فبدءوا التفكير في أن الله له خطة مُفصّلة لتاريخ كل الأمم.

نبوات قبل السبي تعطي انطباعًا أن يهوه يتصرف بحدة وفي الحال تجاه السلوك الإنساني، لكن ليس لديه مخطط ضخم يتحقق على مراحل وفق جدول زمني. لكن في حزقيال وإشعياء الثاني والثالث وزكريا يبدو التاريخ أنه يُشَكِّل تقدمًا منظمًا للخطة الإلهية، مع دور بشري ثانوي.

بالطبع اهتم أنبياء بعد السبي بالمستقبل القريب لشعبهم، لكن مشغوليتهم كانت أشمل، وكانت لهم أعمال رؤوية أخروية لمرحلة العهد الجديد، وإشارات إلى مصير الفرد بعد الموت، وكذلك إلى نهاية العالم بأكمله.

ب- التعبير (إسخاتولوچي) قد لا يشير إلى خطة طويلة المدى، لكن للتشديد أن ما يحدث في التاريخ البشري هو فعل إلهي. هذا الفعل الإلهي يقود إلى تحقيق الغرض الإلهي، ويُنجَز بأكثر من وسيلة بشرية. فالله يتدخل بشكل مباشر في تقدُّم التاريخ البشري، مُستَخْدِمًا العوامل البشرية (إش ٣٤، زك ١٤).

قضايا إسخاتولوچية مشتركة بين أنبياء العهد القديم جميعًا

على الرغم من أن لكل فترة زمنية رسالة نبوية تتناسب مع ظروف الزمان والمكان والسكان، إلا أن من يدرس الفكر الإسخاتولوچي في المراحل الزمنية للعهد القديم يكتشف أن هناك موضوعات إسخاتولوچية مشتركة.

١- إسرائيل[٢٢]

قدَّم الأنبياء رسالة الله بشكل عام لإسرائيل طوال تاريخ الأمة. منذ بدء تاريخ الشعب، مرورًا بالفترة التي لم يكن الشعب فيها يعيش كأمة مستَعْبَدة ومُبعَدة، وصولاً إلى الفترة التي كان فيها الشعب المختار يعيش كأمة مستقلة حرة بعد السبي. كانت رسالة الأنبياء قبل السبي هي أن سقوط إسرائيل وفشلها في علاقة العهد، يأتي بها إلى النهاية. وأنه إن لم تكن هناك توبة قلبية، فإن الدينونة آتية لا محالة. فالرسالة كان هدفها الحث على التوبة، وبالتالي تجنُّب الدينونة. أثناء وبعد السبي استمر الأنبياء في تقديم رسالة الله لإسرائيل، ليس كأمة بل كشعب (أُنَاس). فمن ناحية،

كانت رسالتهم موجهة لأولئك الذين في السبي، ومن ناحية أخرى كانت رسالتهم موجهة للعائدين من السبي إلى ارض الموعد. وقد استمر الأنبياء يتحدثون عن الدينونة الآتية، لكن مع توقع المستقبل تحدثوا أيضًا عن عودة إسرائيل التي تحدث بعد الدينونة.

إن مكانة إسرائيل في إسخاتولوچي الأنبياء والأدب الرؤوي، تمثل صعوبة في التفسير:

أ- بينما يشير الكتاب المقدس بوضوح للإيمان المتعلق بالمستقبل البعيد، أي عودة المسيح والعالم المتغير. فإنه يحذر من مخاطر محاولة تحديد الوقت الدقيق للأحداث (مر١٣: ٢٢، أ ع١: ٦-٧).

ب- غموض لغة الحديث عن المستقبل في الكتاب المقدس.

جـ- خلال مسيرة التاريخ المسيحي، كان لكل عصر تفسيراته التي طابقت التوقعات النبوية والرؤوية مع الأشخاص والأحداث في عصرهم. ولقد أثبت التاريخ خطأ هذه التفسيرات.

د- محاولات ربط حكم إسرائيل في المستقبل، بما يسمونه المُلك الألفي الحرفي (رؤ٢٠: ١- ١٠) هذه المحاولات ضعيفة وهشة ويجب أن تُعامل بحذر شديد، كما يجب البُعد عن التفسير الحرفي لهذا النص الرؤوي، ومدى علاقته بإسرائيل.

هـ- تأسيس دولة إسرائيل الحديثة سنة ١٩٤٨م حدث سياسي، وليس تحقيقًا للرجاء النبوي القديم.

٢- المسيا

مفهوم المسيا معقد جدًا، فالمُصطلح (مسيا) أو (ممسوح) أو (مسيح) كان يُطلق على أولئك الممسوحين سواء، حرفيًا أو مجازيا، من الملوك والكهنة والأنبياء. وقد وردت في العهد القديم خمس صور للمسيا:

أ- صورة المسيا الذي يأتي من نسل المرأة، ويحارب الحية ويسحق رأسها، وقد فهم كُتَّاب الوحي أن الحية ترمز إلى إبليس، وأن نسل المرأة يرمز إلى المخلص (رؤ ١٢: ٣-٥). وهو ما درسناه في نبوة «نسل المرأة» (تك ٣) قارن نبوات «حتى يأتي شيلون (تك ٤٩) و «نبوات بلعام» (عد ٢٤) ونبوة «النبي المثالي الأخير» (تث ١٨) التي أشرنا إليها جميعًا في الباب الثاني من الجزء الأول من هذه الدراسة.

ب- صورة المسيا الملك ابن داود (٢صم ٧: ١٣، ١٦، ١٩). وقد درسناها في الباب الثالث من الجزء الأول أيضًا بعنوان «الميثاق الداودي».

جـ- صورة المسيا المخلص الموجود من قبل مجيئه (مي ٥ : ٢) قارن (إش ٩: ٦-٧).

د- صورة «ابن الإنسان» التي تكررت في العهد القديم ولا سيما في حزقيال وتُرجمت «ابن آدم»، وفي دانيآل وترجمت أيضًا «ابن آدم» (دا ٨: ١٧)، و«ابن الإنسان» (دا ٧: ١٣، ١٤).

هـ- صورة «عبد الرب» وهي من أعمق وأجّل الصوَر التي وردت في العهد القديم. وهي الصورة التي يحبذها السيد في وصفه لنفسه[٣٤]. فالنبي إشعياء (إش ٥٣) يبرز صورة المسيا «عبد الرب» المُكَفِّر بذبيحة نفسه عن خطية إسرائيل على أساس مبدأ حمل الخطية النيابي.

والمسيا هو الملك المثالي (إش ٩) الذي هو عطية من الله: «**لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيبًا مُشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام. لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليُثَبِّتَها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا**» (إش ٩: ٦-٧). ومن يدرس هذا النص الكتابي يرى التطابق الكامل بين هذا الابن وبين الرب بصورة تعلن ألوهيته، فلا يمكن لمن لا تتوفر فيه هذه الصفات التي يعددها النبي، أن يقوم بالعمل المقدس المنوط به. إذ نلتقي بأربعة أسماء أو أربع صفات:

«العجيب المُشير»، «الإله القدير»، «الأب الأبدي»، «رئيس السلام». تشير الصفتان الأوليتان إلى ماهية المسيا، أما الأخيرتان، تشيران إلى صلة المسيا بشعبه. تصف الأولى حكمته في المشورة، والثانية قدرته في العمل والتنفيذ. ومن استخدام بعض هذه الصفات، للإشارة إلى الرب نفسه (إش١٠: ٢١، ٤: ٢٨) نستطيع أن نرى المستوى الرفيع الذي سما إليه النبي في تعليمه عن المسيا.

وفي (إش ١١) يؤكد حقيقة تزويد المسيا بعطية الروح القدس للقيام بمهامه، فروح الله يحل عليه، ليس حلولاً مؤقتًا، بل بصورة دائمة (قارن إش ٦١: ١-٣). وقد أشارت الأناجيل إلى هذه الصور عن المسيا[٣٥].

من هنا نَخْلُص أن المسيا في معناه البعيد هو المسيح المُخَلِّص الفائق الذي يأتي من نسل داود بالجسد، وهو الذي أشار إليه العهد الجديد أنه تحقيق للنبوات. أما في معناه القريب لعصر الأنبياء كان إشارة إلى ملوك وقادة صالحين يأتون من نسل داود ليخلصوا الشعب من مآسيهم ويقودوهم إلى معرفة الله ويعيدون إليهم الأيام المثالية، التي تكون كالفردوس المُسترد (إش٤: ٢، ٣١١: ٦-٩، ١٣: ١٦-٣٠،٢٠: ٢٣-٢٦، ٦٥: ١٧-٢٥).

٣-ملكوت الله

المعنى الأساسي للكلمة العبرية والآرامية التي تترجم (ملكوت) هو «سلطان الله،وحكمه" ولا يُقصد به المكان أو المنطقة التي يظهر فيها الله سلطانه. وقد ورد الاصطلاح «ملكوت الله» أو «مملكة الرب» كاملاً في العهد القديم مرة واحدة (١أخ ٢٨: ٥). أما كلمة «ملكوت» ومشتقاتها تتردد في أمكنة عديدة.

وقد استخدم العهد القديم ثلاث كلمات الأولى والثانية عبرانيتان والثالثة آراميه: الأولى «مَلْكُوت» وجاءت مضافة إلى الضمير الذي يعود على الله (مز٤٥: ٦، ١٤٥: ١١-١٣، ١أخ١٧: ١٤). والثانية «مملكة» (أخ ٢٩: ١١). والثالثة كلمة آرامية «مَلْكُوتَا» (دا٢: ٤٤، ٤: ٣، ٣٤، ٧: ٢٧). وتعني الكلمات، دائمًا، حُكم الله وسلطانه. فملكوت الله في العهد القديم هو سلطان الله الأسمى، الذي يُعلن بطريقتين:

١- إعلان الله في سلطانه كخالق وإله متعال فوق الجميع (مز ٤٧: ٢-٨، ١٠٣: ١٩، دا ٤: ١٧). فالله هو خالق كل الأشياء وهي بقدرته قائمة، ويستطيع التحكم فيها.

٢- إعلان مُلك الله الفدائي، وبهذا يحصر الله سلطانه وحكمه في جماعة مخصصة له، عرفها من دون الشعوب (خر١٩: ٤-٦، ٢صم ٧: ١٢-١٣) ودخل معها في عهد مقدس (رو ٩: ١٠-١٣، تك ١٧: ٢-٨). لكن هذا المُلك الفدائي لم يبلغ الهدف المقصود له ومنه في العهد القديم، فقد كان يتطلع إلى المستقبل الآتي. وكان الرجاء في المستقبل الآتي لا يتجزأ عن إيمان شعب الرب منذ الابتداء، فإن الله هو رب التاريخ وسيده، وهو الذي اختار الشعب ليتمم مقاصده، ودخل معه في عهد، وطلب منهم الطاعة الكاملة ووعدهم أن يحفظهم ويُدخِلْهم أرض الموعد، وهو أمين وقادر ليتمم لهم ذلك. فمُلك الله في مفهوم العهد القديم لا يقتصر على الحاضر فقط بل على المستقبل أيضًا. إنه الله الفادي الذي يقود الأحداث الخاصة والعامة إلى هدف محدد، وهذه الحقيقة هي ما جعلت للتاريخ معنى[٣٦]. وتأتي فكرة مُلك الله ملازمة طبيعية للمسيانية، كما هو متضمن في النصوص الكتابية والمزامير خاصة. فإن كان الله في زمن العهد القديم يحكم شعبه حكمًا ثيوقراطيًا من خلال المسايا (المُسحاء) المختارين منه كالملوك والقضاة والأنبياء، إعلانًا لملكوته (البُعد التاريخي للنبوات)، إلا أن العهد القديم يتطلع إلى مُلْك إلهي أشمل في المسيح (البعد النبوي للنبوات) وهو ما أشرنا إليه كثيرًا في الجزء الأول، وسنتوسع فيه في الأجزاء التالية من هذه الدراسة.

الفصل الثالث: الفكر الإسخاتولوجي في فترة ما بين العهدين

تسمى فترة ما بين العهدين: «القرون الصامتة» لأن الرب كَفَّ عن الإعلان والوحي. فبعد نحميا وعزرا مضت مائة سنة لا يعرف المؤرخون عنها كثيرًا سوى أن البلاد استمرت تحت الحكم الفارسي، وأن نفوذ الكهنة بدأ يتزايد حتى أضحت السلطتان الروحية والسياسية في أيدي رؤساء الكهنة، ولهذا صار هذا المنصب أساسًا للمنافسة بين كبار اليهود. حتى أن «يوحنا بن يهوذا بن ألياشيب» (نح ١٣: ٤-٥) قتل أخاه «يشوع» الذي كان من أصدقاء «بوغوس» أحد قادة «أرتحشستا» وكان حاكمًا لتلك المقاطعة، فهجم الفرس على المدينة وخربوا جزءً منها ووضعوا جزية كبيرة على سكانها. ثم جاء «الإسكندر الأكبر» الذي نشر الثقافة اليونانية (الهلينية) وأظهر تسامحًا مع اليهود. لكنه مات في ريعان شبابه وانقسمت مملكته إلى أربعة أقسام. أهمها مصر واستولى عليها «بطليموس»، وسوريا واستولى عليها «سيلونيس» (دا ٨: ٢١-٢٢)، بينما كانت اليهودية من نصيب البطالسة الذين استمروا على سياسة «الإسكندر الأكبر» في إظهار روح التسامح تجاه اليهود، مما شجع الكثيرين من اليهود أن ينهلوا من الثقافة اليونانية، ومع الوقت تُرجم العهد القديم إلى اليونانية (الترجمة السبعينية).

انتهى عصر التسامح بعهد «بطليموس فلوبتير» الذي انتصر على «أنتيوخس العظيم» ملك سوريا، ثم زحف نحو اليهودية ودخلها، وأراد أن ينجس الهيكل فقاومه اليهود، فصب غضبه عليهم. منذ ذلك الحين تغير الحال وبدأ اليهود يعيشون في استشهاد مستمر، خصوصًا بعدما تولى الحكم أنتيوخس أبيفانس الذي أراد محو اليهودية كدين وثقافة ويُحل محلها الثقافة الهلينية، فنجس الهيكل بأن ذبح عليه خنزيرًا، وأجبر الشعب أن يذبحوا للآلهة الغريبة. عندئذ ظهر المكابيون الذين قاموا بثورة عارمة استمرت إلى أن جاءت الدولة الرومانية وهيمنت على العالم القديم كله، واختارت عميلها «هيرودس الكبير» لحكم اليهودية، منذ ذلك الحين انتهى عصر المكابيين وأصبحت اليهودية مستعمرة رومانية.

في ذلك العصر انقسم اليهود إلى فرق بسبب موقفهم من التيارات الفكرية الآتية من الخارج، التي حاولت بقوة أن تغزو بلادهم وكيانهم نفسه. فظهرت جماعة الأرستقراطيين وكان منهم رئيس الكهنة. وهم الذين أخذوا بتيار الثقافة الهلينية وصاروا الممثل لها في اليهودية، واسم هذه الجماعة (الصدوقيون). وقد أشار العهد الجديد إلى بعض معتقداتهم، إلا أن أثرهم الفكري لم يكن قويًا. كما ظهرت الجماعة التي كان يمثلها الفيلسوف اليهودي الإسكندري «فيلو»، الذي حاول جاهدًا أن يبرهن أن الفلسفة اليونانية موحى بها من الله، وهكذا حاول التوفيق بينها وبين العهد القديم. إلا أن أثر هذه الجماعة كسابقتها لم يكن ملموسًا في اليهودية. كما ظهرت جماعة ثالثة كان لها دور معارض ضد كل تيار أجنبي خارجي. وكان لها دور فاعل في الحياة والتفكير اليهوديين، ويعتقد أنها جماعة الايسنيين، أو جماعة قمران، التي أشرنا إليها في الباب الأول من الجزء الأول من هذه الدراسة. وكذلك ظهرت جماعتا الفريسيين والكتبة الذين حفظوا الناموس وحاولوا جهدهم ألا يكسروا وصية واحدة منه، بل كانوا يعملون كل ما يطلبه الناموس حرفيًا.

من هاتين الجماعتين ظهرت الأفكار المهمة عن ملكوت الله. وقد ظهرت هذه الأفكار بأسلوبين تفكير مختلفين:

١- التفكير الرؤوي[٣٧]

ينسب الباحثون كلمة رؤى لمجموعة من الكتابات الرؤوية (Apocalyptic Writing) التي ظهرت بقوة وكثرة في فترة ما بين العهدين، واستمرت فترة تتراوح ما بين ثلاثة وأربعة قرون، ما بين ٣٠٠ق. م – ١٠٠م تقريبًا. معظم هذه الكتابات من أصل يهودي وبعضها مسيحي.

وجاءت هذه الكتابات بسبب طول الزمن الذي انتظره اليهود لمجيء المسيا دون جدوى، خاصة في عام ٢٠٠ ق.م تحت اضطهاد السلاجقة والرومان، وتخيّلوا أن هناك قوة شيطانية تعطّل وعد الله ومجيء المسيا. ولذلك استخدموا رموزًا غريبة لا يفهمها إلاّ مَن يعرف معاني هذه الرموز، وكثيرًا من أخطاء المفسرين ترجع إلى تفسير الكتابات الرؤوية بنفس أسلوب تفسير باقي الكتاب المقدس، وعدم الأخذ في الاعتبار الرمزية التي كُتبت بها.

بعض سمات وملامح الكتابات الرؤوية

١– ظهور البقية التقية

لقب «البقية البارة» لقب نبوي استخدمه الأنبياء في زمن انحرف فيه بنو إسرائيل للعبادة الوثنية، وهجروا شريعة الله. إلاّ أنهم بعد عودتهم من السبي ظهرت دوائر من اليهود الأمناء المخلصين للناموس (إش ٢:٢٦، ٤:٣٧، ٣٢). وعندما حاول «أنيتوخس أبيفانس» ١٦٨ق. م تحويل اليهود بالعنف إلى الثقافة والديانة اليونانيتين، أخذت جماعات الحسدين والفريسيين هذا اللقب «البقية البارة» وأطلقته على نفسها، ونظروا لأنفسهم أنهمْ البقية التقية التي تعبد الله بأمانة وسط ضلال الأمة التي انجرفت وغابت عنها رؤية المستقبل الحقيقي. وهكذا رفضت هذه الجماعات التسليم والخضوع لأنتيوخس أبيفانس، واختاروا الموت على عدم الولاء والطاعة للناموس.

لذلك فإن كتابات هذه الجماعة الرؤوية كانت بمثابة احتجاج على العصر والوسط الذي عاشت فيه. وقد أحسّت الجماعة المسيحية بنفس الإحساس عندما بدأ الاضطهاد الخاص يمتدّ إليها.

٢– مشكلة الشر والألم.

لقد وعد الأنبياء أن البقية، إسرائيل، ستعود لميراث الملكوت. وأنذاك كانت إسرائيل قد عادت للأرض وكانوا أمناء للناموس والبر بحسب الفكر اليهودي. واستقرت الأوضاع عن طريق الأنبياء، لكن الملكوت لم يأت، بل بالعكس حاول «أنتيوخس أبيفانس» تحطيم الإيمان اليهودي، مُوقِعًا عذابات واغتيالات على الأمناء. كما أن الحرية التي تحققت بواسطة المكابيين لم تُحضِر ملكوت الله، وبدلاً من الحكم الإلهي جاء الحكم الدنيوي بعد ٦٣ق. م عانى اليهود الأبرار الذين انتظروا الملكوت من الاضطهاد والعبودية. هذا ما أثار معضلة الشر، فقد كانت المعتقدات القديمة بسيطة أن الله يعاقب المُسيء والشرير ويكافئ الأبرار. لكن في ظل الظروف التي حدثت لهم بعد العودة من السبي رغم أمانتهم، بدأوا

يراجعون أنفسهم في هذه العقائد القديمة. وصارعوا في التفكير عن سر الألم والشر الذي تعيشه البقية البارة.

٣- انقطاع النبوة

خلال تلك الفترات التي تفشّى فيها الشر لم يتكلّم الله ليوضح ويشرح لغز التأريخ. فصوت النبوة قد اختفى، ولم يظهر نبي ليُعلن «هكذا قال الرب» وليفسّر لشعب الرب المُحبَط والمتألّم لغز آلام الأبرار. وقد صرخ «باروخ» في ألم «لقد رقد الأنبياء» (باروخ ٣:٨٥). لقد ظلّ هؤلاء الأنبياء يقودون الأمة قرونًا طويلة إلى الطريق الصحيح لعبادة الله وخدمته، لكن صوتهم خفت وانتهى. وكان لا بد من ظهور ما يملأ هذا الفراغ، فظهر الرؤويون في هذا الوسط ليقدموا شرحًا لآلام الأبرار، وتأخُّر ملكوت الله. بالطبع لم يكونوا في عظمة الأنبياء لكنهم أثّروا في الناس بإيمانهم وتمسُّكهم بالله إلى النهاية في زمن صعب وظروف ضاغطة. فقد كانوا بحق أبطالاً وثقوا في الله وفي البقية البارة الباقية.

ويمكننا القول إن هذه الكتابات الرؤوية ترجع في أساسها إلى النبوة، ظهرت لكي تملأ الفراغ الذي حدث باختفاء الأنبياء، قطعًا تختلف عن النبوّة، لكنها ليست غريبة عنها ولا نبتت في تربة غريبة عن تربتها.

فالكتابات الرؤوية التي ظهرت في فترة ما بين العهدين ليست وحيًا إلهيًا، بل هي نوع من الأدب الرؤوي الذي به عبّر الرؤويون عن آلامهم وآمالهم. كما أن هناك فرقًا بين الأجزاء الرؤوية الموحى بها في أسفار إشعياء وحزقيال ودانيآل وزكريا ومتى ومرقس ورؤيا يوحنا، وبين تلك الكتب الرؤوية غير الموحى بها.

٤- الاستعارة والانتحال (Pseudanymity)

تكلّم الأنبياء باسم الرب مباشرة للشعب، بينما في عصر المكابيين كان صوت النبوة خامدًا. ولكي يعطي الرؤويون لكتاباتهم مصداقية وشرعية نسبوها إلى أسماء مستعارة من الأنبياء الذين عاشوا في القديم في زمن النبوة. كان الناس في فترة ما بين العهدين يدركون أن النبوة قد انقطعت ورقد الأنبياء وصمتت السماء، واكتملت الكتب القانونية بسفر ملاخي. لذلك أخذ الكُتّاب الرؤويون أسماءً عظيمة قديمة، بعدما كتبوا رؤى تناسب ذلك الشخص المستعار وظروف عصره. وقد نُسبت هذه الكتابات إلى حوالي عشرين اسمًا مثل سفر أخنوخ الذي يُنسب إلى أخنوخ السابع من آدم (تك ٥: ٢١-٢٤).

فكل ما ظهر في فترة ما بين العهدين لم تكن رؤى حقيقية موحى بها من الله، بل كانت أسلوبًا للكلام وتوصيل الرسالة. بالطبع تستثنى النصوص الرؤوية في الكتاب المقدس من هذه الخاصية (استعارة الأسماء). فدانيآل لا نجد اسمه إلا في سفر دانيآل، أما الموجود في (حز١٤:١٤، ٢٠ ، ٣:٢٨) لا نعلم هل يختلف عن اسم دانيآل كاتب السفر أم أنه هو.

كما أن الرسول يوحنا ذكر أنه هو الذي كتب سفر الرؤيا (رؤ ١:٤-٩ ، ٨:٢٢) ذلك لأن الكنيسة آنذاك عرفت أن النبوة رجعت إليها وفيها من جديد بإعلان من الله، فلم يعُد هناك داع لإخفاء اسم الكاتب.

٥- الثنائية

الكتابات الرؤوية ممتلئة بالثنائيات فهناك:

أ- الثنائية الكونية

يقول سفر أسدراس الثاني وهو أحد أسفار الأبوكريفا (٢أسدراس ٧:٥٠) «الله العلي لم يصنع عالمًا واحدًا بل عالمين». هذا الدهر «العالم» الحاضر المملوء بالألم والحزن للأمناء، في مقابل الدهر الآتي المملوء بالخلاص والفرح.

ب- ثنائية الخير والشر أو ثنائية الأرواح الصالحة والأرواح الشريرة.

ج- ثنائية أبناء النور وأبناء الظلمة أو أبناء الله وأبناء الشيطان أو شعب الشيطان.

ويرون أن الله عندما يتدخل، سيتدخل لا ليُصلح هذه الأرض بل ليخلق أرضًا جديدة وسماوات جديدة.

ويقول توري إن هذه الثنائية نبتت في العهد القديم، ولكنها امتصّت كثيرًا من العناصر الخارجية، كالثنائية الفارسية. فجذور هذه الثنائية والتوقع للملكوت المستقبلي متضمنة في الأنبياء (إش٣٢: ١٥-١٨ ،١١: ٦- ٩، ٦٥ : ١٧، ٦٦: ٢٢). هذا التحوّل سيحدث بافتقاد إلهي، عندما يُغيِّر الله النظام الحالي في الدينونة (إش١٣:١٣، ٤:٣٤، ٦:٥١، حج ٧:٢) وسيوجد عصرًا جديدًا يبزغ من القديم. فالثنائية الرؤوية هي تطور لأساس وجهة النظر النبوية عن العالم والفداء، فهناك فقرات في سفر إشعياء (٦٥- ٦٦) ترى انتصارًا كاملاً متضمنًا إلى سماوات جديدة وأرض جديدة. بينما بعض الفقرات في العهد القديم تشرح النظام الجديد في كلمات متشابهة كثيرًا مع النظام الحاضر. وبعض الرؤى تضع هذين التوقعين معًا، وتوقع الملكوت الزمني Temporal في هذا الدهر سيتبعه ملكوت أبدي في النظام الجديد كما ورد في سفر عزراس في الأبوكريفا (٤عزراس ٧: ٢٨- ٢٩) وقد صَوّر «باروخ» الدهر الآتي كأرض جديدة (باروخ ٦:٣٢).

عنصران هَامَّان في الثنائية الرؤوية

١- التشاؤمية

أي النظر إلى العالم المليء بالفساد والشر لدرجة معها يستحيل إصلاحه، ولو بالثورة التي ظن اليهود أنهم بها يستطيعون أن يخلّصوا أنفسهم، لكنهم فشلوا في كل مرة، خاصة سنة ٧٠م. هذا الفشل دعّم عند الرؤويين فكرة أن العالم فاسد ولا يمكن إصلاحه، وإذا تدّخل الله لإصلاحه فسوف يدمّره ويخلق عالمًا جديدًا، أي أرضًا جديدة وسماءً جديدة.

٢- الثقة الكلية في الله

فالله هو الذي سينتصر أخيرًا، ويُدمّر هذا العالم ويخلق عالمًا جديدًا بدلاً منه. وهم بذلك يختلفون عن الأنبياء الذين يرون أن هذا العالم سيُصلَح في هذا الدهر، لأن التاريخ يمكن أن يُفدى، في حين ينكر الرؤويون ذلك تمامًا. فالكاتب

الرؤوي إنسان متشائم من جهة العالم، لأنه لا يرجو فيه خيرًا، ولا منه صلاح. ويعتقد أن ملكوت الله سينتصر أخيرًا، لكنه لا ينتصر في التاريخ ولا بقوة إنسان، حتى ولو كان من ضمن شعب الرب. لكن الملكوت سيظهر بقوة الله وحده محطمًا التاريخ. فعمل الله ليس إصلاح التاريخ بل إزالته وإقامة ملكوت الله على أنقاضه. من هنا يظهر أن رسالة الرؤويين الأساسية هي إظهار قوة الله وتدخله المعجزي لدينونة هذا العالم الفاسد الشرير وتأسيس ملكوت الله بقوة.

٢- التفكير الناموسي

كان الكتبة والفريسيون يمثلون هذا التفكير أصدق تمثيل. وقد ظهرت أهمية الناموس والناموسين بعد كارثة السبي، حين جاء «عزرا» أول كاتب الذي كان قلبه مفعمًا بالإصلاح الروحي، وتعليم التوراة. وبدأت آنذاك نواة المجمع اليهودي، إذ حلَّ محل الهيكل ما عدا أيام المواسم والأعياد. وبانتشار دور المجمع تبوَّأت الشريعة مقامًا متميزًا، بعد أن كانت الذبيحة هي مركز الثِّقل في العبادة الإسرائيلية. وقد ساعد في زيادة سلطة الناموس عقيدة اليهود الجديدة في الله. فالله قديمًا كان يكلم موسى وجهًا لوجه، وكان هو الذي يُرشِد الأنبياء في الرؤى والأحلام، في الهيكل وغيره. أما الآن فقد ارتفع ولم يعد يكلم الشعب بواسطة نبي ولا رائي، إذ انقطعت النبوة، ولم تأت رؤيا.

لكن الله لم يترك شعبه بدون مرشد أو قائد، فلقد أعطاهم الناموس المكتوب الذي يتمثل في كتب موسى الخمسة. هذا الناموس حلّ محل الكلمة المسموعة من الأنبياء، وأضحى مُتحكِّمًا في جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والدينية. وقد اعتقد الفريسيون أن حفظ الناموس هو الشرط اللازم لدخول ملكوت السماوات. وانتشر قول: إنه إن حفظ اليهود سبتًا واحدًا بكل دقة وأمانة لظهر ملكوت الله في الحال. واتفق الفريسيون مع الرؤويين في أن الملكوت لا يأتي بمجهود بشري، فهو ملكوت الله، والله وحده هو الذي يُظهره ويعلنه في العالم. ومع ذلك فإن تمم الشعب الناموس فإنما يفتح الطريق لله لإعلان الملكوت، ويفتحون الباب لنفوسهم للدخول في الملكوت. ولهذا السبب دقَّق الناموسيون في حفظ الناموس، وحاول الكتبة وضع السياج الكامل حول الوصايا لحفظها من الكسر ليهيئوا الطريق لإعلان ملكوت الله[٣٨].

المسيا في فترة ما بين العهدين (اليهودية)

يمكننا تقسيم هذه الفترة إلى مرحلتين: الأولى هي التي سبقت مجيء المسيح (اليهودية المبكرة). والثانية هي مدة ظهوره على الأرض.

١- اليهودية المبكرة

أول ما يُلاحظ في هذه المرحلة هو أن كل كتابات العصر تكاد تغفل اسم المسيا وعمله، ذلك لهيمنة الكهنة على السلطات السياسية والدينية، فقد أصبح رئيس الكهنة هو الحاكم الفعلي للأمة، وهو الذي يمثلها أمام السلطات الأجنبية. استمر هذا الوضع حتى عصر المكابيين والضيق الذي كابده الشعب مما حفز الناس أن يفكروا في المسيا المخلص.

أهم ثلاثة كتب تتكلم عن المسيا هي كتاب أخنوخ ومزامير سليمان والتلمود.

أ- كتاب أخنوخ

نُسب إلى أخنوخ السابع من آدم (تك ٥: ٢١-٣٤) الذي نقله الله، ويُظن أنه كتب في مدة طويلة وكاتبه ليس شخصًا واحدًا، وإن كان قد كتبه شخص واحد، فقد جمعه من مصادر عديدة. وأهم ما في هذا الكتاب هو الجزء المُسمى أمثال وتشبيهات (٣٧-٧١). هذا الجزء يعكس كثيرًا من العناصر الموجودة في العهد الجديد، مما أوجد خلافًا بين العلماء فمنهم من قال إنه كُتِب قبل المسيح، ومنهم من قال أنه كُتِب بعد بداية العصر المسيحي.

لقب «ابن الإنسان» لقب شهير في كتاب أخنوخ أضاف إليه ووصفه بألقاب أُخرى مثل: «ابن المرأة، ابن الله المختار، والعادل». ووصفه بأنه موجود قريبًا من القديم الأيام، ولسوف يبقى إلى الأبد، وقد أقامه الله لكي يُخضع جميع أعداء الرب وشعبه (الأصحاح ٤٦). وقد أعطى الله له الدينونة، فهو يدين الكل، ولديه يسجد الجميع. فالمسيا موجود من البدء وهو أبدي. إلا أنه من الغريب أن الكاتب يعلن أن المسيا هو أخنوخ نفسه الذي رفعه الله وجعله معه.

ب- مزامير سليمان

يصف كتاب مزامير سليمان، المسيا بأنه: «ابن داود» الذي يؤيده الله بالروح القدس حتى يُرجِع الشعب من الشتات، ويعطي لهم المملكة، ويكون سلاحه في كل عمله وجهاده لا سيفًا ولا رمحًا بل كلمة الله. فالملك ليس ملكًا أرضيًا بل هو ملك البر.

جـ- التلمود

تأتي آراء معلمي اليهود المدونة في التلمود، بعد كتابي أخنوخ ومزامير سليمان. وقد أظهر التلمود المسيح في مركز عظيم لا يفصله عن الله نفسه سوى خيط رفيع. فالمسيا موجود قبل خلق الأرض والفلك، ويبني التلمود هذا الرأي على (أمثال ٨). وقبل مجيئه واستعلانه ظهر المسيا في هيئة جسمية في بيت لحم، ومكث فيها ولمّا اكتشفه أحد معلمي اليهود اختفى، ثم عاود الظهور ثانية أمام عرش قياصرة روما. ويفسر التلمود القول: «**لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نورًا**» (مز ٣٦: ٩) أن النور الذي يريهم النور هو نور المسيا. ويقولون: إن هذا النور رآه إبليس قبل سقوطه فصرخ وعلم أنه سيذوق على يديه أقسى العذاب.

ويرفعون المسيا إلى درجة أسمى من موسى، وسيقوم بخلاص أعظم وأمجد من الخلاص الذي قام به موسى. وعند ظهور المسيا سيأتي راكبًا حمارًا، هو نفس الحمار الذي ركبه موسى عند رجوعه إلى مصر، ونفس الحمار الذي ركبه إبراهيم وإسحق عند تقديم الأخير ذبيحة، هذا الحمار خُلق قبل السبت الأول للخليقة مباشرة. أما العصا التي يستخدمها المسيا فهي العصا التي أفرخت (عد ١٧: ٨). وهيَ التي توكأ عليها يعقوب عندما بارك أبناءه (عب ١١). وبوقه سيصنعه من القرن الثاني للكبش الذي قدمه إبراهيم ذبيحة عوضًا عن اسحق (تك ٢٢: ١٣). لأن القرن الأول صُنع منه البوق الذي بُوِّقَ به عند جبل سيناء (خر ١٩: ١٦). وبوق المسيا سيكون أكثر قوة وأعلى صوتًا.

وسيُنزِل المسيا المَنَّ من السماء، لكنه مَنٌّ خالد، أكثر نعمة وبركة من المَنِّ الذي أنزله موسى. وسوف يفجر الصخر بالمياه المُروية التي تفوق مياه صخرة موسى. ويجلس المسيا على يمين العظمة بينما يجلس إبراهيم على اليسار.

٢- المرحلة الثانية

اكتشف في سنة ١٩٤٧م «مخطوطات البحر الميت». في جزء منها تكشف عن جماعة كانت غامضة ومبهمة عن العلماء، هي جماعة «الايسنيين». هذه الجماعة عاصرت المكابيين في كفاحهم ومحاولاتهم لاستقلال بلادهم. لكن الايسنيين لم يستقروا في المدن بل هربوا إلى البرية مع الكثيرين من الفريسيين في عهد «إسكندر جانوس المكابي» سنة ١٠٣-٦٣ ق. م بسبب صدامه العنيف معهم. ثم رفضوا العودة إلى المدن بعد موته، بل بقوا في البرية وكونوا مجتمعًا مُغلقًا له عاداته الخاصة. استمرت هذه الجماعة إلى أن شتَّتها زلزال عنيف في أوائل حكم «هيرودس الكبير» قبل ميلاد المسيح، لكنهم رجعوا مرة أُخرى وبقوا مدة طويلة إلى أن أبادهم الرومان في ثورتهم ضد اليهود التي انتهت بخراب أورشليم سنة ٧٠ م.

أما فكرتهم عن المسيا تظهر مما يسمى (أحكام المجتمع عمود ٩ سطر ١١) من مخطوطات البحر الميت، إذ يقولون: «لا ننتظر مسيحًا واحدًا بل ثلاثة مسحاء». المسيح الأول هو المسيح النبي، بناءً على (تث ١٨: ١٨-١٩). والمسيح الثاني هو المسيح الملك أو القائد الحربي، وبنوا هذا الرجاء على تفسيرهم لنبوة بلعام (عد ٢٤: ١٥-١٧). أما المسيح الثالث فهو المسيح الكاهن، ويبنون رأيهم هذا على بركة موسى لبني هارون (تث٣٣: ٨-١١). والتميم والأوريم هما الواسطتان اللتان بهما يعرف الرائي القديم إرادة الله.

ويلاحظ في مخطوطات البحر الميت أن هناك تمايزًا بين المسحاء، فالأولوية قد أُعطيت للمسيح الكاهن. ويظهر ذلك في المنظر الذي يصف نهاية الأيام عند الجلوس على وليمة المسيا إذ يُذكر: «يجب ألا يأكل أحد خبزًا أو يشرب خمرًا قبل الكاهن، فله هو وحده أن يبارك الخبز والخمر، وأن يمد يده أولاً إلى الطعام وبعد ذلك يمد المسيا (مسيح إسرائيل أو المسيا الحربي القوي) يده ليتناول خبزًا ليأكل».

والعمل المنوط بالمسحاء هو إبادة الأشرار سياسيًا أو دينيًا. فلقد كان مجتمع الايسنيين يحتقر الكهنة الموجودين في اليهودية، ويعتقدون أنهم نجَّسوا القدس، فمتى جاء الكاهن الأعظم سيكون أول عمل له هو إبادة الكهنة الدخلاء وتقديم المحرقة المقدسة. بينما يقود مسيح إسرائيل، القائد الحربي، الشعب إلى النصرة وتعم إرادة الرب وتسود على المجتمع.

هوامش الباب الأول

1- David L. Peterson. **Eschatology: old testament in The Anchor bible dictionary, Vol. 2,** Ed. David Noel Freedman. AB.B 1992, P. 575.

2- Ibid, P. 576

3- Jurgen Moltmann, **Theology of Hope,** (London: SCM Press LTd 1967) P,15-16.

4- **Early Christian Eschatology in The Anchor bible dictionary, Vol. 2,** ed.David Noel Freedman. AB.B 1992.

5- Gordan J. Thomas, **Eschatology in bible and Theology,** Ed. Kent E. Brower and Mark W. Elliott, (London Inter varsity press, 1999), P. 54

6- Gordan J. Thomas P. 56-63

7- Gordan J. Thomas P. 64-69

٨- لمزيد من الدراسة ارجع إلى **نبوات ورؤى الجزء الأول** للمؤلف، الباب الثاني.

9- David L. Peterson.

١٠- فهيم عزيز، **ملكوت الله**، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٨)، ص. ٧٤-٨٩.

11- David L. Peterson. P. 577

12- George W. E. Nichlsburg. **Eschatology (Early Jewish) in The Anchor bible dictionary, Vol, 2,** David Noel Freedman, AB.B 1992, P. 579-580.

13- David L Peterson. P 577

١٤- بنينا رأينا على عدد من المراجع منها: متى المسكين، **النبوة والأنبياء في العهد القديم**.

15- Derek Kidner. **New Bible commentary 21 St. century edition.** Ed.: (D.A.Carson. U.S.A: Inter – varsity press, 2000)

١٦- **دائرة المعارف الكتابية**، ج٤، المحرر: وليم وهبه بباوي، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٢)، ص. ٣٤٦-٣٥٣.

١٧- المرجع السابق ص، ٣٤٧.

18- John J. Schmitt. **Preexilic Hebrew prophecy in The Anchor bible dictionary, Vol. 5 ed.** David Noel Freedman, AB.B 1992, P. 482-488.

١٩- فهيم عزيز، ملكوت الله، ص.٩٢.

20- P. C. Craigie. **Israel and prophecy in The new evangelical dictionary of theology,** ed. Walter A. Elwell, (Michigan: Baker book house, 1984), P. 572-574.

21- David L. Peterson. P. 485.

٢٢- جرهاردوش فوش، **علم اللاهوت الكتابي**، ترجمة: عزت زكي (**القاهرة: دار الثقافة**، ١٩٧٧)، ص. ٤٤٨-٤٥١.

٢٣- فهيم عزيز، ملكوت الله ص. ٩٤-٩٩.

24- George W. E. Nichlsburg. P. 591.

25- David L. Peterson. P. 4 78.

٢٦- فهيم عزيز- د. القس. ص ٩٩-١٠١

27- George W. E. Nichlsburg. P. 580-581.

٢٨- فهيم عزيز- د. القس. ص ١٠٠- ١٠٣

29- George W. E. Nichlsburg. P. 581.

٣٠- فهيم عزيز- د. القس. ص ١٠٧-١١٨

31- George W. E: Nichlsburg. P: 581.

32- George W. E. Nichlsburg. P. 582

33- John Barton. **Postexilix Hebrew prophecy in The Anchor bible dictionary**, Vol. 5,ed. David Noel Freedman, AB.B 1992, P. 489-495.

34- P .C. Craigie. P. 572-574.

٣٥- فهيم عزيز، ملكوت الله ص. ١٤٩-١٥٤.

٣٦- جرهاردوش فوش. ص. ٤٥٥-٤٥٨.

٣٧- فهيم عزيز، ملكوت الله. ص. ٩- ١٥.

٣٨- للمزيد من الدراسة ارجع إلى الباب الأول ـ الفصل الثاني، من هذه الدراسة للمؤلف.

الباب الثاني: الإسخاتولوچي في العهد الجديد واللاهوت

الفصل الأول : الإسخاتولوچي في فكر المسيح

الفصل الثاني : الكنيسة وإسرائيل .. هل من علاقة؟

الفصل الأول: الإسخاتولوچي في فكر المسيح

الإسخاتولوچي في فكر المسيح والعهد الجديد مرحلة وليس لحظة. هو مرحلة (الأيام الأخيرة) فـ «**الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين، الذي، وهو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي**» (عب ١: ١-٣).

المجيء الأول للمسيح بالجسد هو بداية مرحلة النهاية، ومجيئه الثاني هو نهاية النهاية. ويرى «يورجن مولتمن» "Jurgen Moltman" أن الإسخاتولوچي المسيحي ينطلق من الحقيقة الواضحة في التاريخ ويعلن مستقبل هذه الحقيقة، فالإسخاتولوچي المسيحي يتحدث عن المسيح يسوع ومستقبله. إنه يعلن حقيقة قيامة المسيح، وكذلك مستقبل الرب المقام. فالإسخاتولوچي المسيحي يتحدث عن من هو يسوع؟، وماذا سيكون؟، وما هو متوقع منه؟ (إنه رجاؤنا) (كو ١: ٢٧). كما أن الرجاء المستقبلي له تأثيره على الحاضر، إذ ينهض الحاضر وينعشه[٣٩].

وانطلاقًا من حقيقة الطبيعة التقدمية (التدرُّجيّة) للإعلان الإلهي، فإعلان الله كان تَدرُّجيًا في كل مراحل تاريخ الفداء في الكتاب المقدس، فالإعلان الإلهي لم يأت دفعة واحدة بل يساير الظروف الإنسانية واحتياجاتها، وهناك ترابط وتقابل بين فترات الوحي المتدرجة، وهي في نظر المسيحية تتجه كلها نحو مجيء المسيح وتتنبئ به، وتشير إليه تحت ستار الرموز والإيماءات. فالمسيح هو النهاية التي يتجه نحوها التاريخ للخلاص الذي يتحقق به. فالإعلان في المسيح مرحلة حاسمة في مسيرة تحقيق ملكوت الله، وهو المعطيات النهائية للمستقبل. ويشير مولتمن في هذا الإطار إلى أن إعلان الله الإسخاتولوچي ليس (لحظة أبدية)، لكن الإعلان الإلهي عن الفداء في المسيح بدأ بخلق الإنسان على صورة الله (تك ١: ٢٦-٢٨)، وبالوعد بنسل المرأة الذي يسحق رأس الحية (تك٣: ١٥). ثم وصل إلى قمة تاريخ الإعلان في المسيح. فالإعلان الإلهي عن الخلاص يتقدم مرحلة مرحلة، طبقًا لخطة الخلاص الموضوعة مسبقًا[٤٠]، ويتفق جوستاف «Aulen Gustaf» مع مولتمن، إذ وهو يتحدث عن الإعلان الإلهي في يسوع التاريخي يقول: إن تَجسُّد المسيح وصلبه وقيامته لا يعني أن عمل المسيح تحدد بتلك الحقبة الزمنية، أو أن عمله قاصر على هذا الوقت من التاريخ. لكنه عمل مستمر منذ الأزل وإلى الأبد. فهو غير محدود بالتاريخ، لأنه يشمل كل التاريخ. فالمسيح (الكلمة) موجود منذ الأزل، لكنه في وقت معين من الزمن تجسّد ومات وقام ليقدم لنا الفداء (يو ١: ١-١٨، رو ١: ٣-٥، غل ٥: ٤-٥). ويظل هذا العمل إلى الأبد معلنًا إرادة الله وانتصاره على الشر، فعمل الفداء ليس محصورًا فقط في يوم أو وقت محدد، لكنه عمل الله المستمر لأجل الإنسان. وأن تاريخ المسيح يسير نحو الملء النهائي، فالصليب يكشف عن حب الله النهائي، فقد بلغ الإعلان الإلهي ملءه في الساعة التي أَسلَم فيها المسيحُ الروحَ على الصليب، وحطَّمَ أبواب الموت، وتمم فداء العالم. وأن تمجيد المسيح يعتبر الحدث القمة في الإعلان الإلهي. فما سيحدث في مجيء المسيح الثاني هو تكميل لحقبة إعلان الله النهائي في المسيح، أو هي القسم الأخير لمرحلة النهاية (الأيام الأخيرة) في المسيح[٤١].

أولاً: الإسخاتولوجي وملكوت الله في فكر المسيح

يحتل «ملكوت الله» أو «ملكوت السموات» مكانة مركزية بارزة في تعاليم المسيح. فالكثير من أمثاله تُسمى (أمثال الملكوت) (مت ١٣: ٢٤–٥٠، ١٨: ١–١٦، ٢٢: ١–١٤، ٢٥: ١–١٣). بل إن من يدرس البشائر الثلاث الأولى ولا سيما الموعظة على الجبل (مت ٥–٧) يكتشف أن تعاليم المسيح عن الملكوت هي فكرة جوهرية للإنجيل.

١– مفهوم الملكوت

تعبير «ملكوت الله βασιλεια του θεου» ليس المنطقة أو المقاطعة التي تنتمي لله ويملك عليها كملك أرضي، لكنه سيادة وربوبية وسيطرة ومُلك الله. وقد كان التعبير مألوفًا لآذان اليهود، إذ ميّز معلمو اليهود بين (السيادة السماوية) و (السيادة غير الإلهية أو سيادة اللحم والدم). واعتقدوا أن سيادة الله على الأرض بدأت بإبراهيم، وقالوا: قبل أن يأتي أبونا إبراهيم إلى الأرض كان الله، كما يبدو، ملك السموات فقط، لكن عندما أتى إبراهيم، جعله ملكًا على السماء والأرض. كما أن معلمي اليهود رأوا أن سيادة وربوبية الله مرتبطة بطاعة الناموس، والأممي الذي يهتدي ويُخضع نفسه وحياته للناموس كان يُقال عنه أنه: «أخذ على عاتقه سيادة السماء». وكانت كل خدمة عبادة تبدأ بصلاة «الشيمع» اسمع يا إسرائيل «**الرب إلهنا رب واحد..**» (تث ٦: ٤–١٠). وكل من يشارك في هذه الصلاة يعلن خضوعه لسيادة السماء. وكان المعلمون اليهود يشيرون أن سيادة الله إن كانت قد تحققت في إسرائيل فإنه سيأتي الوقت الذي ستشمل فيه كل العالم. فملكوت الله هو سيادة الله وربوبيته[٤٢].

وفي الصلاة الربانية علمنا المسيح أن نصلي: «**ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض**» (مت ٦: ١٠). والطلبة الثانية موازية ومرادفة للأولى أو أنها تكررها وتشرحها. ومن هذا التوازي نصل إلى تعريف للملكوت: أنه حالة على الأرض تتحقق فيها مشيئة الله بالتمام كما هي في السماء. فملكوت الله هو سيادة وربوبية الله والطاعة لإرادته وقبول مبادئه.

ويشير د. القس فهيم عزيز إلى أن المسيح في تعليمه عن مفهوم ملكوت الله، قصد ثلاثة أمور:[٤٣]

أ– حكم الله وسلطانه

«**قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل .. إن كنت بأصبع الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله.. الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيًا في ملكوته**» (مر١: ١٥، لو ١١: ٢٠، مت ١٦: ٢٨). ويستخدم فيها ألفاظًا محددة كتلك التي تدل على زمن الملكوت ووقته. مثل (اقترب) (أقبل). وملكوت الله هنا يعني سلطان الله الذي يجريه عاملاً الفداء، ومنقذًا البشرية من سلطان الظلمة.

ب- المجال الذي فيه يُظهر الله فيه سلطانه الفدائي

في هذا الموقف يستخدم ألفاظًا محددة مثل (يدخل) (يُلقى خارجًا) (مت١٩: ٢٤، ٢٣: ١٣). فمُلك الله وسلطانه لا يظهران في فراغ بل لابد من مجال يجري فيه. ولهذا السبب كانت خطية الفريسيين الكُبرى أنهم (يغلقون) الملكوت فلا هم (يدخلون) ولا يدعون الداخلين يدخلون. وكان الجزاء الأعظم لبطرس عند اعترافه العظيم: «**أنت هو المسيح ابن الله الحي**» (مت ١٦ : ١٦) أن المسيح سيعطيه مفاتيح ملكوت السموات (مت ١٦: ١٩). وكل هذا يُظهر أن يسوع كان يقصد أحيانًا أن ملكوت الله هو المكان الذي يظهر فيه سلطان الله وحكمه.

ج- المكافأة أو المجازاة التي يهبها الله للذين يتبعونه ويحيون حياة مقدسة

وفي هذا المجال يستخدم ألفاظًا ملكية مثل «لهم»، «أعطى» (مت٥: ٣، لو ١٢: ٣٢). فملكوت الله مكافأة تُعطى للمساكين بالروح، وللمطرودين من أجل البر، وللتلاميذ الذين ثبتوا مع المسيح في تجاربه، وللقطيع الصغير.

قد تُعطى هذه الامتيازات في هذا الزمان أو في الدهر الآتي. وقد تتحقق للإنسان بعض هذه الامتيازات حاليًا، ثم يختبرها في كمالها في الدهر الآتي. ويقول «كامبل مورجان»: «إن ملكوت الله هو حكم الله وسلطانه، وهذا المعنى هو أعمق ما في هذه الفكرة من معان». أما المجال في الحقيقة المجسمة الملموسة لهذا الملكوت، وقد يعني الملكوت أيضًا «النتيجة التي تتحقق تحت حكم الله وسلطانه».

٢- ملكوت الله وملكوت السموات

تستخدم الأناجيل عبارتي «ملكوت الله» و «ملكوت السموات» مما يثير التساؤل: هل هما اسمان مترادفان لحقيقة واحدة؟ أم أن هناك اختلاف بينهما؟

مَنْ يدرس بعمق استخدام المسيح للمصطلحين يكتشف أن استخدمهما كمترادفين، ولهما نفس المعنى: سيادة وربوبية الله. استخدم البشير متى تعبير «ملكوت السموات» أكثر من ٣٠ مرة، وتعبير «ملكوت الله» ٥ مرات، وكلمة «ملكوت» ٥ مرات أيضًا. بينما لم يستخدم مرقس ولوقا عبارة «ملكوت السموات» مطلقًا، واستخدما «ملكوت الله» ١٦ مرة في مرقس، ٢٠ مرة في لوقا. واستخدم يوحنا تعبير «ملكوت الله» مرتين (يو ٣: ٣، ٥). كما ورد تعبير «ملكوت الله» ٦ مرات في سفر الأعمال، ٨ مرات في رسائل بولس، وينسبه بولس مرات إلى المسيح (٢تي ٤: ١، ١٨، عب ١: ٨، ١٢: ٢٨)، ويستخدم مرة واحدة في سفر الرؤيا. ويستخدم متى عبارة «ملكوت السموات» في نفس المواضع التي يستخدم فيها مرقس ولوقا عبارة «ملكوت الله» (مت٤: ١٧ مع مر ١: ١٥، مت ١٠: ١٧ مع لو ٩: ٢، مت ٥: ٣ مع لو ٦: ٢٠، مت ١٣: ١١ مع مر ٤: ١١، لو ٨: ١٠)[٤٤].

ومن يقارن (مت ١٩: ٢٣، مر١٠: ٢٣، لو ١٨: ٢٤) في قصة الشاب الغني، يكتشف الترادف بين المعنيين. فمتى يقول: «**إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات!**» بينما مرقس ولوقا يقولان: «**ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى**

ملكوت الله». فمن الواضح أن التعبيرين مترادفان ويقبلان الاستعاضة والتبديل[٤٥]. إلا أن البشيرين فضل كل منهم أحد المصطلحين بسبب الذين كتب إنجيله إليهم. فمتى الذي كتب لليهود الذين كانوا يقدسون اسم الله، ويستخدمونه بشكل نادر، فلا يمكن لأي يهودي مكرس أن ينطق به بخفة على شفتيه، لذلك وضعوا أسماء أُخرى تدل عليه، وإحدى أبسط الطرق لتفادي الإسهاب في استخدام اسم الله كانت التحدث عن السماء بدلاً منه. لذلك قصد متى أن يستخدم «ملكوت السموات» حتى يضمن قبول اليهود لإنجيله. يعلق أيدرشيم بالقول: إن الاصطلاحات «ملكوت» و «ملكوت الله» و«ملكوت السموات» و «ملكوت يهوه» كما جاءت في الترجوم هي اصطلاحات مترادفة تعبر عن حقيقة واحدة، مع أن اليهود تعودوا على استخدام مصطلح «ملكوت السموات» تجنبًا لذكر اسم الجلالة»[٤٦].

لقد كان متى يهوديًا، وكتب لبني جنسه، فاحترم مفاهيمهم وعاداتهم في ندرة استخدام اسم الجلالة. فالابن الضال يقول: «**أخطأت إلى السماء**» (لو ١٥: ١٨، ٢١). وهو يقصد بالطبع «أخطأت إلى الله».

في حين كتب البشيرون الثلاثة الآخرون إلى الأمم الوثنيين، فاستخدموا تعبير «ملكوت الله» بهدف تأكيد وحدانية الله وسلطانه المطلق، وتجنبوا استخدام تعبير «ملكوت السموات» لئلا يفهم الوثنيون المكتوب إليهم، أن هناك أكثر من إله في السماء.

٣- طبيعة الملكوت

أ - ملكوت روحي

ملكوت الله (المسيح) ملكوت روحي، ليس من هذا العالم (يو ١٨: ٣٦). وتظهر روحانية الملكوت من حادثتين في حياة المسيح هما: التجربة في البرية، وعظته الأولى في مجمع الناصرة (لو ٤: ١-٣٠).

لم تكن التجربة موجهة أساسًا إلى شخصية المسيح وكماله الروحي بل كانت تستهدف عمله وإرساليته. فتجربة تحويل الحجارة إلى خبز ترجع إلى خلفية عقائدية عند اليهود أن عصر المسيا هو عصر الشبع والبركات المادية الفائضة. وكانوا يؤمنون أن الأرض ستُخرج من نفسها أجمل الملابس وأفخرها، وأطيب المأكولات وأشهاها، وينمو القمح حتى يصل إلى ارتفاع النخيل .. لا بل إلى قمم الجبال، وعندئذ تحيله الرياح إلى طحين ثم يُلْقَى به في الوديان خبزًا ناضجًا شهيًا. في ذلك العصر لن تخيب شجرة بل لابد أن تحمل ثمرها وتلقي به كل يوم لتحمل ثمرًا جديدًا، حتى النساء يحملن ويلدن كل يوم، فتكبر كل عائلة وتُصبح في حجم إسرائيل يوم أن خرج من أرض مصر.

وإبليس الذي يدرك إمكانيات يسوع يجربه في الطريقة التي بها يستخدمها، وبذلك يُعلن أنه المسيا الأرضي بحسب الفكر اليهودي. إلا أن المسيح رفض أن يستخدم قوته بهذه الطريقة فيساء فهم رسالته. فأكد للشيطان: «**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله**» (لو ٤: ٤). فملكوت الله لا يُبنى على الغنى والثروة وإشباع البطون، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس (رو ١٤: ١٧).

فريق يهودي آخر كان يعتقد أن المسيا عندما يأتي سيشق السماء نازلاً إلى الأرض، محمولاً على أيدي الملائكة في وسط الهيكل، ويجمع حوله الشعب من أقاصي الأرض ويبشرهم برسالة الخلاص. ولهذا السبب كان المُعَيِّدون يرفعون وجوههم نحو السماء ليروا ابن الإنسان آتيًا على سحاب المجد. من هذا المنطلق اقترح المجرب على يسوع أن يلقي بنفسه من على جناح الهيكل، ملفتًا انتباهه أن الله يرسل ملائكته ليحملوه على أيديهم فلا تصدم بحجر رجله، وهكذا يراه المعيدون في الهيكل فتتعالى هتافات النصر: «مبارك الآتي باسم الرب». لكن المسيح رفض ذلك لأن ملكوت الله لا يُبنى على المعجزات المُذهلة بالرغم أنه ملكوت القوة، لكنه ملكوت مؤسس على المحبة المضحية والفداء.

حين فشل إبليس في التجربتين الأولتين أخذ يسوع على جبل عال، وطلب منه أن يسجد له ليعطيه كل ممالك العالم، فيعترف به أنه المسيا. إلا أن المسيح رفض لأن السجود للشيطان يعني الولاء له والخضوع لأيدلوجيته في التفكير والتنفيذ من سفك دماء وعنف وحرب. وملكوت الله هو ملكوت البر والعدل والسلام، فابن الإنسان جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك. فما أبعد الهوة بين فكر إبليس ومنهجية المسيح وملكوته.

أما في عظته الأولى في مجمع الناصرة، فقد قرأ المسيح من إشعياء ٦١: ١-٢ وهو نص مهم اعتبره علماء المجمع اليهودي يربط الروح القدس بعمل الفداء الآتي. وقد اختار المسيح هذا النص ليشرح رسالته، ويعلن صلته بالروح القدس والمسحة المقدسة التي مُسح بها. فالفصل النبوي الذي فسره المسيح مؤكدًا تحققه فيه، يختص بإرسالية وعمل المسيح، وملكوت الله الذي تظهر فيه البركات الآتية: بركة الحرية الكاملة، والإيمان الكامل، والراحة الكاملة.

من هاتين الحادثتين نؤكد أن ملكوت المسيح ملكوت روحي لا يُبنى على السيف ولا على المال ولا المعجزات كهدف في ذاتها. بل إنه ملكوت الحرية والإيمان والفرح والسلام والبر والعدل.

ب - ملكوت بلا حدود زمنية

يُعلِّم المسيح أن ملكوت الله يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، فقد دخل فيه آباء الإيمان والأنبياء (لو ١٣: ٢٨، مت ٨: ١١). فالملكوت يرجع إلى بداية علاقة الإنسان بالله[٤٧]. كما أعلن المسيح أن ملكوت الله قد حضر، وكأنه نزل من السماء، فهو ليس إنجازًا إنسانيًا بل هو هبة وعمل إلهي. فالملكوت أَتَى في المسيح (مت ١١: ١١، ١٢: ٢٨، لو ٧: ٢٢-٢٣، مت ١٦:١٣-١٧، لو ٤: ١٦-٣٠، ١٦: ١٦، ١٧: ٢٠-٢١). وهناك تأكيد مشابه على حضور ملكوت الله نجده في الكثير من أمثال المسيح (مر٣: ٢٧، مت ١٣: ٤٤-٤٦، ١٨: ٢٣-٢٤، ٢٠: ١-٦، ٢٢: ١-١٤، مر ١٤: ٢٦-٢٩). إلا أننا نجد أيضًا مجموعة من الأقوال والأمثال تؤكد الحضور المستقبلي لملكوت الله (مت ٦: ٩-١٣ ليأت ملكوتك، مت ٥: ٣-١٢، مت ٨: ١١-١٢= لو ١٣: ٢٨-٢٩، مر ٩: ١= مت ١٦: ٢٨= لو ٩: ٢٧). والأقوال الكثيرة المرتبطة بدخول الملكوت يجب أن تُفهم في مصطلحات مستقبلية (مر ٩: ٤٣-٤٨، مر ١٠: ٢٣، ١٥، مت ٥: ٢٠، ٧: ٢١)[٤٨].

من هذا العرض السريع نتأكد أن ملكوت الله بلا حدود زمنية فـ «**الرب في السموات ثبت كرسيه، ومملكته على الكل تسود**» (مز ١٠٣: ١٩). ويمكننا تسمية ملكوت الله أنه «ملكوت في موكب التحقيق» فقد بدأ منذ قديم الزمان ويسير

في موكب تحقيقه، نحو التحقيق والتمام الكامل في مجيء المسيح ثانية. فكل تقدُّم ونمو للإيمان يعدّ تقدم وتحقيق جزئي للملكوت، لكن التحقيق الكامل في المستقبل. ويمكننا القول إن يسوع نفسه فهم ملكوت الله كحاضر شَرْطِي Provisionally present في شخصه ورسالته، لكن التحقيق الكامل للملكوت هو موضوع التوقع الوشيك في مجيئه الثاني.

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم يسوع الإسخاتولوچي هذا، لم يكن على أية حال فريدًا ووحيدًا في اليهودية المبكرة، كما اعتقد كثيرون من الدارسين، ففي درج الترنيم Hymm scroll في مخطوطات قمران، هناك دليل أن طوائف قمران اعتقدوا أن الخلاص الإسخاتولوچي قد دخل فعلاً في مرحلة الحاضر في التاريخ[٤٩].

أدلة الملكوت في الحاضر:

أ- كرازة المسيح أن ملكوت الله قد اقترب بمجيئه: «**بعدما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**» (مر١: ١٤-١٥). والكلمة «اقترب» جاءت ترجمة لكلمتين يونانيتين (انقاكن ηγγικεν engakin (مر ١: ١٥)، (افتاسن εφθασεν efthasen) «**ولكن إن كنت أنا بأصبع الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله**» (لو ١١: ٢٠). وهاتان الكلمتان وردتا في الترجمة السبعينية، ترجمة للكلمة العبرية «نَجَعَ» والآرامية «مَطَا». والكلمتان تعنيان: «وصول الشيء أو الشخص وصولاً فعليًا». فالمسيح بكرازته ورده على الفريسيين أكد أن ملكوت الله قد حضر فعلاً. كما أن المسيح أعلن أن مسرة الله هي أن يعطي الملكوت لأبنائه (لو١٢: ٣٢).

ب- تعاليم المسيح وأمثاله الكثيرة التي توضح بجلاء ظهور ملكوت الله، ويمكن تقسيم هذه التعاليم إلى مجموعات:

المجموعة الأولى: (مت ١٣: ٦، ١٧، لو١٠: ٢٢-٢٤) وفيها يطوب المسيح تلاميذه لأنهم رأوا وسمعوا ما اشتهى ملوك وأنبياء كثيرون أن يروه ويسمعوه، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك لأنه لم يُعط لهم كما أُعطى للتلاميذ.

المجموعة الثانية: (مت ١١: ١١-١٢، لو ٧: ٢٨) حيث يمدح المسيحُ المعمدانَ كأعظم المولودين من النساء، لكن الأصغر في ملكوت الله (السموات) أعظم منه. والمقارنة هنا بين يوحنا كممثل لحقبة العهد القديم بكل ما فيه من نُظم وطقوس وشخصيات، وبين الأصغر في ملكوت الله كممثل لهذا الملكوت. فالمقارنة هنا ليست بين أشخاص، لكن بين عهدين ممثلين في شخصين.

ومن أمثال المسيح التي تؤكد حقيقة واقعية ملكوت الله مثلاً الكنز المُخفى واللؤلؤة غالية الثمن (مت ١٣: ٤٤-٤٦). ومثل بناء البرج والملك المحارب (لو ١٤: ٢٨-٣٣) فالملكوت حقيقة حاضرة، بل هو تحدي يرفع الإنسان إلى مستويات أرفع وأسمى.

وتعتبر الموعظة على الجبل خير دليل على ظهور ملكوت الله في المسيح، فالمسيح مثلاً يقول: «**لا تظنوا أنّي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأُكمّل**» (مت ٥: ١٧). وكلمة «يُكَمِّل» تعني يُتَمِّم أو يُكَمِّل غرضه والقصد الذي جاء من أجله، فالمسيح تمم غرض الناموس وأكمل الرسالة التي وضِعَ من أجلها. وإن كان المسيح لم يأت لينقض بل ليكمل فهو أعظم من موسى وتعاليمه أعظم من تعاليم موسى، فقد جاء بإعلان جديد عن إرادة الله، حين كرر قوله: «**سمعتم أنه قيل... أما أنا فأقول**» (مت ٥). هذا الاعلان يظهر بوضوح أن العهد الجديد قد بدأ، لأن انتظارات اليهود كانت تتركز في إعلان جديد أو توراة جديدة في عهد المسيا، وهذا ما تُؤكده مخطوطات قمران إذ ورد فيها: «في عصر المسرة تختار لنفسك شعبًا لك تذكر العهد وتفرزهم كجماعة مقدسة لك تتميز عن كل الشعوب، وتجدد عهدك معهم لإظهار مجدك، وبكلام من الروح القدس وبأعمال يديك وبكتاب تكتبه يمينك تعلن الشريعة المقدسة لإظهار مجدك الأبدي». فتعاليم المسيح إذن هي التوراة الجديدة التي كان يترقبها اليهود في عصر المسيا[٥١].

جـ- أعمال المسيح

مارس المسيح أعمالاً بكونه المسيا الذي يحقق ملكوت الله. أهم هذه الأعمال إخراج الشياطين، فعندما اتهمه الفريسيون أن ببعلزبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين، رد عليهم بمنطق أن كل مملكة تنقسم على ذاتها تُخرب، وبالتالي لا يمكن أن يتحد الشيطان مع عدوه المسيح لكي يُخرِّب مملكته ويُحَطِّم قوة أتباعه الشياطين، فلابد إذن أن هناك قوة أُخرى لها مطلق الحرية والسلطان في إخراج الشياطين، قوة تفوق مملكة الظلمة، هي قوة الله نفسه، لذلك قال لهم المسيح: «**ولكن إن كنت أنا بأصبع الله – أو بروح الله – أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله**» (لو ١١: ١٤-٢٢، مت ١٢: ٢٢-٢٩، مر ٣: ٢٠- ٣٠). لقد استطاع إبليس أن يُضل الأمم كثيرًا قبل تجسد المسيح، لكن بمجيء المسيح الأول كَمُل الزمان أي وصل لمرحلة النهاية، وأصبح ملكوت الله وسلطانه على إبليس في طرد الشياطين بأصبع الله. فالمسيح هو الذي هزم إبليس ودخل بيته وربطه ونهب أمتعته، أي جرده من سلطانه على المختارين، وحرر المأسورين من قبضته. وهو نفس التعبير الذي استخدمه كاتب سفر الرؤيا عند تقييد المسيح في مجيئه الأول لإبليس (رؤ ٢٠: ١٢).

والعمل الثاني الذي قام به المسيح وأكد به حضور ملكوت السموات في شخصه، هو مغفرته للخطايا، ومن المعلوم أن سلطان مغفرة الخطايا هو سلطان الله وحده، وقد مارس المسيح هذا السلطان عدة مرات، لعل أبرزها في معجزة شفاء المفلوج، إذ قال له: «**يا بُنَيَّ، مغفورة لك خطاياك**» فتذمر اليهود قائلين: «**لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟ مَنْ يستطيع أن يغفر خطايا إلا الله وحده**" لكنه رد قائلاً: «**أيما أيسر، أن يُقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قم احمل سريرك وامش؟ ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا**» قال للمفلوج: «**لك أقول: قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك**». **فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل، حتى بُهت الجميع ومجدوا الله قائلين: «ما رأينا مثل هذا قط»** (مر ٢: ١-١٢).

د- كرازة وخدمة الكنيسة

حين عاد الرسل السبعون من إرساليتهم إلى المسيح بفرحٍ قائلين: «**يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك**»،

فقال لهم: «رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء» (لو١٠: ١٧-٢٠). فسقوط الشيطان مثل البرق تأكيد لحقيقة حضور ملكوت الله وسيادة المسيح على مملكة إبليس، كما أن ملكوت الله مرتبط بنشاط الكنيسة في إرساليتها، فكلما نشطت الكنيسة وامتدت، كلما نشط ملكوت الله وامتد، وكلما سقط الشيطان. فكل نجاح تحققه الكنيسة في خدمتها هو مرحلة في تحقيق ملكوت الله، فهو ملكوت في موكب التحقيق، بدأ قديمًا ويسير بخُطى واسعة في موكب تحقيقه وسيصل لقمته في مجيء المسيح الثاني. فالله الذي يملك ثَبَّت مملكته في السماء، وهو يسود على الكل (مز ١٠٣: ١٩). وهو الذي يدير حركة التاريخ، وقد تَدَخَّل وأكمل تاريخ ملكوته بإرسال المسيح مخلصًا وملكًا وربًا. وكما سلفت الإشارة أن مجيء المسيح الأول ليس لحظة بل فترة ٣٣ سنة تمثل بداية مرحلة النهاية (الأيام الأخيرة)، ومجيئه الثاني هو نهاية النهاية. وبعبارة أُخرى مجيء المسيح الأول وحياته وكرازته وعمله الفدائي وإرسالية وخدمة الكنيسة، هي المرحلة الأخيرة في ملكوت الله، وستصل إلى قمتها في المجيء الثاني.

أدلة الملكوت في المستقبل

رغم كل الأدلة التي تؤكد مجيء الملكوت في الحاضر، إلا أن هناك إشارات وتأكيدات أن الملكوت مازال آتيًا في المستقبل، فيوسف الرامي كان منتظرًا الملكوت (مر١٥: ٤٣، لو ٢٣: ٥١) وقد وعد المسيح تلاميذه في العشاء الأخير أنه سيشرب معهم كأسًا جديدًا في ملكوت الآب (مر ١٤: ٢٥، مت ٢٦: ٢٩) وقد علّمنا المسيح أن نصلي لأجل مجيء الملكوت (مت ٦: ١٠)[٥٢].

تحقيق ربوبية الله

الكلمة اليونانية «βασιγεια ملكوت» التي تعني سيادة وربوبية الله الكاملة على كل الكون، تضعنا في حيرة بين واقع ملكوت الله، وبين حقيقة الملكوت المطلقة. فسلطان الله في ملكوته عالمي وغير محدود ولا ظلال عليه. بينما في التاريخ الله يسود من خلال كلمة الوعد وروح الحرية، وكلاهما يمكن الإغارة عليه ومهاجمته، وكلاهما يلقيان صعوبة واعتراض وإنكار ومقاومة وعداء. لذلك ففي التاريخ الله يسود بطريقة خفية وحولها جدل، وهذا هو السبب في أن سلطان الله الكامل في التاريخ يسعى نحو تحقيقه في مجيء الملك، والعكس، فإن الملكوت الآتي يَظْهَر نوره الأَوَّلي في صراعات التاريخ، وهكذا فإن سلطان الله النسبي الحاضر هو قرب للملكوت الإسخاتولوچي الكامل، والمجيء الثاني هو اكتمال لسلطان الله المُختبر في الحاضر. فالملكوت له علاقة وثيقة مع حياتنا الأرضية والتاريخية، لكنه سيكتمل في المستقبل. فبدون عمل الملكوت في الحاضر يصبح التحول المستقبلي حلمًا بلا فاعلية أو قوة. وهذا هو السبب في ارتباط الطاعة الفعلية لإرادة الله مع الصلاة لأجل مجيء الملكوت.

سلطان الله الحاضر في التاريخ معلن في وعوده وفي البشارة. هذه الوعود تتحدى الناس وتخرجهم من المحيط الغارقين فيه وتضعهم على طريق تحقيق الوعود، فهم شعب حر مدعو إلى طريق الحرية، والإنجيل يدعو جميع الناس للخروج من عبودية الخطية والناموس والموت، ويضعهم في طريق البر وحرية الحياة الأبدية.

إن ملكوت الله حاضر في الروح القدس كعربون وبداية الخليقة الجديدة لكل الأشياء في ملكوت الله. فالله يملك من خلال الكلمة والإيمان، الوعد والرجاء، الوصية والطاعة، القوة والروح.. كل هذه تُفْهَم كحضور وتحقيق لملكوت الله الآتي في التاريخ. وروح الله العامل في الحاضر يجعل المستحيل ممكنًا، إنه يخلق الإيمان حيث لا إيمان ويخلق المحبة حيث لا شيء محبوب ويخلق الرجاء حيث لا يوجد شيء يُرجى(٥٢). فكل المحاولات الإنسانية لتحرير العالم من البؤس واليأس تصبح بلا فاعلية بدون عمل الروح القدس، الذي يبغي الحياة وليس الموت، وتأثيره المخُلِّص على الناس سيعيد الحوار والعمل المشترك، ويقلل النزعة الذاتية، وهكذا يسود الله أكثر، ويتحقق ملكوته أكثر، ويعلن سلطان الله من خلال الكلمة والإيمان والطاعة والشركة والعمل المشترك الحر لأجل حياة العالم.

هذا السلطان الإلهي على التاريخ هو مقدمة للمستقبل المجيد للملكوت، فمستقبل الملكوت المجيد قد بدأ فعلاً في حياة ورسالة وموت وقيامة المسيح، وفي المسيح وحده يمكننا أن نعيش في نور (الدهر الآتي أو العصر الجديد) في ظروف (الدهر الحاضر أو العصر القديم). وهذه الفكرة سنتوسع فيها في الإسخاتولوچي في فكر الرسول بولس.

مما سبق نؤكد أن ملكوت الله لا يمكن حصره بزمان، بل هو بلا حدود زمنية. دخله آباء الإيمان والأنبياء ومازال مفتوحًا لكل من يبغي الدخول فيه، وكلما دخله الناس بالإيمان امتد وتحقق أكثر وسيصل إلى كمال تحقيقه وملئه في مجيء المسيح الملك ثانية.

جـ- ملكوت بلا حدود قومية أو جغرافية (عولمة الملكوت)

أكد المسيح أن ملكوت الله لا يقتصر فقط على اليهود، بل هو مفتوح للجميع. فالمسيح يفسر الملكوت أنه سلطان الله الذي يعلنه لا بخلاص عسكري أو سياسي، لكن بخلاص ديني روحي، هو الخلاص من الخطية. فالملكوت ليس يهوديًا عنصريًا، كما يعتقد اليهود أن المسيا يحارب أعداء إسرائيل وينتصر لها ويملِّكها. إلا أن المسيح يؤكد أن الملكوت ليس ملكوت السيف بل الملكوت الذي تسوده إرادة الله، إرادة الخير والمحبة. وهو ملكوت يشمل كل الإنسان إذ يخلصه من الخطية الآن ويخلص جسده عندما يأتي في النهاية.

وقد أعلن المسيح مرات عديدة أن الملكوت للجميع، أبرزها قول المسيح عن الأمم: «**يأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال والجنوب، ويتكئون في ملكوت الله. وهوذا آخَرون يكونون أولين، وأولون يكونون آخرين**» (لو١٣: ٢٩-٣٠). كان هذا الإعلان إجابة على سؤال يهودي متعصب: «**أ قليل هم الذين يخلصون؟**» (لو١٣: ٢٣). وكان السائل يتوقع أن المسيح يجيبه بالقول: إن ملكوت الله سيظهر حالاً ويأتي الرب ليملك في شخص المسيا، ويعطي المُلك لليهود. لكن المسيح أجاب إجابة قاطعة: «**اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق، فإني أقول لكم: إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب قائلين: يا ربُّ، يا ربُّ! افتح لنا. يجيب، ويقول لكم: لا أعرفكم من أين أنتم! حينئذ تبتدئون تقولون: أكلنا قدامك وشربنا، وعلَّمت في شوارعنا! فيقول: أقول لكم: لا أعرفكم من أين أنتم، تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم! هناك يكون البكاء وصرير الأسنان، متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء في**

ملكوت الله، وأنتم مطروحون خارجًا (لو١٣:٢٤-٢٨). وبذلك هدم المسيح ظنون اليهود بتميزهم عن سائر الأمم، فملكوت الله لمن يدخل من الباب الضيق ويؤمن بالمسيح وتكون له علاقة إيجابية معه.

وفي عظته الأولى في مجمع الناصرة التي أشرنا إليها سالفًا (لو ٤) أشار المسيح إلى اتساع إطار أبوة الله وملكوته منذ أيام العهد القديم، فالله لم يُرسل نبيه إيليا – أثناء المجاعة – إلى إحدى نساء إسرائيل لتعوله بل بالأحرى أرسله إلى أرملة من صرفة صيدا، أرض أعداء إسرائيل من الأمم آنذاك. كما أن الله شفى نعمان السرياني رئيس جيش ملك أرام، الذي كان جيشًا معاديًا لإسرائيل في أيامه أيضًا (لو ٤: ٢٥- ٢٧). مما يؤكد شمولية ملكوت الله. ولعل هذا ما أهاج الشعب ضد المسيح في المجمع وحاولوا قتله (لو ٤: ٢٨-٣٠).

ويُظْهِر المسيح حقيقة عولمة الملكوت ليس فقط من خلال تعاليمه، لكن أيضًا في موقفه العملي من غير اليهود. فقد علَّم وعمل. فقد ذهب ومكث عند السامريين يومين وبشّر قريتهم (يو ٤: ٤٠)، وانتهر تلاميذه عندما طلبوا أن تنزل نار من السماء لتَأكُل السامريين. كما أنه جعل من السامري مثالاً صالحًا في المحبة والرحمة (لو ١٠: ٢٥-٢٧). ومدح إيمان شخصين من الأمم هما قائد المئة (لو ٧: ٦) والمرأة الكنعانية الفينيقية (مت ١٥: ٢٨)، ولعظمة إيمانهما شفى المسيح مرضاهما عن بُعد. في حين أنه تعجب لعدم إيمان أهل قريته الناصرة (مر ٦: ٥-٦) الذين عاش بينهم سنوات طويلة، لكنهم رفضوه ورفضوا الإيمان به. وهذه صورة نراها تتكرر في كل من يأتي للإيمان المسيحي من حظيرة أُخرى ويؤمن بالمسيح، إيمانه يُذهل، ويُشعرنا أننا صغار وضعفاء في الإيمان.

إذن ملكوت الله للجميع وليس لأمة امتياز على أمة أُخرى، ذلك لأن الأساس الذي بنى عليه يسوع ملكوت الله هو أبوة الله التي أشار إليها قبله الأنبياء في العهد القديم، لكن المسيح وكتبة العهد الجديد أعطوها مفهومًا عميقًا وجديدًا. فكلمة (الآب) في العهد الجديد ليس مجرد اسم من أسماء الله، لكنها اختبار روحي عميق يعطي للحياة معنى وقيمة. إذ بالإيمان بالمسيح ينال الإنسان سلطانًا أن يصير ابنًا لله (يو ١: ١٢-١٣).

مكانة يسوع في الملكوت

١- في يسوع تجسد الملكوت. هو الوحيد الكامل في كل التاريخ والذي تمم إرادة الله، كان جوهر حياته هو الطاعة لإرادة الله. في البداية عندما واجه المجرب (لو ٤) رفض دعوة المجرب له لاتخاذ الطريق الخطأ، وصمم على تحقيق إرادة الله. وفي النهاية في جثسيماني انتصر في حربه الأخيرة أمام هول الصليب وقال للآب: «**يا أبتاه، إن شئت أن تُجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك**» (لو ٢٢: ٣٩-٤٦، مت ٢٦: ٣٦- ٤٦، مر ١٤: ٣٢-٤٢). وطوال حياته الأرضية كانت له أوقات للاعتزال بالآب ، لأنه وضع على نفسه إرادة الله. ويصوره الإنجيل الرابع قائلاً: «**طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمم عمله**» (يو ٤: ٣٤). فيسوع بدأ واستمر وأنهى حياته في طاعة كاملة مختارة لإرادة الله. ولهذا السبب نؤكد أنه في ومع يسوع أتى الملكوت، وكان التجسيد الكامل والإيضاح التام لمعنى الملكوت[٥٤].

وكما يقول روبنسن W. N . Robinson: عندما صار الكلمة جسدًا، تجسَّد الملكوت على الأرض في شخص يسوع

الناصري، ففيه دخل ملكوت الله إلى التاريخ»[٥٥]. وفي العهد الجديد يَظْهَر أن يسوع الناصري وملكوت الله يتبادلان المواضع كأنهما شيء واحد (مر ٩: ١، ١٠: ٢٩، مت ١٦: ٢٨). والمسيح قام برسالة الملكوت وجَسَّدَه في حياته، أي جسّد سلطان وحكم الله وأظهره في جَسَده، فالمسيح هو تجْسِيد لملكوت الله بمعناه الإيجابي، أي أنه هو الفاعل والعامل. وقد جسّد ملكوت في مظهرين:

أ- المحبة التي هي أساس الملكوت، والظاهرة الأولى التي برزت في حياة يسوع كمُجَسِّد لملكوت الله على الناس.

ب- القوة وقد أظهر قوته العظيمة في أعماله المجيدة (المعجزات). فملكوت الله هو ملكوت القوة كما أنه ملكوت المحبة.

٢- أزال المسيح الحاجز بين الله والبشر، إذ أبطل قوة الخطية الماضية، وبروحه وحضوره مكّن البشر أن يتغلبوا على الخطية الحاضرة.. وهكذا مَكّن البشر أن يؤمنوا به فيصيروا أعضاء في الملكوت، ومكّنَهم أن يقبلوا ويطيعوا إرادة الله وهكذا يدخلوا إلى ملكوت الله.

٣- المسيح هو كاهن الملكوت أي أنه العامل الأكبر في تحقيق ظهور ملكوت الله في الناس وبينهم. فقد مات وقدّم نفسه ذبيحة لكي يحقق ملكوت السموات بكل بركاته في حياة الناس. كانت آلامه مرتبطة بمجده، فهي عملية واحدة ضرورية لظهور ملكوت الله، وبآلامه ومجده أدان إبليس وانتصر عليه، فإبليس الذي يسميه الكتاب المقدس إله هذا الدهر، ورئيس هذا العالم (٢كو ٤: ٤، يو ٦: ٣١، ١٤: ٣، ١٦: ١١) ورئيس سلطان الهواء (أف ٢: ٢) قد أظهر ما له من سلطان في تجربته للمسيح (مت ٤، لو ٤) فقد دُفع للشيطان هذا العالم ليعمل في أبناء المعصية. ويكمن سلطان إبليس في حقيقة وقوع العالم تحت سيطرته، لأن العالم أخضع نفسه له بمحض إرادته. إن الحرية التي أعطاها الله للإنسان جعلته يختار طريق إبليس وسيطرته. وهكذا أراد إبليس أن يعرض على المسيح هذه السيطرة مقابل أن يستخدم أسلوبه، أسلوب البطش والقوة. لكن في كل موقعة هزَمَ المسيح إبليس، فقد هزمه في التجربة عندما رفض طرقه في إقامة ملكوت الله، وفضّل طريق (عبد الرب) الذي يبذل نفسه فدية عن كثيرين، ثم هزمه في تخليص أشخاص كثيرين كان الشيطان يسيطر على حياتهم. فالمسيح هو الذي قيَّد إبليس القوي وأخذ أمتعته وسلب منه فرائسه المسكينة. ثم هزمه عندما أعطى تلاميذه السلطان عليه (لو ١٠)، وعندما فرح التلاميذ بذلك قال لهم: «**رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء**» (لو ١٠: ١٨). لكن الدينونة والكسرة الفاصلة والحاسمة للشيطان كانت في الصليب، فقد استطاع المسيح أن ينتصر على إبليس ومملكته عندما أشهرهم جهارًا (كشفهم على حقيقة ضعفهم وفضحهم)، وبالصليب حد المسيح من سلطان إبليس.

إن الكسرة النهائية للشيطان لم تحدث بعد، بل ستحدث يوم يقيد نهائيًا ويلقى في الهاوية هو وجنوده مع من ساروا معه مجدفين على الروح القدس. آخر عدو يُبْطَل هو الموت وهذه هي العلامة الأخيرة للدينونة النهائية للشيطان. لكن عمل المسيح في حياته وموته وقيامته كانت بمثابة المعركة الفاصلة في الحرب، صحيح أن الشيطان لم ينته بل ظل يحارب،

ولكنه يعلم أنها حرب خاسرة لا يستطيع أن يكسبها، لقد انكسر. سقط مثل البرق من السماء، لم يستطع أن يصمد أمام المسيح، إنه يعرف أنه مهزوم إلى النهاية، هو يحارب ولكن بدون رجاء، يحارب بجنون ليحرق ما يستطيع إحراقه، لكنها حرب خاسرة. فما يفعله إبليس الآن ضد الكنيسة والإنجيل والملكوت هو حرب استنزاف، قد يوجع الكنيسة أحيانًا لكن الحرب حسمت في الصليب والقيامة لصالح المسيح وملكوته وكنيسته. والمسيحي الحقيقي الذي اختبر قوة الصليب في حياته لديه ثقة ويقين بنصرة المسيح، وأنه يقودنا في موكب نصرته كل حين.

وبدينونة المسيح لإبليس يستطيع المسيح أن يجتذب مَنْ يعطيهم الآب له (يو ٦: ٣٧) فالمسيح يعلن مُلكه بجذب المدعوين إليه بقوة صليبه وقيامته. فالصليب هو القوة الإلهية العاملة التي تحقق ملكوت الله في حياة البشر.

معوقات ومقومات العضوية في الملكوت

حدّد المسيح معوقات ومقومات العضوية في ملكوت الله

أولاً: المعوقات

١- التمَركُز حول الذات

في قصة الشاب الغني الذي رفض الاكتفاء الكاذب عن أمواله ليتبع المسيح، علّق المسيح قائلاً: «**إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوت**» (مت ١٩: ٢٣، مر١٠: ٢٣-٢٥، لو ١٨: ٢٤). عندما يكون الإنسان غنيًا لنفسه وليس غنيًا لله، فإن هذا الغنى يشجع الاكتفاء الكاذب، ويجعل الإنسان يشعر أنه يمكنه أن يشتري طريق الدخول إلى ملكوت الله بأمواله.

إن الغنى ليس خطية، لكنه سيف ذو حدين. نعمة أو نقمة، بركة أو لعنة، وذلك بحسب موقفنا منه. فقد يمثل عائقًا وتهديدًا خطيرًا لمن يتكل عليه يعوقه عن الدخول لملكوت الله. فعندما يتمركز الإنسان حول ذاته، ويغتني لنفسه وعلى حساب القيم الإيمانية، وعلى حساب العلاقة مع الله وبظلم الآخرين، وعندما يُفاضل بين الغنى والحياة المترفة وبين الحياة لله، ويفضل الغنى على الله هنا يكمُن الخطر.

٢- عدم المقدرة على اتخاذ قرار حاسم

فمن يضع يده على المحراث وينظر للوراء، لا يصلح لملكوت الله (لو ٩: ٦٢). هناك أمور في الحياة تريد أن تستحوذ على ولاء الإنسان وتبعده عن التكريس لله ولملكوته، وإن مَنْ يضع يده على المحراث ويبغي تبعية المسيح والسير في درب ملكوته، لكنه ينظر للوراء ويبغي العودة لولاءاته السابقة لا يصلح لملكوت الله.

٣- البر الذاتي

لا يمكن الدخول للملكوت بدون مستوى معين من البر، هو ما نسميه (البر الزائد) إذ قال المسيح لتلاميذه: «**إنكم**

إن لم يزد بِرُّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات» (مت٥: ٢٠). هذا ليس البر الذاتي والاعتماد على الذات والأعمال لدخول الملكوت، لكنه السلوك البار المتميز عن بقية الناس[٥٦].

إن المسيح يحذر مرات أن فرصة الدخول إلى الملكوت يمكن أن تُرفض وهكذا تضيع، إذ يصور الإنسان الرافض لدخول الملكوت كمَنْ يرفض بجهل دعوة أن يكون ضيف في وليمة (مت ٢٢: ١-١٣). كما أشار يسوع أن امتياز دخول الملكوت ربما يُسلب ويُنزع حين تَحدّث عن اليهود وقادتهم الذين ذبحوا الأنبياء ورجموا المرسلين إليهم، بل وصلبوا ابن الله، فنُزِع منهم ملكوت الله وأُعطي لأمَّة أخرى (الكنيسة) تصنع أثماره (مت ٢١: ٤٣).

ثانيًا: المقومات

الملكوت هو علاقة شخصية بين الله صاحب السلطان وبين رعيته. لكن كيف تكون هذه العلاقة وما هي مقومات ومؤهلات العضوية في ملكوت الله؟

١- التوبة

أشار يوحنا المعمدان أن التوبة هي مفتاح الملكوت والطريق إليه (مر ١: ٤). وفي مستهل خدمته كرز المسيح ببشارة الملكوت، وقال: **«قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»** (مر ١: ١٤-١٥). وكانت التوبة هي موضوع كرازة التلاميذ (مر ٦: ١٢) وهي الطريق لغفران الخطايا (أع٢: ٣٨). والكلمة الرئيسية التي يستخدمها العهد الجديد هي (ميتانيئو) وقد ورد الفعل ٣٢ مرة منها (مت ٣: ٢، ٤: ١٧، ١١: ٢٠) وورد الاسم ٢٢ مرة منها (مت ٣: ٨، مر١: ٤، لو٣: ٣) وهي تعني الحزن والندم على الخطية، وتغيير الفكر والعقل والإرادة، أي أن يغير الإنسان اتجاه حياته تغييرًا كاملاً. فالتوبة هي الوجهة الأولى للدخول إلى الملكوت.

٢- الإيمان بالإنجيل

في قول المسيح سالف الذكر نجد أن الإيمان بالإنجيل هو الوجهة الثانية في الدخول إلى الملكوت. والإنجيل هو إعلان بشارة الخلاص الذي أتمَّه الرب يسوع، وقد اُستُخْدِم الفعل ٢٥ مرة في إنجيل لوقا، و٢١ مرة في كتابات بولس، ومرة واحدة في متى. وورد الاسم ٨ مرات في مرقس، ٤ مرات في متى، ٦٠ مرة في كتابات بولس.

هنا نجد الارتباط بين كلمة «توبوا» و «الإنجيل» فالإنسان الذي يكتشف حقيقة نفسه أنه خاطئ، فيحزن ويندم على خطيته ويتوب ويؤمن بعمل الله الخلاصي لأجله، أي أن يؤمن بالإنجيل، تتغير حياته ويتحرر من الخطية.

والإيمان بالإنجيل أعمق من مجرد فهم عقيدة أو مجموعة عقائد لاهوتية، لكنه هو التصديق والثقة. تصديق عمل الله والثقة أن التوبة والإيمان بالمسيح المخلص هو الطريق إلى عضوية الملكوت، وبناء علاقة حية متبادلة مع الله.

٣- الولادة من فوق

في حديث المسيح مع المعلم اليهودي نيقوديموس، قال المسيح: «**الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يدخل ملكوت الله**» ثم أردف موضحًا: «**الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يرى ملكوت الله**» (يو٣: ١-٨). ونظرًا لضرورة بل وحتمية الولادة من فوق كشرط لدخول الملكوت كررها المسيح أربع مرات (يو١٢: ٣، ٥، ٦، ٧). وقد استخدم المسيح لفظتين بمعنى الولادة: الأول بمعنى الولادة في (يو٣:٣، ٧) والثاني بمعنى الصيرورة في (يو٣: ٥). والمعنى المقصود: أنه لكي يدخل الإنسان إلى ملكوت الله عليه أن يولد من فوق ليصير شخصًا آخر. وقد تترجم الكلمة «من فوق» إلى «من جديد» أو «من الروح» فالمولود من الروح هو المولود من فوق ومن جديد، أما المولود من الجسد فهو المولود من أسفل، ومن الأرض. والميلاد الثاني حقيقة اختبارية، هي عمل إلهي بالكامل (١بط١: ٢٣- ٢٥، يو١: ١٢-١٣). والمولود من الله ينال طبيعة جديدة، بل يصير خليقة جديدة تجعله يفعل البر ويسلك في الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدها له لكي يسلك فيها (٢كو ٥: ١٧- ٢١، أف ٢: ١-٩). فالميلاد الثاني ليس عملية إنسانية أرضية، بل هي من فوق، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد، فهي عملية إلهية.

٤- روح الطفولة

حين سؤل المسيح: «**مَنْ هو أعظم في ملكوت السماوات؟**» **دعا يسوع ولدًا وأقامه في وسطهم وقال: «الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السماوات. ومن قَبِل ولدًا واحدًا مثل هذا باسمي فقد قبلني**» (مت ١٨: ١-٥). وقد قصد المسيح أنه ينبغي أن يتمتع الإنسان بروح الطفولة البريئة والغافرة (مت ١٨ : ٢١- ٣٥) حتى يُؤَهَّل للدخول إلى الملكوت.

٥- طاعة وتحقيق إرادة الله

لكي تكون عضوًا صالحًا في دولتك عليك بطاعة قوانينها، وهكذا لكي تكون عضوًا في ملكوت الله، فإنك يجب أن تفعل إرادة الله وتحققها، وتسلك وفقًا لمبادئه. تمامًا كيسوع الذي كان طعامه وهدف حياته أن يفعل مشيئة الآب الذي أرسله ويتمم عمله.

ثانيًا: المسيح والمسيا

حتى يتسنى لنا فهم حقيقة مسيانية المسيح، ومفهوم يسوع عن مسيانيته، يتحتم علينا أن نغوص في الفكر الديني والشعبي الذي كان سائدًا في فترة ما بين العهدين (٣٥٠ ق. م - ٣٠ م). وكذلك الحركات والأحزاب الدينية والسياسية اليهودية، والآمال الجماهيرية التي استحوذت على اهتمام المجتمع اليهودي آنذاك.

المسيا في فترة ما بين العهدين

تنقسم فترة ما بين العهدين إلى مرحلتين: الأولى هي التي سبقت مجيء المسيح بالجسد، والثانية هي مدة ظهوره وخدمته على الأرض[٥٧].

المرحلة الأولى (٣٥٠ ق.م إلى تجسد المسيح)

جمع الكهنة في أيديهم السلطتين الدينية والسياسية، وأصبح رئيس الكهنة هو حاكم الأمة. لهذا أُغفل ذكر اسم المسيا وعمله في تلك الفترة، واستمر هذا الوضع حتى حلول الضيق على البلاد في بداية عصر المكابيين، الأمر الذي جعل الناس يفكرون في المسيا المخلص.

ومن الكتب الهامة التي تتكلم عن المسيا كتاب أخنوخ وكتاب مزامير سليمان. نُسب الأول إلى «أخنوخ» السابع من آدم (تك ٥: ٢١-٢٤) الذي نقله الله. ويعتقد أنه كتب في مدة طويلة ومؤلفه ليس شخصًا واحدًا، وإن كان شخصًا واحدًا فقد جمعه من عدة مصادر. وأهم ما يحويه هذا الكتاب هو الجزء المسمى «أمثال وتشبيهات» (الأصحاحات ٣٧-٧١). وقد اختلف العلماء حول هذا الجزء: إذ رأى بعضهم أنه كتب قبل مجيء المسيح، ورأى البعض الآخر أنه كتب بعد ابتداء العصر المسيحي لأنه يعكس الكثير من العناصر الموجودة في العهد الجديد. وقد أطلق «أخنوخ» على «ابن الإنسان» ألقابًا كثيرة منها: ابن المرأة، ابن الله المختار، العادل .. إلخ ويصفه بأنه موجود قريبًا من القديم الأيام (الله). وهو يشبه ابن الإنسان، ولقد اختاره الله وأقامه لكي يُخضع جميع أعداء الرب وشعبه. ولقد أعطى الله له الدينونة، فهو يدين الكل ولديه يسجد الجميع ولسوف يبقى إلى الأبد. والمسيح موجود من البدء وهو أبدي. وفي آخر المطاف يعلن الكتاب أن هذا المسيا هو أخنوخ نفسه الذي رفعه الله وجعله معه.

أما في مزامير سليمان فيصفه بأنه «ابن داود» الذي يؤيده الله بالروح القدس حتى يُرجع الشعب من الشتات ويعطي لهم المملكة، يكون سلاحه في كل عمله وجهاده لا سيفًا ولا رمحًا ولكن كلمة الله، كلمة البر. من هنا يتضح أن المُلْك ليس ملكًا أرضيًا بل هو ملك البر.

يجيء بعد هذين الكتابين آراء معلمي اليهود المسجلة في التلمود. والتي أعطت للمسيا مركزًا عظيمًا لا يفصله عن الله نفسه إلا خيط دقيق، فهو موجود قبل خلق الفلك والأرض، ويبنون ذلك على (أم ٨)، وقبل مجيئه واستعلانه ظهر في هيئة جسمية، وقيل أنه مكث في بيت لحم، ولمّا اكتشفه أحد معلمي اليهود اختفى، ثم ظهر مرة أُخرى أمام عرش القياصرة في روما. ويفسر التلمود «**لأن عندك ينبوع الحياة، بنورك نرى نورًا**» (مز ٣٦: ٩) أن النور الذي يريهم النور هو نور المسيا، النور الذي كان قبل خلق الشمس والقمر. هذا النور رآه إبليس قبل سقوطه فصرخ وعلم أنه سيذوق على يديه أقسى العذاب. والمسيا أعظم من موسى نفسه، وسيقوم بخلاص أعظم من الخلاص الذي قام به موسى. وعند ظهوره سيأتي راكبًا حمارًا هو نفس الحمار الذي ركبه موسى عند رجوعه إلى مصر، ونفس الحمار الذي ركبه إبراهيم واسحق عند تقديم اسحق ذبيحة. هذا الحمار خُلق قبل السبت الأول للخليقة مباشرة. وعصاه التي يستخدمها هي نفس العصا التي أفرخت (عدد١٧: ٨) وهي التي اتكأ عليها يعقوب عند بركته لأولاده (عب ١١). أما بوقه فسيصنعه من القرن الثاني للخروف الذي قدَّمه إبراهيم بدلاً من إسحق (تك ٢٢: ١٣). أما القرن الأول فقد صنع منه البوق الذي أُستخدم عند جبل سيناء (خر١٩: ١٦). وبوق المسيا سيكون أكثر شدة وصوتًا. وسيُنزل المسيا المَنَّ من السماء ولكنه مَن خالد

أكثر نعمة وبركة من المن الذي أنزله موسى. وسوف يفجر الصخرة بالمياه المُرْوِيّة التي تفوق مياه صخرة موسى ويجلس المسيا على يمين العظمة في حين أن إبراهيم يجلس على يسار الله.

المرحلة الثانية (أثناء حياة المسيح على الأرض)

وهي الأفكار التي عُرفت في الاكتشافات الحديثة المعروفة بمخطوطات البحر المَيت أو مخطوطات قمران ١٩٤٧ م. وهي تلقي الضوء على جماعة كانت مغلقة تمامًا على علماء الآثار، هي «الايسنيين». ولقد عاصرت هذه الجماعة حقبة مريرة في حياة اليهود وفي الفترة الأولى من كفاح المكابيين ضد السوريين واستقلالهم. لكنهم لم يستقروا في المدن بل هربوا إلى البرية مع الكثيرين من الفريسيين في عهد «إسكندر جانوس المكابي» ١٠٣- ٦٣ ق. م لوقوع الصدام بينهم وبينه، ثم رفضوا الرجوع إلى المدن مثلما رجع الفريسيون بعد موته، واستيلاء زوجته على الحكم، بل بقوا هناك وكونوا مجتمعًا مغلقًا له عاداته وتقاليده الخاصة. وقد استمرت هذه الجماعة إلى أن شتتها زلزال مدمر في عهد «هيرودس الكبير» قبل ميلاد المسيح. ولكنهم عادوا مرة أُخرى وبقوا مدة طويلة حتى أباد مجتمعهم الزحف الروماني وقت ثورة اليهودية التي انتهت بخراب أورشليم سنة ٧٠ م.

في الجزء المُسمى «أحكام المجتمع» في تلك المخطوطات يذكر أن مجتمعهم سيستمر تحت هذه القوانين إلى أن يأتي نبي ثم المختارون «المسحاء» من نسل هرون وإسرائيل. فهم كانوا ينتظرون ثلاثة مسحاء:

المسيح الأول: هو المسيح النبي (بناءً على تث ١٨: ١٨-١٩).

المسيح الثاني: هو المسيح الملك أو القائد الحربي (بناءً على تفسيرهم لنبوة بلعام ـ عد ٢٤: ١٥-١٧).

المسيح الثالث: هو المسيح الكاهن بناءً على البركة التي يعطيها موسى لبني لاوي «**تميمك وأوريمك لرجلك الصديق**» (تث ٣٣: ٨-١١). والتميم والأوريم هما الواسطتان اللتان بهما يستطيع الرائي القديم أن يعرف إرادة الله.

ويلاحظ في الحديث عن المسحاء في مخطوطات البحر الميت أن هناك تمايزًا بين المسحاء، فالأولوية قد أُعطيت للمسيح الكاهن أي مسيح هرون على المسيح الملك أو مسيح إسرائيل، ويظهر ذلك في المنظر المذكور في نهاية الأيام عند الجلوس على وليمة المسيا فهناك يذكُر «يجب ألا يأكل أحد خبزًا أو يشرب خمرًا قبل الكاهن، فله هو وحده أن يبارك الخبز والخمر، وأن يمد يده أولاً إلى الطعام وبعد ذلك يمد المسيا (مسيح إسرائيل) ليتناول خبزًا ليأكل».

وعمل المسحاء هو إبادة الأشرار سياسيًا أو دينيًا. فلقد كان مجتمع الايسنيين يحتقر الكهنة الموجودين في اليهودية، ويعتقدون أنهم نجسوا القدس، فمتى جاء الكاهن الأعظم سيكون أول عمل له هو إبادة الكهنة الدخلاء وتقديم المحرقة المقدسة، بينما يقود مسيح إسرائيل الشعب إلى النصرة وتعم إرادة الرب وتسود على المجتمع.

المكابيون والآمال المسيانية

شهدت فترة ما بين العهدين التي توقف الوحي فيها أحداثًا سياسية ودينية كبرى. فقد اكتسح الفرس كل الشرق

الأوسط تقريبًا، ثم على أنقاض الإمبراطورية الفارسية المنهارة قامت إمبراطورية «الإسكندر الأكبر»، الذي وصل في غزواته إلى الهند. ففي عمر ٣٣ سنة امتدت إمبراطوريته من اليونان إلى الهند. ثم بعدها جاءت الإمبراطورية الرومانية. فقد ساد هذه الفترة توتر ونضال وحروب وكفاح وسفك دماء. في تلك الحقبة الزمنية كان الأتقياء اليهود ينتظرون المسيا في صلاة. وظهرت آنذاك طائفة يهودية تحلم بالحرية وتؤمن بتغيير الواقع المؤلم، من استعمار واستعباد، بالعنف والثورة، تمهيدًا لمجيء المسيا الذي يُعيد المُلْك لإسرائيل، هي «طائفة المكابيين». وقد زعم كثيرون من قادة حركة المكابيين أنهم المسيا المنتظر، وهذا ما يصفه لنا سفرا المكابيين الأول والثاني (غير القانونيين).

يحتوي سفر المكابيين الأول على ستة عشر فصلاً يقص لنا فيها تاريخ كفاح المكابيين ضد تدنيس الهيكل، مثل ثورة «ماتاتياس» (ج ١، ٢)، وحملات وغزوات «يهوذا المكابي» (٣-٩)، (٩: ٢٣- ٧٣) عن «يوناثان»، (١٣-١٦) عن «سمعان».

أما مكابيين الثاني فهو كتاب ضخم يتكون من خمسة مجلدات. وقد لخصه لنا في جزء واحد «جازون القيرواني» سنة ١٢٠ ق.م تقريبًا. والكتاب يصف لنا الفترة ١٧٦- ١٦١ ق. م ويشدد كثيرًا على الاحتفال بعيد التجديد اليهودي (يو١٠: ٢٢) ويشير إلى بعض قصص السفر الأول.ويضيف بالطبع قصصًا أخرى مثل قصة الشهيد «ألعازر» معلم الناموس (٦: ١٨-٣١) وقصة الشهداء السبعة وأمهم (٧: ١-٤٢).

ويصور لنا الكتابان الصراع العنيف الذي خاضه هذا الشعب للحصول على الحرية الدينية والاستقلال الوطني من الممالك المختلفة التي استعمرتهم. بالرغم من هذه الظروف كانت هناك حفنة من الناس لا يقبلون الذل والخنوع، فهبت في وجه الاستعمار وطالبت بالحرية الدينية والوطنية. والذي قاد ثورة المكابيين هو الكاهن «ماتاتياس»، الذي عاش جزءًا من المأساة والأحداث التاريخية القاسية على شعبه اليهودي، ولاسيما ما فعله «أنتيوخس أبيفانس الرابع» الذي أرسل جيوشه إلى أورشليم فأشاعوا فيها خوفًا وسلبًا وقتلاً وتشريدًا. وفي سنة ١٦٧ ق. م أمر بإقامة تمثال «جوبيتر» في مكان مذبح التقدمة في الهيكل (١مكا ١: ٤١-٦٤، ٢مكا ٥: ١-١١) وبذلك نجّس الهيكل وأهان الإله القدير الذي ليس له مثيل أو شريك. وقد أشار الكتاب المقدس لهذه الحادثة (دا ٩: ٢٧، ١٢: ١١، مت ٢٤: ١٥، مر١٣: ١٤، لو ٢١: ٢١). ولم يكتف «أنتيوخس أبيفانس الرابع» بتدنيس الهيكل بل أصدر قرارًا يمنع فيه اليهود من تقديم الذبائح والعبادة لله، وأرسل منشورًا لكل الشعوب الخاضعة له أن لا تعبد إلا الإله الذي يعينه هو، وكل من يتعبد أو يقدم ذبائح لآلهة أخرى يُحكم عليه بالموت. وأمام هذا القرار الملكي انحنى الكثيرون، وهرب البعض إلى القرى والمدن النائية لكي يستطيعوا أن يتعبدوا لله خفية. ومن بين الذين طردوا من أورشليم الرجل الشيخ الكاهن «ماتاتياس» هو وأولاده الخمسة إلى مدينة مودين. وفي مدينة «مودين» تقدم رجل ليقرب ذبيحة للإله الوثني الذي عينه الملك، فأسرع ماتاتياس وخنقه فمات بين يديه. ثم قتل مندوب الملك الذي أمره بتقديم الذبيحة هو أيضًا. ثم خرج صارخًا: «مَنْ ليهوه فليتبعني». فالتف حوله ٦٠٠٠ شخص (١مكا ٢: ١٥-٢٨). وعندما سمع الملك بهذا الأمر أرسل جيشًا قويًا لسحق هذه الجماعة العاصية، فحاصرها

بدهاء وهاجم سكانها يوم السبت ورفض اليهود الدفاع عن أنفسهم يوم السبت حتى لا يكسروه، وفضلوا الموت على كسر وصية السبت (١مكا ١: ٢٩-٤١). إلا أن دماء هؤلاء كانت كالبذرة الجيدة التي سقطت في أرض خصبة فأعطت ثمارًا وفيرة. إذ كانت ثورة «ماتاتياس» بداية لعدة ثورات طويلة كلها قتل وحرب وسفك دماء، امتدت حتى بداية القرن الأول قبل الميلاد.

يهوذا المكابي

هو الابن الثالث «لماتاتياس الكاهن»، وقد أعطى له لقب (المكابي) الذي يعني المطرقة، إذ أنه عندما تولى قيادة الحركة الثورية التي بدأها أبوه كانت ضرباته قوية للعدو كضربات المطرقة. في سنة ١٦٦ ق. م حاول تنظيم المحاربين وإعدادهم عسكريًا، فانضم إليه كثيرون ممن يحلمون بالحرية والاستقلال. وقاد مع اخوته حروبًا وحقق انتصارات ضد جيش «أنتيوخس الرابع». كما قرر أن يصعد إلى أورشليم لكي يحررها ويطهرها (١مكا ٤: ٣٦- ٦١، ٢مكا ١-٢، ١٠: ١- ٨، يو١٠: ٢٢). وعندما دخل أورشليم ورأى رجاله حالة الهيكل مزقوا ثيابهم وبكوا بكاءً عظيمًا، لأن هيكل الرب أصبح كمغارة لصوص فبدأوا فورًا في تنظيفه وإصلاحه وبنيان ما تهدم منه واشتروا آنية أُخرى لخدمة الهيكل بدلاً من التي أخذها «أنتيوخس»، وهدموا المذابح الوثنية التي كانت تحيط بالهيكل، وكسروا التماثيل التي أقامها «أنتيوخس». ثم طلب من الكهنة الأمناء أن يقوموا بالخدمة في الهيكل (١مكا ٤: ٣٦-٦١). وفي يوم ١٤/ ١٢/ ١٦٤ ق. م دُشِّن الهيكل رسميًا وقُدمت عليه ذبائح بعد أن انقطع تقديمها ثلاث سنوات. ومنذ يوم تدشين الهيكل ويسمى (عيد التجديد) (يو١٠: ٢٢) واليهود يحتفلون بهذا العيد كل عام.

لهذه الأسباب نظر كثيرون من اليهود إلى يهوذا أنه المسيا. إذ أنه ناضل نضالاً مستمرًا لجمع الشعب المتفرق ولكي يوحد صفوفهم وهدفهم. ونجح إلى حد بعيد في بث الروح الوطنية في هذا الشعب وإنه خَلَق منه من جديد شعبًا واعيًا ولو جزئيًا لمسئوليته الوطنية.

جاء «أنتيوخس الخامس» بعد الرابع وشن حروبًا على يهوذا المكابي لكنه هُزِم، مما أضطره أن يمد يد المصالحة لأعدائه وأن يعترف لهم بحقوقهم الدينية، فمنح اليهود حرية العبادة. إلا أن فترة السلام التي وعد بها لم تدم طويلاً فقد أُغتيل سنة ١٦٣ ق. م وخلفه «ديمتريوس» ١٦٢-١٥٠ ق. م الذي شن حربًا شعواء على اليهود، لكنه هُزِم أمام جيوش «يهوذا المكابي» مما زاد من شعبية الأخير.

يوناثان

بعد أن اختفى البطل المحارب «يهوذا» سنة ١٦١-١٦٠ ق.م بدأت الاضطهادات ضد اليهود في المدن والقرى، وقد مر أتباع يهوذا في فترة مؤلمة عصيبة (١مكا ٩: ٢٣-٢٨) فاجتمعوا واختاروا «يوناثان» أخا «يهوذا» ليكون رئيسًا عليهم سنة ١٦٠ ق. م. وكان «يوناثان» سياسيًا أكثر من كونه حربيًا، على الرغم من أنه حقق انتصارات حربية. وبدأ نجمه يلمع في الأفق بعد هذه الانتصارات العسكرية. وحقق انتصارات سياسية كبيرة أيضًا. لكن هذا السياسي المحنك

سقط بسهولة في شباك الصياد «تريفون» وهو جنرال أنطاكي أرسل إلى «يوناثان» مدعيًا أنه يقوم بمؤامرة لقلب المُلك. عندئذ ذهب إليه «يوناثان» فاستقبله استقبالاً عظيمًا وتظاهر بأنه يريد أن يسلم مدينة «بتولمائيس» وبعض المدن الأُخرى ليوناثان، فاطمئن إليه وذهب معه إلى هذه المدينة. وهناك أُغلقت الأبواب عليه وعلى الألف شخص الذين معه، ولم تفتح الأبواب إلا لإخراج جثث القتلى، وهكذا سقط «يوناثان» سنة ١٤٣ ق. م.

سمعان بن ماتاتياس

عندما علم بمقتل أخيه «يوناثان» قام «سمعان» خطيبًا في الشعب مبينًا لهم ما بذله أبوه وأخوه لأجل المحافظة على الناموس وترميم مذبح الرب. ثم وعد بالانتقام لأخيه من أعداء الشعب. وعندما سمع الشعب هذا الخطاب صرخ قائلاً: «أنت رئيسنا بدل يهوذا ويوناثان» (١مكا١١: ١-١١). فتولى قيادة الشعب من هذا اليوم عسكريًا وكهنوتيًا سنة ١٤٣ ق. م. وحالما تولى الحكم أرسل خطابًا إلى الملك «ديمتريوس الثاني» يطلب منه رفع الضرائب عن بلاده، فاستجاب له الملك. وكان رفع الضرائب خطوة هامة نحو الاستقلال. والخطوة الثانية نحو الاستقلال كانت هي استيلاء «سمعان» على قلعة أورشليم وطرد القوات الأجنبية الرابضة فيها. وانتشرت أخباره بسرعة حتى إن الرومان طلبوا منه تجديد عهد المجمع اليهودي ومنحوا «سمعان» امتيازات كثيرة منها:

١- الاعتراف بأنه الرئيس العام.

٢- القائد الأعلى للقوات المسلحة.

٣- رئيس كهنة مستديم إلى أن يأتي نبي لتعيينه.

٤- المسئول الأعلى عن كل أعمال الإدارات والاجتماعات.

يوحنا هركانوس

جاء بعد عائلة «يهوذا المكابي» سنة ١٦٧-١٣٤ ق. م «يوحنا بن سمعان» وحفيد «ماتاتياس» وابن أخي «يهوذا المكابي»، ويعتبر يوحنا «هركانوس» آخر مكابي وأول عائلة الأسمونيين. تولى سنة ١٣٤ ق. م وأصبح كأبيه قائدًا للقوات المسلحة ورئيسًا للكهنة. وعندما تولى قيادة البلاد قام السوريون بهجوم عنيف عليه وحاصروا أورشليم فأضطر أن يعترف بسيادة «أنتيوخس السابع» ولم يتحرر من سلطانه إلا عندما حارب «البارطيون» «أنتيخوس السابع» وقتلوه سنة ١٢٨ ق. م وبهذه الحادثة تحرر «يوحنا هركانوس» من القيود التي كانت تعوقه عن السير إلى الأمام نحو الحرية والاستقلال. واستعاد سلطانه الكامل فهدم هيكل جرزيم ثم أجبر الأنوميين على الختان. واستطاع بمساعدة روما أن يحصل على استقلال بلاده. وحاول إدخال النظم الحديثة وأن ينشر التمدن في بلاده فسمح بما يُسمى (الدنيوية أو العالمية) في الديانة اليهودية والحياة العملية. فشجع الحركات الأدبية والرياضية والثقافية، فنشطت من جديد المراكز الثقافية اليونانية، وتحدث بعض اليهود باللغة اليونانية رافضين العبرية.

لهذا السبب اتسعت الفجوة بين «هركانوس» وجماعة الحاسديم (الأتقياء) التي كانت تعتبر اندماج الأمة اليونانية بلغتها وثقافتها وعاداتها في المجتمع اليهودي أمرًا خطيرًا على الحياة الروحية لليهودي. لذلك رفضت جماعة الحاسديم حركة التمدن، واتسعت الفجوة بينهم وبين العائلة المالكة.

هذه كانت نماذج من الفكر المسياني عند اليهود في فترة ما بين العهدين[٥٨].

هيرودس الملك

تولى «هيرودس» الحكم سنة ٣٧ ق. م بعد أن حَكَم بالموت مربوطًا على خشبة على «أنتيوخس أرستوبولس» من عائلة الأسمونيين، وهكذا انتهى حكم هذه العائلة. إذ استطاع «هيرودس» بمساعدة الرومان العسكرية استرداد اليهودية من يد أنتيوخس.

كان «هيرودس» سياسيًا ماهرًا ودبلوماسيًا محنكًا، يعرف كيف يكسب ثقة أصدقائه، بل وأعدائه أيضًا، سواء بالدبلوماسية أو بالعنف. ظل حتى موته حليفًا مخلصًا لروما وسياستها فقد انضم إلى «أُكتافيوس» الذي حصل سنة ٢٧ ق. م على لقب (أُغسطس) ويعد لقبًا دينيًا يعني السامي أو العظيم أو الإلهي. وقد عمل «هيرودس» على إرضاء «أُكتافيوس» ومجلس الشيوخ من ناحية ومن الناحية الأُخرى على إرضاء الأمة اليهودية. وقد أظهر روح السخاء والكرم لليهود أثناء المجاعة إذ باع الصواني الذهبية التي كان يملكها لكي يشتري بها قمحًا للشعب الجائع. وحاول القيام بدور المصالح بين الشعب لكنه فشل في ذلك لكثرة جرائمه ضد كل من كان يظن أنه يتمرد ضده حتى زوجته وأولاده الثلاثة. وقد ظل ملكًا لمدة ٤٠ سنة ٣٧ ق. م – ٤ م. وهو الذي أمر بقتل الأطفال الأبرياء في بيت لحم عندما علم أن منافسًا له في السلطان سيخرج من وسطهم (مت ٢: ١–١٨) ظنًا منه أنه يستطيع قتل الطفل يسوع (ملك اليهود) ويتخلص منه. لكنه مات هو تاركًا خلفه إمبراطورية واسعة لكنها فقيرة اقتصاديًا. وبعد موته تفجرت البراكين التي استطاع في حياته أن يسكنها ويخرسها. واندلعت الثورات في أماكن كثيرة، وقامت أحزاب معتدلة ومتعصبة انتهى بها الأمر إلى خراب أورشليم سنة ٧٠ م. وما ساعد على ظهور هذه الأحزاب الدينية هو أن الكثيرين من الشعب اليهودي قد تركوا في ذلك الوقت التمسك بالناموس، واندمج الكثيرون منهم في الأمم واشتركوا معهم في عاداتهم وتقاليدهم. حتى أن طبقة الكهنوت تواطأت بطريقة مكشوفة وبلا حياء مع الرومان واليونان، ولهذا واصلت جماعة الفريسيين المناداة بالعودة إلى الناموس والتمسك به والعمل بموجبه. بالإضافة إلى جماعة الايسنيين الذين انفصلوا هم أيضًا عن العائلة المالكة وكانوا ينتظرون (سيد البر).

الحركات الثورية الشمالية

بعد موت هيرودس سنة ٤ م، حدثت عدة اشتباكات مسلحة بين القوات الرومانية وبين بعض اليهود الحجاج الذين جاءوا لزيارة أورشليم. وامتدت الاشتباكات خارج العاصمة، ولم تستطع القوات الرومانية أن تُسكت الأصوات الصارخة التي كانت تطالب بالحرية، إلا مؤقتًا، إذ أن الثورة بدأت من جديد على نطاق واسع عندما صدر أمر بالاكتتاب في أيام

«كرينيوس»، والي سورية بهدف معرفة الإمكانات المالية للمنطقة تمهيدًا لفرض ضريبة مناسبة عليها. وعندما صدر أمر الاكتتاب نصح رئيس الكهنة آنذاك الشعب بالخضوع لهذا الأمر تنفيذًا لمطالب روما، لكن المعلم اليهودي يهوذا الجليلي ثار على هذا القرار الإمبراطوري، وحث على الثورة والتمرد على السلطات الرومانية سنة ٦م. وما دفعه لهذا التمرد هو اعتقاده بأن دفع الضريبة لدولة أممية وقبول سلطانها والخضوع لها يُعَد كسرًا للناموس وخطيئة، وبالتالي رفضًا لسلطان يهوه. وأشار سفر الأعمال إلى هذه الثورة (أع ٥: ٣٦-٣٧). وقد قام «يهوذا الجليلي» بثورته سنة ٦-٧م. ومنذ ذلك التاريخ ظهرت حركة أو حزب ديني سياسي جديد يهدف إلى تحرير البلاد من الاستعمار وحكمها بحسب التوراة بطريقة متعصبة ومَنْ يخالف يعاقب ويطرد. وقد علق «يوسفيوس فلافيوس» المؤرخ اليهودي بالقول: «إن يهوذا الذي يدعى الجليلي قد بث في نفوس اليهود روح الثورة وعدم دفع الجزية للرومان لأنه بدفعهم الجزية للرومان يساوون الله بالإنسان. وبذلك أسس «يهوذا» طائفة جديدة تختلف عن المذاهب الثلاثة الأخرى (الفريسيين والصدوقيين والايسنيين). ودعي اسمها حركة السيكرSicaires.

إن الثورة التي قام بها يهوذا الجليليو «صادوق» لم تكن تهدف إلى تحرير البلاد من المستعمر الروماني فقط بل إلى إعادة النظام الثيوقراطي (الحكم الإلهي). لهذا حاولا إشعال نار الثورة من خلال عظاتهم وخطبهم الحماسية ضد الرومان، ويقول «يوسفيوس»: «لقد كان لهذه الخطب التأثير العميق لدرجة إنها دفعت الجماهير إلى الثورة. إن هذين الرجلين استطاعا أن يلقيا الاضطراب والفوضى في وسط الشعب بطريقة غير معقولة»[٥٩]. وقد ردت الجيوش الرومانية على هذه الثورة بضربات قاسية قاضية وقضت على الزعيمين (أع ٥: ٣٧). وبعد موت «يهوذا الجليلي» تشتت أتباعه خاصة في الجليل وقاموا بأنشطة سياسية وعمليات هجومية ضد الرومان وأتباعهم ولكن بطريقة سرية جدًا، إلى أن جاء اليوم الذي أمكن لهذا الحزب إعلان تمرده وعصيانه وثورته على الرومان وأعوانهم.

هذه الجماعة سماها «يوسفيوس» جماعة الخناجر «Sicaires» فهذا الحزب تبنى كوسيلة - لتحرير البلاد - العنف والهجوم والقتل. ويرى «هنجل وبراندون» أن جماعة «الخناجر» هي حزب الغيورين الذي ظهر على نطاق واسع سنة ٦م أي عندما ظهر يهوذا الجليلي. أما «د. القس حنا الخضري» فيرى أن جماعة الغيورين قد ولدت في التاريخ اليهودي بعد المبادرة التي قام بها «فينحاس بن أليعازار» (عدد٢٥: ٦-١٥) وبدأت تنتشر الحركة الغيورية في أيام حكم «أنتيوخس أبيفانس الرابع» بطريقة فردية أو جماعية، قوية وفعالة في بعض الأحيان، وضعيفة في أحيان أخرى. إلى أن جاء يهوذا الجليلي وقام بثورته ضد الرومان وضد الأرستقراطية الكهنوتية، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه الحركة منظمة دينية سياسية[٦٠]. ومع أن هجوم الرومان على هذه الجماعة وقتلهم لقائدها «يهوذا الجليلي» و«صادوق الفريسي» وتشتيتهم لأفرادها سنة ٦، ٧م كان ضربة قاسية مريعة لحياة هذه المنظمة، فقد ظل الغيورون بالرغم من هذه الضربة متمسكين بغيرتهم الدينية والسياسية، والعمل على تنفيذ أغراضهم والوصول إلى أهدافهم. فالذين أفلتوا من الرومان تشتتوا في البلاد خصوصًا في الجليل وكوَّنوا نواة للمقاومة، كانت تعمل بطريقة خفية. وقد خرجت من جماعة الغيورين عدة أحزاب دينية وسياسية منها:

١- «الحزب الشمالي المعتدل» الذي يُؤمن بحاجة البلاد إلى الإصلاح الشامل.

٢- «الحزب الشمالي» ويؤمن بنفس أهداف الحزب السابق، لكن لكي يصل إلى أهدافه لابد من استعمال القوة ضد الأجنبي.

٣- «حزب السيكر» الذي يهدف إلى تطهير الهيكل وتحرير البلاد من المستعمر ثم تأسيس دولة ثيوقراطية. ويصور «يوسفيوس» هذا الحزب بأنه عصابة لصوص متعصبة دينيًا وسياسيًا تُشيع في البلاد الاضطراب وترتكب الجرائم التي تقشعر لها الأبدان، وقد حملهم رد الفعل الذي قام به الرومان ضد جرائمهم خصوصًا ما حدث في ثورة سنة ٦٦م. وأدى إلى خراب أورشليم سنة ٧٠م.

ومن الواضح أن عائلة «يهوذا الجليلي» لعبت دورًا هامًا في حزب الغيورين لدرجة أن الجليل مسقط رأسه أصبح ملجأ للغيورين. ويذكر لنا البشير لوقا أولئك الذين خلط «بيلاطس» دمهم بذبائحهم (لو ١٣: ١-٢). الذين جاءوا إلى «أورشليم» لتقديم ذبائح كعادة اليهود، وعندما رأوا الأوضاع القائمة هناك والقوات الرومانية بالقرب من الهيكل والنسر الروماني، لم يستطيعوا أن يحتملوا إهانة كهذه فثاروا، مما اضطر «بيلاطس» أن يرسل قوة عسكرية لتقضي عليهم، فقتلتهم وخلطت دماءهم بذبائحهم التي كانوا يقدمونها. وما أشعل فتيل الثورة قيام «بيلاطس» ببناء مجرى ماء لكي يمد المدينة والهيكل بمياه صالحة للشرب، ولأنه موّل هذا المشروع من صندوق الهيكل، فغضب اليهود حتى المعتدلين منهم. وقام عدد من اليهود ادّعى كل منهم أنه المسيا المنتظر ومنهم «ثيوداس» الذي قتل بأمر الحاكم «فادوس» سنة ٤٤-٤٦م. كما تعامل «فيلكس» الوالي بوحشية مع الوطنيين الثوار.

لهذه الأسباب ولغيرها ثار الغيورون ضد الرومان، وفي سنة ٦٦م، ارتدت القوات الرومانية مهزومة في مواجهة الثورة اليهودية، وقد اعتبر الغيورون أن النصر جاء من فوق، ولابد أن الله سيتدخل لكي يحرر شعبه من الاستعمار. إلا أن روما كلفت «فسباسيان» بإخماد الثورة، فقتل عددًا كبيرًا من قادة الثورة في الجليل وهرب منهم عدد إلى أورشليم سنة ٦٧م، وبعدما تولى عرش روما سنة ٦٨م ترك ابنه «تيطس» لإخماد الثورة اليهودية الذي قضى عليها سنة ٦٩م. إلا في أورشليم وبعض الحصون الموجودة بالقرب من البحر الميت. وفي مايو (أيار) سنة ٧٠ م. كان نصف المدينة في يد الرومان. وفي ٢٩/ ٨/ ٧٠م. سقطت المدينة إلا أجزاء منها في يد الرومان فحرقوا المذبح. وفي آخر سبتمبر (أيلول) سقطت المدينة كلها في يد المحتل الروماني، فهدموها ولم يبق منها إلا جزء من الحائط الغربي بأبراجه الثلاثة (لو ٢١: ٢٠-٢٢، مت ٢٤: ١٥-١٩).

المعتقدات المسيانية قبل الميلاد

ظهر عدد لا بأس به قبل وأثناء وبعد مجيء المسيح، ادعى كل منهم أنه المسيا المنتظر الذي سيحطم قوة الرومان ويحرر شعب الله من السلطان العاتي. منهم «سمعان الجليلي» الذي حاول تحرير البلاد من الرومان لكي يحكمها حكمًا ثيوقراطيًا. واتبع كثيرون بعده نفس النهج. كما حاول الغيورون حكم البلاد بالتوراة، حتى ولو تطلب الأمر القوة والعنف.

لهذا فقد كان النزاع بين الرومان وبعض الأحزاب اليهودية عنيفًا ومستمرًا، وضربت روما بيد من حديد على كل من ادعى أنه المسيا، لأنه بهذا الادعاء يحاول أن يفرض سلطانًا آخر على إسرائيل غير سلطان قيصر (أع٥: ٣٦-٣٨). وقد أشار سفر الأعمال (أع ٢١: ٣٨) «ويوسفيوس» إلى الرجل المصري الذي كان عضوًا في «حزب السيكر» وقد جمع من حوله ما يقرب من أربعة آلاف شخص وصعدوا إلى جبل الزيتون ووعد الشعب بأنه سيعمل بأورشليم ما عمله «يشوع» بأريحا عندما أسقط أسوارها، ووعد الشعب أيضًا - الذي خرج وراءه - بأنه عند سقوط أسوار أورشليم والاستيلاء عليها سيقتل الرومان ويحرر المدينة منهم. إلا أن جيوش «فيلكس» اشتبكت معه ومع أتباعه في معركة شرسة فقُتِل عدد من أتباعه أما الرجل المصري فهرب. ويسجل لنا التاريخ أنه منذ آخر حكم «هيرودس» إلى حوالي سنة ٧٤م شهدت البلاد ظهور عدد كبير من الثوار والأشخاص الذين ادعوا بأنهم مسايا، مما أثار غضب الرومان وجعلهم ينظرون إلى هذه الحركات كمقاومة للرومان ولقيصر نفسه. إذ أن هذه الحركات كانت تنادي بقرب مجيء ملكوت الله على الأرض وأن كل الأمم ستصير هي نفسها خاضعة لإسرائيل وتدين بديانتها وقد بنوا ذلك على تفسير خاطئ للنصوص التالية (إش ٩: ٢-٧، ١١: ١-١٢، حز ٣٢: ٧، إر ٤: ٢٤، إش٣٠: ٢٧، ٣٤: ٥-١٠، ١٠: ١٤-١٩، ٦١: ١٥-١٦). ولكي تتحقق هذه الأمنية لابد أن يهوه نفسه سيتدخل في الأمر وسيؤيد شعبه ضد الرومان لطردهم من البلاد. وقد كانت هذه الحركات تؤمن أن المسيا سيُخضع الأمم تحت قدميه وهذا اتضح - حسب رأيهم - من تجربة الشيطان للمسيح (لو ٤: ٥-٦).

يسوع والغيورون

يمكن تلخيص برنامج الحزب الغيوري الشمالي المتطرف في ثلاث نقاط:

١- جلاء المستعمر جلاءً كاملاً وعاجلاً.

٢- جعل الأمة اليهودية أمة ثيوقراطية.

٣- الإصلاح الديني إصلاحًا جذريًا، بتغيير الأوضاع القائمة، وخاصة تغيير طبقة الكهنة الأرستقراطية المتعاونة مع الاستعمار.

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه هو: ما هو سبب صمت المسيح وعدم إشارته إلى الغيورين كما تكلم عن الكتبة والفريسيين؟

تذكر الأناجيل الثلاثة الأولى اسم «سمعان القانوي» (مت ١٠: ٤، مر ٣: ١٨) أو الغيور (لو ٦: ١٥، أع ١: ١٣). ويرى كثيرون من المفسرين أن «سمعان» هذا من حزب الغيورين، وقد رأى في يسوع المسيا الروحي وفي الوقت نفسه المسيا السياسي الذي سيخلص إسرائيل من الاستعمار الأجنبي. بل ويرى أصحاب هذا الرأي أن «سمعان الغيور» لم يكن التلميذ الوحيد الغيور ضمن قائمة تلاميذ المسيح، بل رأوا في «يهوذا» غيورًا قد خابت آماله في سيده.

موقف الغيورين من يسوع

عندما ظهر «يسوع» وبدأ ينادي بقرب ملكوت الله (مر ١: ١٤-١٥) ظنه الغيورون مسيا سياسيًا يخلص إسرائيل من الاستعمار الروماني القاسي. لهذا السبب جاء بعضهم لكي يخطفوه ويجعلوه ملكًا (يو ٦: ١٥). لقد رأوا في يسوع شخص المسيا السياسي المنتظر.

ويرى بعض الدارسين أن «يهوذا» غيّور متطرف، ودعم أصحاب هذا الاتجاه رأيهم من إنجيل يوحنا حيث أن كل إشارة إلى «يهوذا» في إنجيل يوحنا ترتبط بتعليق مشين (يو ٦: ٦٤-٧١). ويعتقدون أن الشكوك في مسيانية يسوع، الذي حلم به كثيرون من اليهود خصوصًا الغيورين، بدأت تساور «يهوذا الأسخريوطي» بعد أن سمع في كفر ناحوم عظة يسوع عن خبز الحياة الذي سيكون طعامًا للآخرين (يو ٦: ٢٥-٥٩). فكيف يمكن أن يكون المسيا ذبيحة، ونحن نريد مسيا عسكريًا قويًا يحرر من العدو؟ ولقد ازدادت شكوكه في مسيانية يسوع عندما سمعه يأمر بطرس بدفع الجزية للمستعمر (مت ١٧: ٢٤-٢٧). ومن هذا الوقت بدأ يفكر في هجرة يسوع. ويقول عنه يوحنا البشير في مناسبة العشاء الأخير: «**فبعد اللقمة دخله الشيطان**» (يو ١٣: ٢٧). فبالرغم من وجوده مع يسوع، ظل على ما كان عليه قبل مقابلته، فقد ظل الشخص السارق. وتظهر هذه الروح في حادثة مريم عندما دهنت قدمّي الرب بالطيب (يو ١٢: ٥-٦). فعندما أدرك يهوذا أن يسوع ليس هو المسيا السياسي المنتظر بحسب المفهوم الغيوري، بدأ يفكر في طريقة أُخرى يحصل بها، على الأقل، على مبلغ من المال لمساعدة حزبه السياسي أو لنفسه. ولهذا تآمر مع رؤساء الكهنة وباع لهم يسوع (مت ٢٦ : ١٤-١٦) إلا أنه بعدما أسلم يسوع، شعر بخطيته وجرمه العظيمين ومضى وشنق نفسه (مت ٢٧: ٣-٥، أع ١: ١٦-١٩).

موقف يسوع من الغيورين؟

إن الأمر الملفت للنظر هو صمت الأناجيل الظاهري عن الغيورين، مع أن الغيرة الدينية لهذه الطائفة كانت تفوق كثيرًا غيرة الفريسيين والكتبة، فقد كانوا ينتظرون بفارغ الصبر ظهور ملكوت الله وانتشاره. وقد تكلم الناس والمؤرخون في عصر المسيح كثيرًا عن الغيورين، أما المسيح والأناجيل فقد التزموا الصمت، ظاهريًا، عن التكلم عن هذا الحزب. في حين تحدثت الأناجيل عن الأحزاب الأخرى كالفريسيين والصدوقيين والهيرودسيين. إذًا لماذا صمت المسيح عن الغيورين؟ لعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه الجماعة كانت تعيش بطريقة خفية، وكانت مراقبة ومطاردة من السلطات الرومانية المستعمرة للبلاد على عكس أحزاب الكتبة والفريسيين والصدوقيين والهيرودسيين المعترف بها من السلطات اليهودية والرومانية، لذلك تجنب المسيح الكلام عن الغيورين حتى لا تتعرض بسبب إشارته لها إلى أخطار عظيمة من الرومان. إلا أنه بالرغم من هذه الحقيقة فإن يسوع تكلم مرات عديدة عن الغيورين خصوصًا الحزب المتطرف منهم (السيكر). لكنه تحدث عنهم مستخدمًا الألغاز أو الكلمات التي تحمل عدة معاني. وعل سبيل المثال:

١- قبل المسيح بعض الغيورين كتلاميذ له مثل «يهوذا الأسخريوطي»، فاسمه «الأسخريوطي» في اليونانية سكيري

أي حامل السكين أو الخنجر. وهو شعار الحزب الغيوري المتطرف. كما أن حياة ونهاية يهوذا تدل على أنه كان عضوًا في هذه الجماعة، إذ عندما أدرك أن يسوع ليس هو المسيا السياسي الذي سيقود جيوش الغيورين لتحرير البلاد، بل وظن أن المسيح يتعاون مع المستعمر في قبوله دفع الجزية التي يرفضها كل غيور (مت ١٧: ٢٤–٢٧، يو١٣: ٢٧) عندئذ دخل الشيطان في قلبه، فسلم سيده إلى أيدي الأعداء (يو١٣: ٢٧، مت ٢٦: ١٤–١٦، ٤٧–٥٠).

٢– تكلم المسيح في مناسبات كثيرة عن حزب الغيورين بصورة خفية، فمثلاً في كلامه للجماهير عن يوحنا المعمدان: «ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أ إنسانًا لابسًا ثيابًا ناعمة؟ هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك. لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أ نبيًا؟ نعم، أقول لكم، وأفضل من نبي» (مت١١: ٧–٩). في قوله «أقصبة تحركها الريح» لا يقصد القصب حرفيًا، لكن التحليل السياسي لهذا القول أن الغيورين كانوا يشكلون هيئة المقاومة ضد المستعمر ويستعملون كل وسائل العنف والغدر والقتل ضد الرومان. ولذلك طاردتهم السلطات الرومانية أينما وجدوا، فاضطروا إلى الهروب إلى الصحاري والبراري والجبال بعيدًا عن عيون الرومان. ومن الناحية اللغوية نجد كلمة «قصبة» في العبرية (كان QANE) تحمل عدة معاني إذ تعني «قصبة» أو «غيورًا». فالمعنى الظاهري لكلمة «كان QANE» هو قصبة تحركها الريح، أما المعنى الخفي والمقصود فهو «غيور». والمسيح ينفي أن المعمدان غيور سكن في الصحراء، فالمعمدان يختلف كثيرًا عن الغيورين (QANES).

مرة أخرى استخدم المسيح كلمات تَورية تحمل أكثر من معنى للإشارة إلى الغيورين في حديثه مع «نثنائيل» (يو١: ٤٧–٥١). إذ يبدأ المسيح حديثه معه بالقول: «هوذا إسرائيلي لا غش فيه». ويندهش «نثنائيل» لهذا الإعلان لأنه لم يتقابل من قبل مع المسيح ولم تتح له الفرصة بأن يناقشه لكي يعرف أفكاره واتجاهاته السياسية. ولذلك يسأل «نثنائيل» المسيح قائلاً: من أين تعرفني أني رجل وطني متحمس؟ وفي إجابته يستعمل المسيح كلمة ذات معنيين لكي يعلن لهذا الغيور أنه يعرفه: «قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك». وكلمة «تينة» في الآرامية «سوكو Suko» وباليونانية «sikah» والمعنى القريب لهاتين الكلمتين «تينة» لكن المعنى البعيد والمقصود هو سكين أو حامل السكين أو الخنجر. وكأن المسيح يقول له: يا نثنائيل أنا أعرفك قبل أن يدعوك «فيلبس»، عندما كنت غيورًا في جيش السيكر.

كما أن المسيح وبخ حزب الغيورين (السيكر) في مثل التينة غير المثمرة (لو ١٣: ٦–٩) مُظهرًا أن الله ينتظر سنة بعد الأُخرى توبة هذه الجماعة ورجوعها عن العنف والشر، وأن يصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة. والمسيح لعن شجرة التين غير المثمرة (مت ٢١: ١٨–٢٠، مر١١: ١٢–١٤) مشيرًا بل منذرًا الغيورين.

٣– قَدّم اليهود المسيح للمحاكمة كأحد الثوار أو الغيورين، لأنهم كانوا يعلمون تمامًا ما هو موقف الحكام الرومان من الغيورين، ولذلك كانوا يشددون قائلين: «**إنه يهيج الشعب**» (لو ٢٣: ٥، ١٤). وكانت عادة الرومان في حكمهم على أحد هؤلاء الثوار الغيورين أنهم يضعون قصبة في يده إشارة أنه «غيور»، وإثباتًا لتهمة انتسابه إلى حزب الغيورين المتطرف، حتى يُحكم عليه بالموت. ولكن بالرغم أن بيلاطس أعلن براءة المسيح من هذه التهمة، وغسل يديه مُعلنًا براءته

من دم المسيح البار، فقد ظنَّ الجنود الرومان أن يسوع هو أحد مثيري الشغب، لذلك وضعوا في يمينه (قصبة) لكي يشيروا أنه «غيور» (مت٢٧: ٢٩). ولهذا السبب صُلب بين لصين.

مما سبق يتضح لنا أن المسيح تكلم عن الغيورين بصورة خفية. فما هو موقفه منهم؟

إن تعاليم يسوع وحياته وأعماله تدل أنه لم يكن غيورًا أو مشجعًا لحركة الغيورين المتطرفة، لأنه جاء ليعطي للإنسان الحياة الفُضلى (يو١٠: ١٠). وقد أحب العالم كله وبذل نفسه عنه (يو٣: ١٦). وإن كان المسيح قد اختار من بين تلاميذه بعض الغيورين، فهذا لا يدل على أنه كان غيورًا لأنه قدم الدعوة للجميع دون النظر إلى الأحزاب السياسية أو الطوائف الدينية التي ينتمون إليها، فجماعة التلاميذ تشمل غيورين كما تشمل متى العشار (مت ٩: ٩، ٢: ١٤، لو٥: ٢٧) والعشار كان من الطبقة الحاكمة. فاختيار المسيح لتلاميذه لم يكن وفقًا لانتسابهم إلى حزب سياسي معين أو طائفة عقائدية، بل على مدى استجابة كل شخص بطريقة واعية وحرة لهذه الدعوة المقدمة له أن يولد من فوق وينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبع المسيح. فالمسيح لم يقصد تغيير الأوضاع السائدة بالعنف، بل جاء ليغير القلب والحياة من الداخل.

صورة المسيا لدى الطوائف اليهودية

١- المُحَرِّر: الذي يحرر اليهود من المستعمر ويسحق أعداء إسرائيل تحت أقدامهم ويملكهم عليهم، فيصبح إسرائيل هو السيد المتسلط على العالم.

٢- مسيا الرخاء والرفاهية: الذي يحقق وعد يهوه القديم لشعبه، بعصر الرفاهية والعز (خر٣: ٨، ١٧، ١٣: ٥، ٢٣: ٣، لا ٢٠: ٢٤، تث ٢٦ : ٩، ١٥، ٢٧: ٣، إر ١١: ٥، ٣٢: ٢٢). فعندما يأتي المسيا الذي تنبأ عنه الأنبياء، ستعطي الأرض كل قوتها (أي ستفيض لبنًا وعسلاً) وستكون السماء سخية في أمطارها، والطبيعة غنية في إنتاجها لدرجة أنه: **«الإنسان يربي عجلة بقر وشاتين، ويكون أنه من كثرة صنعها اللبن يأكل زبدًا، فإن كل من أُبقي في الأرض يأكل زبدًا وعسلاً»** (إش ٧: ٢١-٢٢). وعند مجيء المسيا تحل البركة (مي ٤: ١-٥). ففي عصر المسيا تنتج الأشجار والكروم كميات لا يمكن للعقل أن يتخيلها.

٣- مسيا السلام: الذي سيحرر اليهود، ويعطي السيادة لإسرائيل ويعم السلام في عصر المسيا. وليس الجنس البشري فقط، بل أيضًا الطبيعة كلها ستتخلص من طباعها وغرائزها الوحشية (إش ٢: ١-٤، ١١: ٦-١٠، ٦٥: ٢٥، مز ٤٦: ٨-١١، ٧٢: ٦-٧، مي ٤: ١-٥) لأن المسيا المنتظر يدعى «رئيس السلام». إلا أن هذه الآيات لا تُفسر تفسيرًا حرفيًا كما يقول البعض أن المسيح سيأتي ليملك ملكًا ألفيًا حرفيًا على الأرض بالطريقة الموصوفة هنا، لكن الآيات تُفسر روحيًا. وهذا ما سندرسه بالتفاصيل عند التعرض لهذه النصوص وما شابهها.

مفهوم التلاميذ عن يسوع

أثناء خدمة يسوع على الأرض وحتى قيامته من الأموات وصعوده إلى السماء، لم تختلف عقيدة التلاميذ فيه عن

عقيدة الكثيرين من معاصريهم اليهود. فكم من المرات سأل التلاميذ المسيح أسئلة تدل على أن المفاهيم اللاهوتية والشعبية اليهودية كانت تسيطر عليهم (يو١: ٤١). فقد كانوا ينتظرون المسيا الذي يخلص ويحرر إسرائيل من العبودية الأجنبية ثم يُنعش الحياة الروحية.

لعل أبرز المواقف التي تبين مفهومهم هذا:

١- الإعلان العظيم الذي نطق به بطرس في قيصرية فيلبس عندما سأل المسيح قائلاً: **«مَن يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟» فقالوا: «قوم: يوحنا المعمدان، وآخرون: إيليا، وآخرون: إرميا أو واحد من الأنبياء». قال لهم: «وأنتم، من تقولون إني أنا:؟» فأجاب سمعان بطرس وقال: «أنت المسيح ابن الله الحي!». فأجاب يسوع وقال له: «طوبى لك يا سمعان ابن يونا، إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات»** (مت ١٦: ١٣-٢٠). هذا الاعلان لم يكن نتيجة لتفكير بطرس الشخصي، بل هو إعلان الآب له. لكن بطرس كان كبقية التلاميذ تسيطر عليه نفس الأفكار والمعتقدات التي كانت تسيطر على كثيرين من اليهود، بل وفي كثير من الأحيان استحوذت الأحلام المسيانية على التلاميذ. فهناك فرق شاسع بين هذا الإعلان الموحى به من الآب لبطرس وبين عقيدة وإيمان بطرس الشخصي في يسوع الناصري، فبطرس يؤمن أن المسيا سيأتي، لا لكي يتألم ويموت بل لكي يُخلص شعبه من الذل ويمجدهم. فالتلاميذ لم يكونوا مستعدين أن يتقبلوا هذا الإعلان. إنهم كانوا ينتظرون ابن الإنسان صاحب السلطان، أما عبد الرب الذي يموت، فلم يحلموا به. لهذا السبب عينه فإن بطرس الذي يعترف بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحي، هو نفسه الذي ينتهر المسيح بشدة عندما يتكلم عن آلامه وموته. وعندما نقرأ النص بدقة، نجد تحولاً في تعليم المسيح، فقبل هذا الاعلان لم يتكلم المسيح كثيرًا عن آلامه وموته، أما بعد الاعلان فقد بدأ يتكلم بوضوح وصراحة عن موته **«من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيرًا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم. فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً:" حاشاك يارب! لا يكون لك هذا!" فالتفت وقال لبطرس: «اذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»** (مت ١٦: ٢٠-٢٣). فهو ابن الله الذي يتألم ويموت بدلاً من شعبه، هذا التغيير في اتجاه تعليم المسيح يرجع إلى أنه كان يدرك أن تلاميذه كانوا يفسرون هذا الإعلان أنه ابن الله تفسيرًا جسديًا، فبدأ يؤكد لهم على حتمية موته. (وهذا ما سنتوسع فيه لاحقًا في مفهوم يسوع عن نفسه أنه المسيا). وفي الحقيقة هناك سببان دفعا بطرس لانتهار المسيح:

(أ) أنه فهم حقيقة أن المسيح ابن الله الحي فهمًا جسديًا أن المسيح يخلص إسرائيل من الاستعمار ويرد له حريته المسلوبة.

(ب) أن يسوع تكلم علانية عن موته (مر ٨: ٣٢). وكأن بطرس يقول له منتهرًا: يا يسوع ألا تعلم أنك تعثر الشعب، وتحطم آمالهم في السيادة والسلطان؟

٢- حينما جاءت أم ابني زبدي تعبر عن حلم ابنيها (يعقوب ويوحنا) في المسيا السياسي، وكانا يحلمان بمكان

العظمة والقيادة في ملكوته، فطلبت أن يجلس ابناها واحد على يمين المسيح وواحد على يساره في ملكوته. ومن يقرأ النص الكتابي (مت٢٠: ٢٠-٢٨) يجد أن المسيح تحدث إلى كل التلاميذ وليس إلى ابني زبدي فقط مما يشير إلى أنهم جميعًا كانت تتملكهم هذه الآمال المسيانية.

٣- بعد قيامة المسيح دار حديث بين اثنين من تلاميذه، فقالا له: «**نحن كنا نرجو أنه هو - المسيح أو المسيا - المزمع أن يفدي إسرائيل**» (لو٢٤: ١٣-٢٧).

٤- قبيل صعوده مباشرة وهو مجتمع مع تلاميذه سألوه: «**يارب، هل في هذا الوقت ترد المُلك إلى إسرائيل؟**» (أع١: ٦).

إذًا مفهوم التلاميذ الخاص عن يسوع كان يشبه إلى حد كبير مفهوم الكثيرين من اليهود معاصريهم. ولم يحدث تغيير في مفهومهم إلا بعد حلول الروح القدس عليهم في يوم الخمسين، إذ غيَّر ونظَّف عقولهم من المفاهيم العتيقة الخاصة بالمسيا الأرضي، وعلَّموا أنه الرب والمسيح (أع ٢: ٣٦، في ٢: ٥-١١، أع ٥: ٣٠-٣٢).

الوعي المسياني (مفهوم يسوع عن مسيانيته)

هل كان يسوع واعيًا بمسيانيته؟

ما هو مفهوم يسوع عن المسيا؟

متى شعر يسوع بدعوته المسيانية؟

لماذا أخفى يسوع مسيانيته؟

يسوع المسيح هو الإله الكامل والإنسان الكامل، ابن مريم وابن داود من جهة الجسد وابن الله أيضًا. هو الله الظاهر في الجسد (١تي٣: ١٦) كان جسده خيمة لاهوته (يو ١: ١، ١٤، كو ١: ١٩، ٢: ٩). هو عمانوئيل = الله معنا (مت ١: ٢٣). هو المسيا المنتظر، لكنه ليس المسيا الأرضي بل السماوي، لم يأت ليملك على إسرائيل، بل كل من يؤمن به من كل الأمم ومن بينها إسرائيل. وقد جاء لا ليبيد أعداء اليهود من الأمم بل أعداء الإنسان أي الخطية والموت، ويزرع الحب في القلوب[٦١]. فهو المسيا الحقيقي الممسوح من الله. وهو كان عارفًا ومتأكدًا أنه المسيا الروحي الذي جاء ليخلص الإنسان من الخطية والموت.

أدلة على وعي المسيح بمسيانيته

١- الأسماء التي أطلقها يسوع على نفسه، وأشهرها: ابن الإنسان (مت ٨: ٢٠، مر٨: ٣١، مت١٦ : ٢١). وهو ما سنشير إليه لاحقًا. والاسم الثاني هو «عبد الرب» وإن كان المسيح لم يذكر هذا الاسم علنًا، لكنه واضح من ذكر عمله، فالعمل الأول لعبد الرب هو أن يبذل نفسه فدية عن كثيرين (مر١٠: ٤٥) وهذا ما عمله يسوع.

٢- في أول عظة للمسيح في مجمع الناصرة، أكد وعيه بمسيانيته ودعوته الإلهية، إذ اقتبس من نبوة إشعياء ٦١: ١-٣ «**روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة». ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم، وجلس. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم: «إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم»** (لو ٤: ١٦-٢١). فيسوع يدرك أنه المسيا الممسوح من الله كطبيب للعُمي ومنكسري القلوب وسجناء الإثم والخطية.

٣- أعلن المسيح أنه هو الذي قيَّد الشيطان (مر٣: ٢٧، لو ١١: ٢١) وأنه هو المُهاجِم، هو الأقوى من إبليس الذي يدخل بيته ويسلب أمتعته، إذ يقيده أولاً ثم يسلب فرائسه «البشر» لينقذها منه.

٤- الصلة الخاصة الوثيقة التي أظهرها في حياته وعمله، بالروح القدس. لقد كان الروح يُعطَى في العهد القديم لأفراد معدودين يُقَامُون لعمل معين كالملوك والكهنة والأنبياء والقضاة. وكان العهد القديم يتطلع إلى العهد الذي فيه يُسكَب الروح على الجميع، على كل شعب الله (يوئيل ٢: ٢٨-٢٩) واعتقد اليهود أن هذه النبوة لابد أن تتم في عصر المسيا (مزامير سليمان ١٧: ٣٧، ١٨: ٧). وعندما جاء المسيح كان الروح القدس مرافقًا له، ويظهر ذلك في قصة المعمودية والتجربة (لو ٣: ٢١- ٢٢، ٤: ١). وفي اختبارات كثيرة في حياته (لو١٠: ٢١) وفي أعماله ضد الشيطان (مت ١٢: ٢٨)، وليس ذلك فقط بل وعد به تلاميذه في وقت الضيق والاضطهادات والمحاكمات (مت١٠: ٢٠). ولقد ارتبط مجيء الروح القدس بتمجيد يسوع أي صلبه وقيامته وصعوده (يو ٧: ٣٩). فالروح القدس كان مع يسوع وفيه وارتبط نزوله على تلاميذه بأحداث حياته، وهذه كانت انتظارات العهد القديم واليهودية في أيام المسيا.

٥- عمل آخر أعلن فيه المسيح أنه هو المسيا هو إقامة الهيكل الجديد، الذي كان اليهود ينتظرونه. لقد كان حزقيال النبي هو الشخص الذي أعلن وضع تصميمات الهيكل الجديد الذي سيكون في العصر السعيد، عصر المسيا (حز٤٠- ٤٩). وأوصاف هذا الهيكل تعطي الإحساس أنه ليس هيكلاً طبيعيًا بل هو هيكل معجزة، هيكل روحي. ويظهر هذا الأمر في قصة تطهير الهيكل (يو ٢: ١٣-٢٢) وكان يقصد هيكل جسده. ويعتقد الكثيرون من اللاهوتيين أنه يقصد كنيسته (أف ٢: ١٩-٢٢، أ ع ١٥: ١٦). هذا الهيكل وإن كان لم يتمم رغبة اليهود الجسدانية، ولكنه تمم رغبة الله ليبني هيكله الروحي ويسكن فيه[٦٢].

٦- سؤال المسيح الاستنكاري على تعليم الكتبة: أن المسيح هو ابن داود: «**قال وهو يعلِّم في الهيكل: كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود؟ لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. فداود نفسه يدعوه ربًا، فمن أين هو ابنه؟**» (مر١٢: ٣٥-٣٧) قارن (مز١١٠). اكتفى الكتبة بوصف المسيح وصفًا أرضيًا أنه ابن داود، مما فوَّت عليهم معرفة شخصية المسيح الحقيقية الكاملة كابن لله وكرب حقيقي. فالمسيح هنا يوضح أنه ليس فقط ابن داود، ذلك لأن داود نفسه يدعوه ربًا، أي أنه رب داود. وهذا تأكيد على نسبه البشري لداود، وتأكيد على ربوبيته بآن واحد (رو١: ٢-٤). فسؤال المسيح الاستنكاري قصد به تصحيح أو توسيع

مفهوم الكتبة عنه أنه ليس ابن داود فقط بل هو رب داود. إذ يقول: «**قال الرب لربي**» والمساواة واضحة في الجلوس على اليمين «**اجلس عن يميني**». فالمسيح هنا يؤكد أنه المسيا ابن داود بالجسد، وأنه رب داود في آن واحد. ويكرر العهد الجديد حقيقة أن المسيح رب، وأنه جلس عن يمين الله تأكيدًا لربوبيته (رو ٨: ٣٤، ١كو ١٥: ٢٥، كو ٣: ١، أف ١: ١٩-٢٠، عب ٨: ١، ١٠: ١٢، ١بط ٣: ٢٢، أع ٢: ٣٤، أع ٥: ٣١، ٧: ٥٥، رؤ ٣: ٢١، مت ٢٢: ٤٤، مت ٢٦: ٦٤، مر ١٢: ٣٦، ١٤: ٦٢، ١٦: ١٩، لو ٢٠: ٤٢، ٢٢: ٦٩). هذا الاعلان المتواصل بجلوس المسيح عن يمين الله، يبرهن بالروح أن يسوع هو المسيح الرب.

٧- أثناء محاكمة يسوع اليهودية أمام رئيس الكهنة، سأل رئيس الكهنة يسوع قائلاً: «**أما تجيب بشيء، ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أما هو فكان ساكتًا ولم يُجب بشيء. فسأله رئيس الكهنة أيضًا وقال له: «أ أنت المسيح ابن المبارك؟»** (مر١٤: ٦٠، ٦١). كان هذا سؤالاً شيطانيًا خبيثًا دبَّره رئيس الكهنة، بحيث لو قال المسيح: «نعم» تؤخذ عليه أنه المسيا بحسب انتظارات اليهود، الملك الذي جاء ليؤسس مملكة داود ويحرر اليهود من عبودية المستعمر الروماني، أي أنه ثائر على الرومان ويحاول القيام بثورة ضد قيصر، وهذا كافٍ للقبض عليه ومحاكمته أمام الرومان وبالتالي التخلُّص منه. أما إذا أجاب بالنفي أي أنه ليس المسيا، فيكون أمام الشعب كمدعٍ ومحتال ويكفي إذاعة ذلك من شيوخ اليهود لينفض عنه الشعب وهكذا يحاكم. لذلك كان هدف سؤال رئيس الكهنة هو التخلُّص منه سواء أجاب بنعم أم لا. والمسيح يريد التأكيد أنه المسيا لكن لا يوافق على المفهوم اليهودي للمسيا، وهذا ما يتضح من إجابته.

(أ) الإجابة بحسب البشير مرقس: قال يسوع لرئيس الكهنة: «**أنا هو** Εγω ειμι» (مر١٤: ٦٢). أي نعم أنا هو المسيح ابن المبارك.

(ب) الإجابة بحسب البشير متى: قال يسوع لرئيس الكهنة: «**أنت قلت** Εν ειπασ» (مت ٢٦: ٦٤). وهي مأخوذة من اللغة الآرامية التي تعني «أنت الذي قلت هذا وليس أنا». فالمسيح هنا لا ينفي ولا يوافق على سؤال رئيس الكهنة: «**أ أنت المسيح ابن المبارك**» فهو ليس المسيا بحسب الفكر اليهودي، أي ملك محارب يعيد تأسيس مملكة داود ويخضع الأمم لليهود، بل هو مسيح العهد الجديد الذي جاء ليموت عن الخطايا، ويقوم معطيًا الحياة الأبدية، ويرتفع إلى السماء ليجلس عن يمين الله، ويملك إلى الأبد على العالم كله. لذلك يواصل قوله: «**وأيضًا أقول لكم: «من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا في سحاب السماء**» (مت ٢٦: ٦٤). وكلمة «أيضًا» في الأصل اليوناني "πγην" ويُفضل ترجمتها «لكن». وهكذا تكون الإجابة : «أنت قلت هذا، **ولكن** من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا في سحاب السماء «وكأن المسيح يقول له: إنكم لم تفهموا رسالة المسيا الحقيقي لذلك ستقتلونه بأيديكم، ولكن بقتلكم لي ستُكملون رغمًا عنكم رسالتي التي ستكمل في السماء كملك سماوي حقيقي سوف يأتي على السحاب كما أخبركم دانيآل في رؤياه»[٦٣].

(ج) الإجابة بحسب البشير لوقا: فقال لهم: «**إن قلت لكم لا تصدِّقون وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني، منذ الآن**

يكون ابن الإنسان جالسًا عن يمين قوة الله». فقال الجميع: «أ فأنت ابن الله؟» فقال لهم: «أنتم تقولون إني أنا هو». فقالوا: «ما حاجتنا بعد إلى شهادة؟ لأننا نحن سمعنا من فمه» (لو ٢٢: ٦٧-٧١). في قول المسيح لهم: «إن قلت لكم لا تصدِّقون». يذكرهم بالمرات العديدة التي أعلن فيها إعلانات، أو عمل فيها أعمالاً لم يعملها أحد غيره، مؤكدًا أنه المسيا، لكنهم عقدوا النية على رفضه وعدم تصديقه. ثم يستطرد المسيح في إجابته ليؤكد لهم أنه المسيا الآتي من عند الله. وأنه من الآن أي من وقت الصليب فصاعدًا يُعلن المسيح أنه هو «ابن الإنسان» الذي ارتفع ودخل إلى مجده وجلس عن يمين الآب، محققا نبوة «دانيال» (دا ٧: ١٣-١٤). وبذلك يدحض المسيح صورة مسيا اليهود الذي يطلبونه ملكًا أرضيًا، وينفي كونه ثائر على الرومان أو كونه طامعًا في مُلك أرضي لأن ملكوته ملكوت سماوي ما لن يزول.

٨- سلّم رؤساء الكهنة المسيح «لبيلاطس البنطي» بادِّعاء أنه جعل نفسه ملكًا مقاومًا لقيصر، ويقول عن نفسه أنه ابن الله: **«فسأله بيلاطس: «أأنت ملك اليهود؟ فأجاب وقال له: «أنت تقول»** (مر١٥: ٢). وكان سؤال «بيلاطس» يعني: هل أنت عدو لقيصر؟ لكن لأن «بيلاطس» لم يجب بشيء على قول المسيح له: «أنت تقول» يُفهم من ذلك قطعًا أن «بيلاطس» فهم تمامًا قصد المسيح: أي أن المسيح لم يقل هذا، ولا هو هكذا بمفهوم الملوكية عند بيلاطس. ويقينًا لو أن «بيلاطس» فهم أن المسيح يوافق على هذا الاتهام أنه ملك اليهود لكانت إجراءات المحاكمة قد أخذت قمة العنف[٦٤]. لكن ما يؤكد أن «بيلاطس» فهم رد يسوع أن اليهود هم أصحاب اتهام كاذب، أنه خرج للشعب وقال لهم: **«إني لا أجد علة في هذا الإنسان»** (لو٢٣: ٤). وواصل المسيح حديثه موضحًا «لبيلاطس» أنه ملك لكنه ليس ملكًا أرضيًا فقال: **«مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أُسلَّم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا! «فقال له بيلاطس: «أفأنت إذًا ملك؟ أجاب يسوع: «أنت تقول: إني ملك. لهذا قد وُلدتُ أنا، ولهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل مَنْ هو مِن الحق يسمع صوتي»** فأكد «بيلاطس» لليهود: **«أنا لست أجد فيه علة واحدة»** (يو ١٨: ٣٣-٣٨). وتأكيد «بيلاطس» – وهو رئيس أعلى محكمة دولية آنذاك – المتكرر ببراءة يسوع يؤكد صدق رسالة المسيح كالمسيا وابن الله.

متى بدأ وعي يسوع بمسيانيته؟

كما أكدنا أن يسوع كان يعرف جيدًا أنه المسيا، وكان واعيًا ومدركًا لطبيعة رسالته. وهنا نؤكد أن هذا الوعي المسيي كان من بداية حياته، فقد كان يشعر ببنويته لله بطبيعته، فهو يختلف عن سائر البشر، إنه من الصغر أحس أنه ابن الله، وبنويته تختلف عن بنوية أي إنسان أو أي شعب. وإحساسه بذلك لم يأته يوما ما، بل ولد فيه لأنه جزء من طبيعته اللاهوتية، فهو لم تأته الدعوة كباقي الأنبياء في وقت محدد من حياته. فقد كان يسوع وهو صبي صغير، يشعر بدعوته السامية كمسيا وعرف أنه ينبغي أن يكون فيما لأبيه السماوي (لو ٢: ٤٩).

لماذا أخفى يسوع مسيانيته؟

إذا كان يسوع واعيًا بمسيانيته منذ بداية حياته، فلماذا أخفى هذه الحقيقة؟ فمن يدرس الأناجيل ولا سيما إنجيل

مرقس يجد أن المسيح أمر تلاميذه ألا يعلنوا أنه المسيا (مر ٨: ٣٠، ٩: ٩). كذلك أمر الناس الذين شفاهم من أمراض (مر١: ٤٤، ٥: ٤٣، ٧: ٣٦، ٨: ٢٦) وانتهر الشياطين أن تخرس ولم يدعهم يتكلمون ويعلنون أنه المسيح (مر ١: ٢٥، ٣٤، ٣: ١١-١٢). وقد اتسمت الكثير من أعماله العظمى بالسرية، إذ ذهب في رحلات سرية بعيدًا عن أعين الناس (مر ٧: ٢٤، ٩: ٣٠) وتعاليمه لتلاميذه كانت أسرارًا عن ملكوت السموات لا يعرفها غيرهم (مر ٤: ١٠-١٢). وفي الحقيقة هناك سببان لإخفاء يسوع لمسيانيته:

١- التمييز

كان هناك فرق شاسع بين ما كان يعتقده اليهود عن المسيا وبين ما فهمه يسوع عن عمل المسيا ورسالته. وكان هناك مسايا كذبة كثيرون سبقوا المسيح (أشرنا إليهم سابقًا) إدّعى كل منهم أنه المسيا المنتظر ووعدوا الشعب بتحريره من الاستعمار. لذلك قصد المسيح تأجيل إعلان مسيانيته حتى يميز بينه (المسيا الحقيقي) وبين المسايا الكذبة الذين جاءوا بمفهوم أرضي ومطامع سياسية، أما المسيح فهو المسيا الذي جاء ليتألم ويموت ليفدي الإنسان. وهذا ما ظهر في التحول في اتجاه تعليم المسيح عن نفسه وتأكيده على حتمية صلبه، بعد الإعلان العظيم الذي أوحى به الآب لبطرس، والذي سبق أن أشرنا إليه.

٢- تجنبًا لثورة الجماهير

كانت الجماهير تطلب مسيحًا سياسيًا ينصرهم على كل الأمم ليصبحوا أمة الملوك في الأرض، ويطلبون مسيا اقتصاديًا يستطيع أن يملأ بلادهم إلى حد الإتخام بما يرجون ويطلبون، إنه المسيا الذي يحقق رغباتهم الجسدية. فلو أعلن يسوع عن طريق تعليمه وعمله ومعجزاته أنه هو المسيا، لحاولت الجموع الضغط عليه لتغيير وجهته ولضاعت جهوده في إسكات الجماهير لا تعليمهم عن حقيقة عمل المسيا. إن عمل المسيح كان عملاً إيجابيًا، إذ يعمل أعمال المسيا التي يطلبها منه الآب: أعمال الفداء الجسدي والروحي، محاربة الشيطان والانتصار عليه، شفاء مرض الخطية، وبشارة ملكوت الله. لذلك أخفى يسوع أنه المسيا، ليقوم بعمله الطبيعي حتى يُتَمِّم رسالته التي وضعها الآب عليه، ثم متى تَمَّم عمله، عندما يموت ويقوم في مجد، عندئذ يستطيع تلاميذه أن يعلنوه أنه المخلص المسيا. ولهذا السبب طلب من تلاميذه ألا يعلنوه إلا بعد أن يقوم من الأموات. وعندئذ تستطيع الجموع أن تفهم وتقبل معنى آخر لم تفهمه وتعرفه من قبل عن المسيا المخلص. وهذا لن يحدث إلا بعد حلول الروح القدس على التلاميذ فيعلمهم أمورًا وجد يسوع أنه من الصعب على الجماهير وحتى على التلاميذ أيضًا أن يقبلوها (يو ١٦: ١٢-١٣).

ما هو مفهوم يسوع عن مسيانيته؟

كان مفهومه يختلف عما اعتقده معاصروه، وإن كان اليهود قد صلبوه كمسيا مدّعي ليس المسيا الذي انتظروه من مدة طويلة، إذ في نظرهم يضر بالأمة ويحطم كثيرًا من تراثها، ولهذا صلبوه. لكن يسوع رغم اختلافه معهم في مفهوم المسيا استخدم في غالبية حياته اسمًا كانوا يعرفونه هم ويستخدمونه كلقب للمسيا، وهو لقب «ابن الإنسان»

(مت ٨ : ٢٠، لو ٩: ٥٨، مت ٩: ٦، مر٢: ٢٨، لو ٦: ٥، مت ١٦: ٢٧، مت١٧: ١٢، مر ٨: ٣١، لو ٩: ٢٢، مت ١٧: ٢٢، لو ٩: ٤٤، مت ١٨: ١١، لو ١٩: ١٠، ٢٠: ٢٨، مت ٢٥: ١٣، ٢٦: ٢٤، مر١٤: ٢١، لو٢٢: ٢٢، مت ٢٦: ٦٤، مر١٠: ٤٥، لو ٩: ٥٦، لو ١٢: ٨، ١٠، لو١٧: ٢٤، يو٣: ١٣، ٥: ٢٧). ولكنه كان يفهم لقب «ابن الإنسان» في صورة أكمل تختلف عن صورة معاصريه الناقصة. ولهذه الصورة شقان:

١- السلطة

ظهرت هذه السلطة في تعاليمه وأعماله. وقد أحس الناس بهذا السلطان في تعاليمه (مر١: ٢٢)، إذ لم يكن كالكتبة الذين لا يستطيع أحدهم أن يتكلم إلا بما قاله الأقدمون، ولا يعلقون إلا في جملة بسيطة ضعيفة. أما المسيح كان يتكلم بسلطان فائق: الحق أقول لكم، إنه سلطان لم يعط حتى للأنبياء الأقدمين، هو سلطان المُشرِّع.

٢- الألم

مفهوم المسيا لم يتوقف عند يسوع عند حد السلطة، ولو كان فعل ذلك لما وُجِدَ هناك فرق بين مفهومه ومفهوم اليهود، فالمسيا عندهم صاحب سلطان، لكن يسوع قرن لقب «ابن الإنسان» بلقب «عبد الرب المتألم» أي قَرَنَ السلطة بالألم. فكما أنه أظهر سلطانه كذلك أعلن أنه سيجوز في الألم ويموت موتًا كفَّاريًا (مت ١٦ : ٢٣، مر ٨: ٣١، لو ٩: ٢٢، مر١٠: ٤٥) وبهذا العمل يتمم يسوع رسالة عبد الرب (إش٥٢: ١٣، ٥٣: ١٢).

الإسخاتولوجي في أسفار العهد الجديد

الإسخاتولوجي في البشائر المتفقة وسفر الأعمال

تروي البشائر المتفقة حياة وخدمة يسوع. وكل بشارة منها تُظهِرُ تأكيدًا مختلفًا على الإسخاتولوجي من خلال تقديم كلمات وأعمال يسوع.

١- بشارة مرقس

يظهر مصطلح «ملكوت الله» ١٤ مرة في بشارة مرقس (مر١: ١٥، ٤: ١١، ٢٦، ٣٠، ٩: ١، ٤٧، ١٠: ١٤، ١٥، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ١٢: ٣٤، ١٤: ٢٥، ١٥: ٤٣). بينما يذكر «ملكوت داود» مرة واحدة (١١: ١٠).

ويترجم دود C. H Dod (مر١: ١٥) «**قد أتى ملكوت الله**». بدلاً من الترجمة العربية «**اقترب ملكوت الله**»[٦٥]. إلا أن تفسيرًا لاحقًا يرى أنه بالرغم من صعوبة وغموض الفعل اليوناني (Eggizein) فإن فيه إشارة مستقبلية. وأن هذه العبارة (مر١: ١٥) يجب أن تترجم «ملكوت الله سيأتي قريبًا» أو «وشيك». فهو ليس حاضرًا بل وشيك وقريب. وبحسب (مر٩: ١). «**الحق أقول لكم: «إن من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة**». التلاميذ لا يموتون حتى يروا ملكوت الله. وبالمثل تأكيد مرقس على دخول ملكوت الله (مر١٠: ٢٣-٢٥) وتوقع يوسف الرامي للملكوت

الله (مر١٥: ٤٣) أيضًا يشير إلى أنه كينونة مستقبلية. مع التوقعات في مثل الزارع ومثل حبة الخردل على النمو السري للملكوت (مر٤: ٣-٦، ٢٦-٢٩، ٤: ٣٠-٣٢).

ويحتوي (مر ١٣) على سيناريو إسخاتولوچي يتضمن توجهًا رؤويًا للكاتب، يأتي بعد تنبؤ يسوع عن خراب الهيكل (مر١٣: ٢). ولقد تنبأ يسوع بسلسلة من الأحداث الإسخاتولوچية بما فيها ظهور المسايا الكذبة والحروب والزلازل والمجاعات والاضطهاد العظيم والارتداد العظيم (مر١٣: ٥-١٣). وأشار إلى «رجسة الخراب» إشارة إلى تدنيس الهيكل وهي مبنية على (دا ٩: ٢٧، ١١: ٣١، ١٢: ١١). وينصح السكان أن يفروا ويهربوا لأن البلية العصيبة سوف تحدث، وسيظهر مسايا كذبة وأنبياء كذبة (١٤- ٢٣). ثم يأتي ابن الإنسان على السحاب ويجمع مختاريه من كل أجزاء العالم (٢٦-٢٧).

٢- بشارة متى

كان المجتمع المسيحي الذي نشأ فيه متى مكونًا من جماعة يهودية مسيحية في صراع مع اليهودية، بعد ثورة اليهود الأولى سنة ٦٦- ٧٣ م (مت ٢٣: ١-٣٦). ونحن نجد إشارات كثيرة لسقوط أورشليم سنة ٧٠م في حفل العرس (مت ٢٢: ١-١٤) وفي (مت ٢٤). والكنيسة بالنسبة لمتّى هي إسرائيل الحقيقي، والوعود التي قدمها الله في العهد القديم تحققت روحيًا في حياة وخدمة يسوع.

ويظهر تعبير «ملكوت السموات» ٣٢ مرة في بشارة متى، بينما يرد تعبير «ملكوت الله» ٤ مرات فقط، وكلمة «ملكوت» ١٤ مرة. وبالرغم من وجود فقرات عديدة تقترح قرب النهاية (مت ١٠: ٢٣، ١٦: ٢٨، ٢٤: ٣٤) إلا أن توقع متى للنهاية أنها ليست وشيكة كما توقع مرقس، بل بالأحرى متّى فهم ملكوت السموات أنه حضر في يسوع. والإعلان أن ملكوت السموات قد اقترب، نطق به المعمدان (مت ٣: ٢) ويسوع (مت ٤: ١٧) وتلاميذه (مت ١٠: ٧). وعبارة «بشارة الملكوت» عبارة مميزة للبشير متى (مت ٤: ٢٣، ٩: ٣٥، ٢٤: ١٤، ٢٦: ١٣) وتستخدم عن الرسالة التي أعلنها يسوع والتلاميذ لإسرائيل. وفي الواقع هذه العبارة تشير سواء إلى إعلان يسوع التاريخي أو إلى إعلان الكنيسة بعد القيامة. والحديث المطول في (مت ٢٤) مبني على (مر ١٣) يعتبر إجابة يسوع على سؤال التلاميذ «**قل لنا متى يكون هذا؟ – خراب الهيكل – وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟**» (آية ٣). ويؤكد متى فكرة الدينونة الإسخاتولوچية بإضافة أمثال عديدة كمثل العذارى العشرة الحكيمات والجاهلات (مت ٢٥: ١-١٣) والوزنات (مت ٢٥: ١٤-٣٠) = (لو ١٩: ١٢-٢٧) والدينونة الأخيرة (مت ٢٥: ٣١-٤٦). وقد أضاف متى أمثال أُخرى عن الملكوت كمثل الزوان (مت ١٣: ٢٤-٣٠) وتفسيره (مت ٣٦-٤٦) (مت ١٣: ٤٤- ٥٢).

ويستخدم الكاتب مرارًا وتكرارًا لقب «ابن الإنسان» في معناه الرؤوي ليسوع (١٠: ٢٣، ١٣: ٣٧-٤١، ١٦: ٢٨، ١٩: ٢٨). ومتى هو الكاتب الثاني الذي يستخدم التعبير اليوناني(παρουσια Parousia ظهور) بمعنى فني لمجيء المسيح الثاني (٢٤: ٣، ٢٧، ٣٧، ٣٩). وهو يربط بقوة مجيء ابن الإنسان مع الملكوت، قارن (مت ١٦: ٢٨،

مر ٩: ١، لو ٩: ٢٧). وتصور (البكاء وصرير الأسنان) كعلامات لتوضيح أهوال الدينونة الإسخاتولوچية تظهر ٥ مرات في بشارة متى (٨: ١٢، ١٣: ٤٢، ٢٢: ١٣، ٢٤: ٥١، ٢٥: ٣٠) على الرغم من أنها تظهر في العهد الجديد فقط في (لو ١٣: ٢٨).

٣- إنجيل لوقا وسفر الأعمال

افترض ولسون Wilson أن لوقا أكد بشكل متناقض على قرب النهاية وتأخر النهاية[٦٦]. وأن هذا التباين ينبع من حقيقة أن اهتمامه المركزي هو اهتمام رعوي. هناك بعض الحالات فيها حذف لوقا أو خفف التوقع الوشيك للنهاية الموجود في مرقس (مر ١: ١٥ قارن لو ٤: ١٥، مر ٩: ١ قارن لو ٩: ٢٧). وهناك قول منسوب ليسوع لما سأله الفريسيون: «متى يأتي ملكوت الله؟» أجابهم وقال: «لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون: هوذا ههنا، أو: هوذا هناك! لأن ها ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢٠-٢١). وقد قدَّم المسيح مثل الأمناء (لو ١٩: ١١-٢٧) لأن الناس توقعوا أن ملكوت الله سيظهر حالاً (لو١٩: ١١). ويتضمن إنجيل لوقا أيضًا أقوالاً عديدة تؤكد قرب الإسخاتولوچي مثل تهديدات ووعيد يوحنا المعمدان لسامعيه بقرب الدينونة الإسخاتولوچية (لو ٣: ٧-٩، ١٦-١٧). والمسيح يعلن الحضور الوشيك لملكوت الله (لو ١٠: ٩، ١١، ٢١: ٣١) تمامًا كمجيء ابن الإنسان (١٧: ٢٢-٣٧). ويتحدث لوقا عن نهاية الشخص أو دينونتة ودخول الأشخاص إلى السماء أو الجحيم في مثل الغني ولعازر (لو ١٦: ١٩-٣١)، هو ما نسميه (الإسخاتولوچي الفردي). وتستعمل اللغة الإسخاتولوچية في رؤية استفانوس لابن الإنسان قائمًا على يمين الله (أع ٧: ٥٥-٥٦) ليستقبل نفس الشهيد. ومن يقارن كلمات يسوع للص التائب المحتضر: «**الحق أقول لك: «إنك اليوم تكون معي في الفردوس**» (لو٢٣: ٤٣). وكلمات يسوع الأخيرة «يا أبتاه، في يديك أستودع روحي» (عدد ٤٦). مع صلاة استفانوس أثناء رجمه: «**أيها الرب يسوع اقبل روحي**» (أع ٧: ٥٩). كل هذه الأقوال تشير إلى أن الله يقبل روح الشخص البار عند الموت. وبالرغم من أن الإسخاتولوچي الفردي متضمن في هذه الفقرات الأخيرة، لكن ليس لها مواز في بقية العهد الجديد إلا قول الرسول بولس: «**لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جدًا**» (في ١: ٢٣).

مجموعة أُخرى من الأقوال في لوقا تُظهر توقع الملكوت المسيي مع تجسد يسوع كالمسيا الداودي كجزء من خطة الله (لو ١: ٣٢-٣٣، ٦٨-٧١، أع ٢: ٣٠-٣٦، ٣: ٢٠-٢١، ١٣: ٢٢-٢٣، ٣٢-٣٤). وإشارات يسوع أنه ينبغي أن يتألم ويُرفض لم يفهمها تلاميذه (لو ٩ : ٢٢، ٤٤-٤٥، ١٧: ٢٥، ١٨: ٣١-٣٤، ٢٢: ٢٢) وهذا الفهم الخاطئ أشعل التوقعات الإسخاتولوچية الكاذبة، فقد توقع التلاميذ على نحو خاطئ قرب حضور ملكوت الله عندما دخل يسوع دخوله الانتصاري لأورشليم كالملك المسيي (لو١٩: ١١، ٢٤: ٢١). وتوقعهم الخائب لبدء وتدشين الملكوت الداودي الإسخاتولوچي أضرم من جديد بعد قيامة المسيح (أع ١: ٦). وقد ربط سفر الأعمال حضور الملكوت بشرط التوبة (أع ٣: ١٩-٢١).

٤- الإسخاتولوچي في كتابات يوحنا

بدأ الإسخاتولوچي في فكر يوحنا بحضور يسوع، ليعطي حياة أبدية (يو٢٠: ٣٠-٣١). وكما في البشائر المتفقة،

نجد أن اللقب «المسيا» له دلالة مركزية في فكر يوحنا عن المسيح (يو٢٠: ٣٠-٣١) لأن مجيء المسيا هو تحقيق للإسخاتولوچي (يو ١: ٢٠، ٢٥، ٤١، ٣: ٢٨، ٤: ٢٥، ٢٩، ٧: ٢٦، ٣١، ٤١، ٩: ٢٢، ١٠: ٢٤). وهذه الآيات تُبرز لنا المفهوم المسيحي عن الدور المسياني ليسوع أكثر منه عن التوقع اليهودي المسياني في القرن الأول الميلادي. وقد أُستعملت كلمة «المسيح» مرتين كاسم ليسوع (١: ١٧، ١٧: ٣) كما أُستعمل بطريقة اعترافية (عقائدية) (يو ٩: ٢٢، ١١: ٢٧، ٢٠: ٣١). فمن ناحية يؤكد يوحنا على تحقيق ومجيء الإسخاتولوچي بتجسد المسيح، ومن الناحية الأخرى هناك أشكال كثيرة للإسخاتولوچي المستقبلي، كقوله المتكرر: «**وأنا أقيمه في اليوم الأخير**» (يو ٦: ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٤). ونجد صورتين لظهور يسوع في (يو ١٤: ٢٣). ويشار للقيامة المستقبلية في (يو ٥: ٢٨-٢٩). ويذكر المجيء الثاني (يو ١٤: ٣، ٢١: ٢١-٢٣) ويذكر عنصر المستقبلية أيضًا في (يو ٤: ١٤، ٣٦، ٥: ٢٩، ٣٩، ٦: ٢٧، ١٢: ٢٥، ١يو ٢: ٢٥).

بينما يحتوي النص اليوناني لبشارة يوحنا عبارات إسخاتولوچية تشير إلى كل من الحاضر والمستقبل، فإن ظاهرة الإسخاتولوچي المحقق سائدة بوضوح. فالإسخاتولوچي تحقق واكتمل في الاختبار الماضي للبركات التي تنتمي للإسخاتولوچي المستقبلي. فإن فوائد الخلاص الإسخاتولوچي المستقبلي تُختبر كحقائق حاضرة بأربع طرق أساسية:

أ- لأن روح الله يُفهم كهبة وعطية إسخاتولوچية، فإن حضور الروح (البارقليط) يعني بدء الإسخاتولوچي في الحاضر.

ب- لأن الحياة الأبدية تُفهم كبركة مستقبلية للخلاص الإسخاتولوچي سواء في اليهودية المبكرة أو المسيحية ما قبل كتابات يوحنا (مر١٠: ١٧،٣٠، مت ١٩: ١٦، ٢٩، لو ١٨: ٨، ١٨، ٣٠، مت ٢٥: ٤٦، لو ١٠: ٢٥، مر ٩: ٤٣، ٤٥) إلا أن تأكيد يوحنا على الامتلاك الحاضر للحياة الأبدية يمثل تحولاً جذريًا للإسخاتولوچي المسيحي التقليدي، فالعبارة المفتاحية في يوحنا هي «له حياة أبدية» (٣: ١٥، ٣٦، ٥: ٢٤، ٤٠، ٦: ٤٠، ٤٧، ٥٣، ٦٨، ١٠: ١٠، ١يو ٣: ١٣، ١٥، ٥: ١٢، ١٣، ١٦).

جـ- لأن الدينونة تُعتبر حدثًا إسخاتولوچيًا مستقبليًا، إلا أن يوحنا يشير إلى أن الدينونة جزء من الاختبار الحاضر (يو٣: ١٩، ٣٦).

د- لأن مجيء أو ظهور يسوع كابن الإنسان ليخلص ويدين واحد من السمات الأساسية للإكمال الإسخاتولوچي، فإن الإشارات إلى مجيء يسوع الحاضر تؤكد الإسخاتولوچي المحقق.

من هنا ندرك الحضور الإسخاتولوچي الحاضر والمستقبلي، أي أن الإسخاتولوچي بدأ بمجيء المسيح الأول ويكتمل في مجيئه الثاني.

٥- سفر الرؤيا

سفر الرؤيا سفر نبوي لكنه مكتوب بأسلوب الكتابة الرؤوية الزاخمة بالصور والرموز، ليعلن بقوة حقيقة وجود الله في ذلك العصر بل وفي كل التاريخ، مركزًا على الحمل المذبوح في حادثة تاريخية ماضية، لكنها صارت مركزًا للرؤيا

والإعلان. وكسائر الأنبياء يدعو يوحنا شعب الله إلى التوبة الصادقة والعودة إلى كلمة الله ويشدد على الحياة الصالحة (رؤ ٢: ٥، ١٦، ٢١، ٢٢، ٣:٣، ١٩). ويدعو المؤمنين أن يرفعوا أنظارهم من الأرض والظروف إلى السماء، إلى يسوع صاحب السلطان في الكنيسة والتاريخ. فجوهر رسالة السفر نبوي، وإن كان شكله وأسلوب كتابته رؤوي.

يتحدث السفر عن الحوادث الأخيرة، وعن الاضطهادات والأزمات الشديدة التي تحدث لشعب الله على يد النبي الكذاب والوحش والتنين وكل قوات الشر. ثم يتدخل الله بقوة النصرة وتمجيد مختاريه ودينونة قوات الشر.

ويتجه السفر إلى غاية عملية، ويمتلئ بالنصائح الروحية والأخلاقية ككل الكتابات الرؤوية، فيشدد عزائم المضطهدين ويعزي قلوبهم، ويثبتهم في الإيمان بالمسيح حتى الموت في سبيل كلمة الله (رؤ ١٣: ٩-١٠، ١٣:١٤، ١٦:١٥، ١٩: ٩، ٢٠: ٦).

يختلف السفر عن الرؤويين في فترة ما بين العهدين في نظرتهم التشاؤمية للتاريخ وحتمية تدمير الله وإنهائه لهذا التاريخ ليبدأ مستقبلاً جديدًا تمامًا. فيوحنا كسائر الأنبياء يرى أن التاريخ مكان نشاط الله وعمله الفدائي من موت الحمل وقيامته ونصرته. وهذا العمل العظيم شارك فيه المؤمنون، وهزموا الشيطان بدم الخروف وبكلمة شهادتهم (١١:١٩). فالخلاص يبدأ في التاريخ إذًا فلا يأس ولا تشاؤم من فداء الله لتاريخ العالم كما في الكتابات الرؤوية، بل يتحدث الرسول إلى عصره كما فعل الأنبياء، ثم ينظر إلى المستقبل إلى إتمام هدف الله.

٥- الإسخاتولوجي في كتابات بولس الرسول

ساد الكنيسة الأولى توقع متأجج لمجيء الرب، ربما لأن المؤمنين فهموا تعاليم بولس وغيره بقرب مجيء المسيح الثاني أنه سيأتي في جيلهم. وفي رسائل بولس نجد مجموعة من الأقوال التي تعلن قرب مجيء الرب ثانية، وتجعل من هذه الحقيقة عنصرًا هامًا في الاختبار المسيحي (١تس ١: ٩-١٠)، (تي ٢: ١٢-١٣، ١كو ١: ٧) (رو ١٣: ١١-١٣) فانتظار الرب من السماء موهبة يعطيها الروح لأعضاء جسد المسيح، وهو عنصر مهم في الحياة المسيحية والسلوك المسيحي، وهو يعطي قوة للكنيسة على تحمل الآلام (رو ٨: ١٨-٢٥). فرسائل بولس تؤكد أن الكنيسة كانت تعيش حياة الانتظار لمجيء مخلصها وكان شعارها الدائم (ماران آثا = الرب آت) (١كو ١٦: ١٦، ٢٢).

إلا أن البعض أساء فهم تعليم بولس وظنوا أن الرب سيرجع مرة أُخرى في مجده وهم أحياء وسوف يرونه، ويأخذهم معه على السحاب. لكن الرب تأخر، ورقد (مات) بعض أعضاء الكنيسة قبل أن يروا الرب آتيًا، مما صدم بعض المؤمنين الذين ظنوا أن ذويهم الذين رقدوا، قد خسروا وليس لهم رجاء. لذلك أكد لهم الرسول أن امتياز رؤية الرب ليس للأحياء فقط عند ظهوره، لكن سيراه الراقدون أيضًا بعد أن يقيمهم ويغير أجسادهم، عندئذ سيُخطف الجميع معًا (١تس ٤: ١٣-١٨). وأكد الرسول فجائية المجيء الثاني، فإنه سيأتي كلص مما يستحيل معه معرفة موعده، وهذا ما يحتم علينا السهر والصحو الدائم (١تس ٥: ٦). وعندما علّم البعض أن يوم الرب قد حضر وهو آت في الحال (٢تس ٢: ٢) كتب إليهم رسالته الثانية موضحًا أن هناك حوادث لابد أن تسبق المجيء (٢تس ٢: ١-١٢). من هنا نرى أن الكنيسة كانت تعيش في حالة من الترقب والانتظار لمجيء المسيح.

وفي مواجهة هذه الظاهرة علّم بولس بكلمة الرب أن مستقبل الذين رقدوا والذين يبقون أحياء إلى مجيء الرب واحد وهو معروف تمامًا (١تس ٤: ١٣-١٨). كما ربط بولس بين الإسخاتولوچي والأخلاق، إذ وهو يتحدث عن قرب مجيء المسيح الثاني يضع مجموعة من الوصايا والأخلاقيات التي يتوجب مراعاتها، فالوقت منذ الآن مقصر لذلك ليرجع البعيدون إلى المسيح، ويجب أن يسلك القديسون كما يليق بقديسي الرب، ولا ينشغلوا بحساب الأزمنة ومحاولة تحديد وقت لمجيء المسيح.

الدهران

يبدو تأثر بولس بالفكر اليهودي الرؤوي الذي يعلم بالثنائية الزمنية، والثنائية المكانية. إذ يشير مرارًا إلى الدهر الحاضر والدهر الآتي (غل ١: ٤، رو ٨: ١٨، ١كو ٧: ٢٦، أف ٥ :١٦) ويكرر استعمال تعبير «هذا الدهر» (رو١٢: ٢، ١كو١: ٢٠، ٢: ٦، ٨، ٣: ١٨، ٢كو ٤ : ٤، أف ٢: ٢). ويتحدث عن القوى الشريرة التي تسوده وتهيمن عليه (١كو٢: ٦، ٢كو ٤: ٤). هذه الثنائية الزمنية (الدهر الآتي باعتباره مستقبل) تترافق مع الثنائية المكانية (الدهر الآتي كحقيقة سماوية) وهذه صورة رؤوية، أن الدهر الآتي حقيقة سماوية مستقبلية غير مرئية. وبولس أيضًا يقول: «**الأشياء التي تُرى وقتية، أما التي لا تُرى أبدية**» (٢كو ٤: ١٨). قارن (في ٣: ٢٠، ٢كو ٥: ١-٥). ويرى أن الدهر الآتي أُفتتح أو بدأ بقيامة المسيح، فهو لا يرى قيامة المسيح كحدث معزول منفرد، بل بالأحرى كالمرحلة الأولى في القيامة المستقبلية (١كو١٥: ٢٠-٢٣). والتمييز الحاد بين السمة الحاضرة والمستقبلية في الفكر اليهودي قد خففت حدتها في فكر بولس لأن المسيحيين يمكن أن يختبروا الدهر الآتي في الوقت الحاضر (١كو ٢: ٦، ٧: ٢٩-٣١، ١٠: ١١). فالمؤمنون يعيشون الآن في الدهر الآتي، وإن كان الدهر الحاضر لم ينته بعد، إلا أنهم يختبرون ويعيشون الدهر الآتي هنا والآن. فالدهر الحاضر بدأ ببدء الخليقة والتاريخ، وهو الدهر الشرير. بينما الدهر الآتي بدأ بتجسد المسيح وقيامته، والمؤمنون الآن يعيشون في تداخل الأزمنة (أي تداخل الدهر الحاضر الذي يستمر إلى المجيء الثاني، والدهر الآتي الذي بدأ بتجسد المسيح ويستمر إلى الأبد). فعلى الرغم أنهم في العالم (الدهر الحاضر) إلا أنهم يعيشون في الدهر الآتي. وقد صار التحرر من الدهر الحاضر الشرير ممكنًا بصليب المسيح (غل ١: ٤). لذلك فالاختبار المسيحي يمكن أن يسمى (الخليقة الجديدة) (٢كو ٥: ١٧، غل ٦: ١٥) لأن المسيحي ينال الخلاص بكونه في المسيح، عندما يموت عن الخطية ويشترك في وعد القيامة (رو ٦: ١-١١، غل ٢: ٢٠). وعندما يتحدث بولس عن المشاركة في قيامة المسيح كاختبار الماضي (كو ٣: ١-٣، أف ٢: ١-١٠) يتحدث أيضًا عنه كحدث سيقع في المستقبل (رو ٦: ٤-٥). فإن كان المسيحي يجب أن يتغير باستمرار (٢كو ٣: ١٨، ٤: ١٦) إلا أن التحول النهائي سيحدث في ظهور يسوع ثانية (١تس ٤، ١كو ١٥: ٥١-٥٦، في ٣: ٢٠). ويعلق «د. القس فهيم عزيز» بالقول: «إن الرسول يربط ما حدث بما هو آت: النهار الذي اشرق بالنهار الذي يقترب، يربط الماضي التام بالمستقبل لأنهما في تدبير الله مرتبطان معًا، متداخلان معًا، مَنْ صار في دائرة نور الفداء في الحاضر، يحس بذلك النور الآتي في المستقبل. من اختبر الخلاص وأخذ العربون، عربون الروح، يعرف وينتظر ويشعر بذلك المجد المقبل، ولا يمكن أن يوجد اختبار الحاضر بدون توقع المستقبل، ولا توقع المستقبل بدون اختبار الحاضر» [٦٧].

الحالة الوسيطة

سندرس بالتفصيل أحداث النهاية (الإسخاتولوچي) في فصل لاحق، وسنستعرض النظريات المختلفة بهذا الخصوص. ونكتفي هنا بالإشارة إلى فكر الرسول بولس عن «الحالة الوسيطة» أي الحالة التي يكون عليها الذين يرقدون في الرب الآن، أين هم؟ وكيف يكونون؟

تحدث الرسول عن هذا الموضوع في موضعين من رسائله: «**لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي. فإننا في هذه أيضًا نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء. وإن كنا لابسين لا نوجد عراة. فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين، إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها، لكي يبتلع المائت من الحياة. ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا عربون الروح. فإذًا نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد، فنحن متغربون عن الرب. لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب. لذلك نحترص أيضًا - مستوطنين كنا أو متغربين - أن نكون مرضيين عنده. لأنه لابد أننا جميعًا نُظهر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيرًا كان أم شرا**» (٢كو ٥: ١-١٠)، «**لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جدًا**» (في ١: ٢٣).

في الموضع الأول يقودنا الرسول لفهم هذه الحالة الوسيطة، إذ لا يمكن فهمها إلا في ضوء قيامة الأجساد وتمجيدها، ففي الآية الأولى: «**لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد، أبدي**». يتكلم عما سيحدث عند القيامة وقت مجيء المسيح. والخيمة التي يشير إليها هي جسدنا الأرضي الذي نلبسه الآن، ولابد لهذه الخيمة أن تنقض وتستبدل بالبيت الأبدي، أي الجسد المجد الذي يعطيه الله لنا عند القيامة، وليس عند الموت[٦٨]. ويعتبر خلع الجسد نوعًا من العري «**فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين، إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها، لكي يبتلع المائت من الحياة**». وهو اختبار تخشاه الطبيعة البشرية لكن يجتاز فيه كل المؤمنين الذين يرقدون، ويسمي هذا الخلع أو العُري (تغرب عن الجسد). ولكي يخفف الرسول من هذا الأنين ويحوله إلى انتصار يقول إن المؤمنين سوف يستوطنون عند الرب. فعند الموت إذن يخلع المؤمن هذه الخيمة ويستوطن عند الرب، ويكون معه. وهذا ما يؤكده في (في ١: ٢٣). وهذا ما أعلنه المسيح نفسه للص التائب على الصليب: «**الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس**» (لو ٢٣: ٤٣). فرأي الرسول إذن هو أن المؤمنين سوف يكونون مع المسيح متغربين عن أجسادهم، وفي المجيء الثاني «**في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيبوَّق، فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت...... فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: ابتلع الموت إلى غلبة**» (١كو ١٥: ٥٢-٥٥).

الفصل الثاني: الكنيسة وإسرائيل.. هل من علاقة؟

منذ ألفي عام، بشكل عام وبصفة خاصة في القرن العشرين والواحد والعشرين برزت أسئلة حول علاقة الكنيسة بإسرائيل. هل تحوّل لقب «الشعب المختار» من إسرائيل إلى الكنيسة، وبذلك يكون إسرائيل بالجسد فقد هذا اللقب؟ أي هل رفض الله شعبه؟ والسؤال الأقدم: لماذا اختار الله إسرائيل من بين كل الشعوب؟ ولماذا تعامل معهم بشكل متميز؟ هل الله قومي عنصري يتحيز لشعب دون الآخر أو جنس دون الآخر؟ وهل كان اختيار الله لهم مشروطًا، ووعوده مشروطة أم بدون شروط؟ وما مكان الأمة اليهودية في خريطة مقاصد الله المباركة المعلنة في الإنجيل؟

كل هذه الأسئلة وغيرها نحاول أن نجيب عليها في هذا الفصل.

من هو إسرائيل؟

«إسرائيل» اسم عبري لُقِّبَ به لأول مرة يعقوب (تك ٣٢: ٢٢-٢٨). واسم «إسرائيل» يعني يجاهد مع الله أو يصارع الله أو زرع إيل. ولكون يعقوب كان أبًا لكل أسباط الأمة اليهودية فقد تسمت هذه الجماعة فيما بعد بإسرائيل. وفي الشعر العبري كثيرًا ما نجد اسم «يعقوب» في صدر البيت ويقابلها «إسرائيل» في عجزه، أو العكس مثل: «**يهتف يعقوب، ويفرح إسرائيل**» (مز ١٤: ٧). وقد أُطلق «إسرائيل» على نسل يعقوب حتى وهو حي (تك ٣٤: ٧). وأُطلق على بني إسرائيل أثناء تيهانهم في البرية (خر ٣٢: ٤، تث ٤: ١). وأصبح هذا الاسم يطلق على الاثنى عشر سبطًا كأمة. وهو تعبير يوحي بعلاقة حميمة مع الله، فلقد اختارهم الله شعبًا له واقترن بهم (خر ٤: ٢٢، إش ٤٥: ٤). وكثرًا ما ترد في العهد القديم عبارة «وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا» والله هو إله إسرائيل (إر ٧: ٣، إش ١٧: ٦، خر ٨: ٤، إش ٤٥: ٣). وفي كل العهد القديم نرى الله يتعامل مع إسرائيل بأسلوب فريد متميز، إذ يخرجهم من العبودية في مصر بقوته، ويطرد من أمامهم شعوبًا قوية ويملكهم أرض الموعد (يش ٢٤: ٣-١٣) ووعدهم بالحفظ والعناية والبركة (إش ٤١: ٨-١٠). وكل هذه الامتيازات تعود لنسبة هذا الشعب لإبراهيم، إذ يعتبر عهد الله معه (تك ١٢: ١-٣) هو بداية تأسيس هذه الأمة. لذلك كانت بنوتهم لإبراهيم موضوع افتخارهم، وقال بعضهم للمسيح: «**إننا ذرية إبراهيم، ولم نستعبد لأحد قط!**» (يو ٨: ٣٣). وقال لهم المسيح: «**أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم**» (يو ٨: ٣٧). وقال لهم المعمدان: «**لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم: لنا إبراهيم أبًا. لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم**» (مت٣: ٩).

لماذا اختارهم الله؟

إن الله لم يخترهم لامتياز فيهم (تث ٧: ٧-٨، ٩: ٤-٦) فهم لم يكونوا أفضل من غيرهم، لكنه اختارهم بنعمته ليشهدوا عنه، ويعلنوا اسمه لكل العالم. كان الله يريد أن يستخدمهم كأداة في يمينه لإصلاح العالم الساقط ولإرجاع الأمم إليه، فمنذ أن اختار الله إبراهيم ودخل معه في عهد قال له: «**تتبارك فيك جميع قبائل الأرض**» (تك ١٢: ٣). وقال

لبني إسرائيل: «**فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة**» (خر ١٩: ٥-٦). والكاهن هو القنطرة التي توصل بين الله والناس. وهو لا يُقام من أجل نفسه بل من أجل الآخرين. فقد أراد الله أن يستخدمهم «مملكة كهنة» كقنطرة ليقوموا بدور الوسيط بينه وبين الأمم (وسيط الإعلان)، أي يستخدمهم في إعلان اسمه وحقه للأمم وأن ينقذ بهم أمم الأرض من شرهم ووثنيتهم. فلقد كان الاختيار تكليفًا إلهيًا لهم ومسؤولية ملقاة على عاتقهم، وكما يقول «كوستي بندلي»: «إن شعب الله لم يوجد من أجل نفسه بل من أجل خلاص سائر الشعوب»[٦٩]. فاختيار الله لهم ليس لأفضلية فيهم، ولا تحيزًا لهم لأنه يقول: «**فإن لي كل الأرض**». ويجب أن يكون دورهم هو دور المبشر والكاهن والكارز لكل ممالك الأرض، وقد أعلن هذا بوضوح قائلاً: «**أنتم شهودي، يقول الرب، وعبدي الذي اخترته، لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أني أنا هو. قبلي لم يُصَوَّر إله وبعدي لا يكون. أنا أنا الرب، وليس غيري مخلص. أنا أخبرت وخلصت وأعلمت وليس بينكم غريب. وأنتم شهودي، يقول الرب، وأنا الله**» (إش ٤٣: ١٠-١٢). قارن (إش ٤١: ٨،٩، ٤٤: ٨، ٥٥: ٤). وكان الهدف من المعجزات التي صنعها الله معهم هو أن يعلن عن نفسه، وأن تعلم ممالك الأرض كلها مَنْ هو الإله الحقيقي؟ فعندما قاد الرب شعبه، وجعل مياه الأردن تقف ندًا واحدًا، وعبر كل الشعب، قال يشوع: «**لأن الرب إلهكم يَبَّس مياه الأردن من أمامكم حتى عبرتم، كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذي يبسه من أمامنا حتى عبرنا، لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية، لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام**» (يش٤: ٢٣-٢٤). وقال سليمان في نهاية صلاته: «**مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى...**» (١مل ٨: ٥٦-٦٠). وبنفس اليقين صلى حزقيا عندما وصلته رسائل التهديد من سنحاريب ملك أشور (٢مل ١٩: ١٥-١٩). لقد أراد الله أن يستخدمهم كجماعة خاصة له لتعلن عن اسمه لكل العالم، ولكي يبارك العالم من خلالهم، لذلك أطلق عليهم لقب (جماعة) (تث٤: ١٠، ٣١: ٣٠، يش ٨: ٣٥) وهي العبرية (קהל قحال) أي الجماعة المدعوة. وكان يجب على إسرائيل أن تعيش كمجتمع ثيوقراطي يحكمه الله. ومبدأ الثيوقراطية كما شرحناه في المجلد الأول من هذه الدراسة يعني أن تكون الألوهية هي القوة العليا والسلطان الأعظم في الحياة. ولذلك نجد لقب «ملك» هو أكثر الألقاب التي أُطلقت على الله. وأطلق على بني إسرائيل لقب «شعب الله» (خر ٦: ٦، ١٩: ٥، تث ٧: ٦، لا ٢٦: ٩). والكلمة العبرية (עם عم) المترجمة شعب تعني شعب الله الخاص، وتشير إلى الصفة الفريدة لإسرائيل كشعب يختلف عن باقي الشعوب. أما كلمة (גוים غوييم) تعني «شعوب» وهي تشير إلى الأمم الأجنبية الغريبة (عد ٢٣: ٩).

فشل إسرائيل في رسالته

إلا أن إسرائيل فشل في رسالته، وانحرف عن دعوته، وخان العلاقة التي ائتمنه الله عليها، إذ بعد خروجهم من مصر قالوا لهارون: «**قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه**» (خر٣٢: ١). فصنع لهم العجل الذهبي وعبدوه ونسوا أنهم الشعب المقدس للرب والمختلف عن كل العالم وتشبهوا بالشعوب المحيطة بهم، وصنعوا لأنفسهم آلهة مثل آلهتهم لكي ينافسوهم. وبنفس الأسلوب جاءوا إلى صموئيل

قائلين: «**الآن اجعل لنا ملكًا يقضي لنا كسائر الشعوب». فساء الأمر في عيني صموئيل إذ قالوا: «أعطنا ملكًا يقضي لنا». وصلى صموئيل إلى الرب. فقال الرب لصموئيل: «اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك، لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم**» (١صم ٨: ٥-٧). فبدلاً من أن يعيشوا الثيوقراطية (حكم الله) طلبوا لأنفسهم ملكًا مثل باقي الأمم المجاورة لهم، ونسوا أنهم شعب مخصص للرب. لقد خانوا الرب وابتعدوا عنه واستهوتهم قبائح العبادات الأخرى فبنوا مذابح على المرتفعات ونصبوا عليها آلهة وعبدوها، وامتزجت طقوس عبادتهم بالزنا (إر ٢: ٢٠، ٧: ١٨) ولقد قال الله عنهم: «**ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليَّ. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم. ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدين. تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء. على مَ تضربون بعد؟ تزدادون زيغانًا. كل الرأس مريض، وكل القلب سقيم**» (إش ١: ٢-٥). فالشعب خان الله وابتعد عنه وخان المسؤولية وحسبوا دعوتهم امتيازًا وليست مسؤولية، وظنوا أن الانتساب لإسرائيل يعني انحياز الله لهم حتى ولو لم يطيعوه ويخضعوا له. لقد اختارهم الله ليقوموا بدور المصالحة وليخدموا الله لكنهم فهموا أن الاختيار نوع من التميُّز وليس رسالة بل وحسبوا الاختيار نوعًا من العنصرية فالله إله عنصري خاص بهم ولهم وحدهم.، لكن الله ضد العنصرية وهو ليس إلهًا عنصريًا. لقد أراد الله أن يعلن من خلالهم بُعد محبته الغير محدود للعالم غير المحدود، لكنهم استهانوا بدعوته وعبدوا آلهة أُخَر ورفضوا أن يكونوا حاملي رسالة الله ومعلني محبته للعالم، لذلك أعلن الله لهم على فم هوشع: «**ادع اسمه لوعمي (לא עמי) لأنكم لستم شعبي، وأنا لا أكون لكم**» (هو ١: ٩).

بالرغم من فشل إسرائيل القديم في رسالته، وعدم أمانته إلا أن الله ظل أمينًا لعهده ولم تفشل خطته لأجل العالم، فأرسل الأنبياء يتنبأون بإسرائيل الجديد، الشعب الذي سيقطع الله معهم عهدًا جديدًا (إر ٣١: ٣٠-٣١، ٣٢: ٣٨).

إسرائيل الله الحقيقي

يُصَوِّر الرسول بولس، المسيح كنسل إبراهيم الذي أُعطي له الموعد (تك ١٧: ٧-٨). الذي عليه أُسِّسَ اختيار إسرائيل (غل ٣: ١٦)، ومن ثم، بمعنى ما، المسيح نفسه هو شعب الله، مُجسِّدًا كل ما قصده الله للاختيار. والبشير متى يشير إلى هذه النقطة بوضوح عندما يصور يسوع كممثل لأحداث اختيار إسرائيل العظمى، فقد انحدر إلى مصر ليتجنب الاضطهاد والدمار (مت ٢: ١٣، تك ٤٥: ٧، ٥٠: ٢٠) وأُحضِرَ فيما بعد كابن الله (مت ٢: ١٥، خر٤: ٢٢) واجتاز في المياه كإسرائيل (مت ٣: ١٣-١٧، ١كو ١٠: ١-٢، خر ١٤: ٢٢) وجُرِّب في البرية (مت ٤: ١-١١، تث ٨: ٣). وأخيرًا جلس على الجبل هو وتلاميذه والجمع حوله ليسمعوا توراته، تمامًا مثلما فعل موسى في جبل سيناء إذ صعد ليتسلم التوراة من الله (مت ٥: ١-٢١، خر ١٩: ٢٠-٢٠: ١٧)[٧٠]. ويعلن زكريا تحقيق وإتمام الوعد في المسيح (لو ١: ٦٧-٧٩). لذلك فإن شعب الله والعهد القديم يجب أن يُفهما في ضوء عمل المسيح. ففي المسيح فقط، يقول بولس، تحققت الوعود لإبراهيم (غل ٣: ٢٩) لأن الكل – يهودًا كانوا أم أممًا – يمكن أن يقبلوا المسيح بالإيمان، وهذا

يعني أن إبراهيم ليس فقط أب إسرائيل التاريخي، بل هو أب «كل من يؤمن» مهما كان مصدرهم الطبيعي (رو ٤: ١١، مت ٨: ٥-١٣) وعلى العكس فإن الحق في دعوة إبراهيم أبًا، والتمتع بالعضوية في إسرائيل خسرهما اليهود الذين يرفضون أن يؤمنوا (رو ٩: ٦-٧، يو ٨: ٣٩-٤٤، رو ٢: ٢٨-٢٩). لذلك فالاسم «إسرائيل» ينطبق فقط على أولئك اليهود الذين يؤمنون بالمسيح. والعبارة «إسرائيل الله» (غل ٦: ١٦) تشير إلى كل الكنيسة، يهود وأمم، فإسرائيل الحقيقي، ليسوا هم نرية إبراهيم حسب الجسد بل مَنْ يسيرون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم (رو ٤: ١٢، ٩: ٦-٨). فنسل إبراهيم الحقيقي هو المسيح (غل ٣: ١٦، ١٩) ونسله أي كل من اعتمد للمسيح، كل من قبل المسيح ربًا ومخلصًا (غل ٣: ٢٩). ويرى موتير (S. MOTYER) أن طرق العهد القديم لفهم شعب الله يمكن أن تنطبق على الكنيسة، فأحداث الخلاص في العهد القديم ولا سيما الخروج، تستخدم لتُلقي الضوء على الخلاص في المسيح (١كو ١٠: ١-١١). فالمعنى الحقيقي لديانة العهد القديم موجود في الإنجيل (رو ٣: ٢٤-٢٥، ١بط ١: ١٨-١٩، رسالة العبرانيين)، ومرات عديدة نجد صورًا لإسرائيل تنطبق على الكنيسة (لو ١٢: ٣٢، يو ١٥: ١، ١بط ٢: ٩). كما أن الألقاب التي كانت تطلق على إسرائيل القديم أصبحت تطلق على الكنيسة.

اللقب	إسرائيل القديم	إسرائيل الجديد (الكنيسة)
مملكة كهنة	خر١٩: ٦	١بط ٢ : ٩، رؤ ١: ٦، ٥: ١٠
البكر	خر٤: ٢٢	عب ١٢: ٢٣، يع ١: ١٨
المختارون	تث ٧: ٦-٧، ١٤: ٢، ١مل ٣: ٨، ١أخ ٦: ١٣	مت ٢٤: ٢٢، ٢٤، ٣١، ١بط ١: ١، رو ٨: ٣٣، كو٣: ٢، ١بط ٢: ٩
كرمة	إش٥: ١-٧، مز٨٠	مت ٢١: ٤١، يو ١٥: ١-٥

إذن الكنيسة في المسيح يسوع هي إسرائيل الجديد وارثة العهود والمواعيد والامتيازات التي كانت لإسرائيل القديم لأنه رَفَضَ فرُفِضَ، ولعل أوضح مثال قدمه المسيح ليشرح هذه الحقيقة هو مثل الكرامين الأردياء (مت ٢١: ٣٣-٤٦). إذ صور رؤساء اليهود بالكرامين الأردياء الذين قتلوا عبيد وابن صاحب الكرم، وكان المسيح يشير بالعبيد إلى الأنبياء الذين أرسلهم الله للأمة اليهودية لكنهم قتلوهم ورجموهم، ويقصد بابن صاحب الكرم المسيح ابن الله الذي جاء لليهود لكنهم صلبوه. عندئذ سألهم المسيح قائلاً: «**متى جاء صاحب الكرم، ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟**» ولقد كان هذا السؤال صدى للسؤال القديم الذي طرحه الله على الشعب: «**ماذا يصنع لكرمي وأنا لم أصنعه له؟ لماذا إذا انتظرت أن يصنع عنبًا، صنع عنبًا رديئًا؟**» (إش٥: ٤). وكانت الإجابة على السؤالين بالعقاب والدينونة: «**فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمي: أنزع سياجه فيصير للرعي. أهدم جدرانه فيصير للدوس. وأجعله خرابًا لا يُقضب ولا ينقب، فيطلع شوك وحسك. وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطرًا. «إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل، وغرس لذته رجال يهوذا. فانتظر حقًا فإذا سفك دم، وعدلاً فإذا صراخ**» (إش ٥: ٥-٧). قارن (مت ٢١: ٤١- ٤٤). ويقول ألن ستيبلس Allan stibls: لقد كان

هذا عقابًا للشعب الإسرائيلي الذي ابتعد عن الله وبالتالي أهمل رسالته، وإن كان إسرائيل في العهد القديم هو الكرم، فإن المسيح والذين له هم الكرمة الحقيقية [٧١]. فلقد انتزعت من إسرائيل كل الامتيازات وأُعطيت لإسرائيل الله الجديد، كنيسة المسيح.

مكانة إسرائيل حسب الجسد

يتناول الرسول بولس في رسالة رومية (الأصحاحات ٩-١١) هذه القضية، مشيرًا إلى الامتيازات التي كانت لبني إسرائيل قديمًا كالتبني والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد والآباء، بل إن المسيح نفسه أتى منهم حسب الجسد، برغم كل هذا حُرِموا، بل حَرمَوا أنفسهم من بركات الإنجيل لأنهم وإن افتخروا بنسبهم إلى نسل إبراهيم لكنهم استخفوا بامتيازاتهم، وكسروا ناموس الرب، ولم يسلكوا في خطوات إيمان أبينا إبراهيم. ورغم ذلك توقعوا البركة وطالبوا بمواعيد الله لإبراهيم. وقال بعضهم للمسيح: «**إننا ذرية إبراهيم.. أبونا هو إبراهيم**». **فقال لهم يسوع: «لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم! ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم. أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا**» (يو ٨: ٣٣، ٤٠ ، ٣٨، ٤٤). وحذرهم بولس بقوله: «**فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعديًا الناموس، فقد صار ختانك غُرلةً! لأن اليهودي في الظاهر ليس يهوديًا، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانًا، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان، الذي مَدحُه ليس من الناس بل من الله**» (رو ٢: ٢٥، ٢٨، ٢٩). ذلك لأنهم صاروا معثرة وأصبح اسم الله يُجدف عليه بسببهم بين الأمم (إش ٥٢: ٥، رو ٢: ٢٤). واكتفى معظمهم بقشور الدين واجتهدوا أن يحفظوا الختان كعلامة للعهد، وحرصوا أن يحفظوا حرفية الناموس في الوقت الذي فيه لم يدركوا أن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن (رو١٠: ٤). وكان ينبغي أن الناموس يقودهم إلى المسيح ليتبرروا بالإيمان (غل ٢: ٢٤) وغاب عنهم أن هناك ختانًا جديدًا غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح (كو ٢: ١١)، ولا مجال للاتكال على الجسد (في٣: ٣). والعهد القديم نفسه يحثهم على ختان قلوبهم (لا ٢٦ : ٤١، تث ١٢: ١٠، ٣٠: ٦، إر ٤: ٣-٤، ٩: ٢٦).

وقد بنوا تصوراتهم حول مستقبل إسرائيل كأمة على مواعيد الله، واعتبروا أن الله بناءً على مواعيده أعطى لإسرائيل شيكًا على بياض يسحبون منه ما يشاءون من بنك السماء، وكل مواعيد الله لهم كأمة كانت مرتبطة بشخصه دون اعتبار لما ينبغي أن يفعل إسرائيل، إلا أن الحقيقة أن كل مواعيد الله في العهد القديم كانت مشروطة.

ويعتبر اليهود وعد المسيح (المسيا) هو أعظم المواعيد لأمتهم، فهو غاية الناموس (رو١٠: ٤). لكنهم رفضوه عندما أتى إليهم! وبرفضهم له صاروا مخطئين ضد كل الناموس وبذلك يجلبون على أنفسهم دينونة الله. وقد كان المسيح ولا يزال هو الرجاء الوحيد لإسرائيل ولغيرهم. وواحدة من المرات القليلة التي تصور مشاعر المسيح الجريحة على هذه الأمة حينما رثى أورشليم وقال: «**يا أورشليم، يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا!**». لقد رفضوه وبذلك نقضوا شروط العهد فقال لهم: «**هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا**». (مت٢٣: ٣٧، ٣٨). قارن (٢١: ٤٢-٤٥).

البقية الأمينة

ليس كل اليهود رفضوا المسيح، بل هناك من آمن به وقبله، وهؤلاء هم «البقية الأمينة» التي تُبنى على الوعد الإلهي والبر الإلهي والنعمة الإلهية وليس على أساس بر بشري. فالله لم يرفض شعبه، ولم ينقض عهده ومواعيده بالرغم من أن غالبية بني إسرائيل نقضوا العهد، وذلك لأن الله لم ولن يتغير وأمانته إلى الأبد، وله طرقه الخاصة لتحقيق مقاصده وسيتمم كل شيء من خلال البقية الأمينة. ولكي يؤكد الرسول هذه الحقيقة اقتبس من (إش ١: ٩، ١٠: ٢٢-٢٣) في (رو٩: ٢٧-٢٩) وقد كان إشعياء يتنبأ عن الدينونة المؤكدة التي ستحل قريبًا على يهوذا وإسرائيل بسبب خيانتهم وعدم أمانتهم لعلاقة العهد مع الله. ولن ينجو من هذه الدينونة إلا أقلية محدودة حفظت ولاءها لله وأمانتها للشريعة. هذه هي البقية الأمينة. ولقد استشهد الرسول بموقف آخر ليدلل على فكرة البقية من أيام إيليا النبي الذي صلّى إلى الله ضد إسرائيل: «**يارب، قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك، وبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي!**» (رو ١١: ٣). قارن (١مل ١٩: ١٠-١٤). وإذ أحس إيليا باليأس لأنه ظن أنه الوحيد الذي يعبد الله بالحق، ولكن الله أعلن له أنه مخطئ وأن هناك سبعة آلاف مؤمن مخلص في إسرائيل لم يسجدوا للبعل.

وقد ظهرت عقيدة «البقية الأمينة» كثيرًا في كتب الأنبياء، فعاموس يعلن أن الله سيغربل بني إسرائيل في غربال حتى يبقى الأمناء فقط (عا ٩: ٩-١٠). وقد رأى ميخا الله يجمع بقية إسرائيل (مي ٢: ١٢، ٥: ٣). ويقدم صفنيا الفكرة ذاتها (صف٣: ١٢-١٣). ورأى إرميا جمع البقية من أمم الأرض التي تشتتوا بينها (إر٢٣: ٣). وإشعياء يدعو ابنه «شآرياشوب» ومعناه «البقية ستعود» (إش ٧: ٣). من هنا ندرك أنه لم تكن أمة إسرائيل كلها شعب الله بل كان الأفراد المؤمنون الذين فتحوا قلوبهم لله وأطاعوه.

ثم ينتقل الرسول من الاستدلال بالتاريخ القديم إلى شهادة الإنجيل «**فكذلك في الزمان الحاضر أيضًا قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة**» (رو ١١: ٥). ففي الزمان الحاضر هناك أقلية أمينة لم ترفض الإنجيل، ويبرهن على ذلك بنفسه: «**فأقول: ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا! لأني أنا إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين**» (رو ١١: ١). فالحقيقة الواضحة هي أن: «**الله لم يرفض شعبه الذي سبق فعرفه**» (رو ١١: ٢). لكن هناك فرق شاسع بين إسرائيل الجسدي وبين البقية الأمينة :«**فماذا؟ ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله. ولكن المختارون نالوه. أما الباقون فتقسوا**» (رو ١١: ٧). فالرسول وأمثاله من الرسل والمؤمنين الذين أتوا من اليهودية في فجر المسيحية لنوال بركات الفداء، يُعتبروا إجابة عملية بأن الله لم يرفض شعبه، وتجسيدًا لفكرة البقية في ثوبها الجديد والتي ينضم إليها من كل قبيلة وشعب ولسان وأمة، كل من يؤمن، كل من غسل ثيابه وبيضها في دم الخروف (رؤ ٧: ١٤).

ملء إسرائيل وملء الأمم (٧٢).

يرتبط مفهوم «ملء إسرائيل» بمفهوم «ملء الأمم» ففهمنا لأحدهما يساعدنا على فهم الآخر. وكلمة «ملء» في اللغة اليونانية تعني كمال وإتمام وخاصة في العدد، وقد اعتقد البعض أن الرسول بولس يؤمن بخلاص الله الشامل لجميع

البشر، فعندما كان يتحدث عن ملء الأمم كان يشير بحسب اعتقادهم إلى خلاص كل الأمم، وهكذا خلاص كل إسرائيل في القول «ملء إسرائيل» وهذا غير صحيح لأن الرسول لا يعتقد بهذا الخلاص، بل يؤكد على الخلاص لكل من يؤمن، كما يؤكد على الدينونة الأبدية للخطية والأشرار. والمسيح كما رآه «سمعان الشيخ» «نور إعلان للأمم ومجدًا لشعبك إسرائيل» (لو ٢: ٣٢). وكان إسرائيل هو شعب الرب الذي اختاره وأناره بحقه ونال امتيازات خاصة (رو٣: ٢)، وقد جاء المسيح أولاً لهم. إلا أن الرب منذ القديم أوصاهم كثيرًا بالغرباء والنزلاء بينهم (خر٢٣: ٢١، ٢٩، تث ١: ١٦-١٧، ١٠: ١٨-١٩). وكان لبعض الشخصيات الأممية مكانة خاصة عند اليهود مثل «أوريا الحثي» (٢صم ١١)، و«إتاي الجتي» قائد حرس «داود» (٢صم ١٨: ٢)، و«أرونة اليبوسي» (٢صم ٢٤: ١٦-٢٤). وكان للأممي حق الالتجاء إلى مدن الملجأ مثل الإسرائيلي تمامًا (عد ٣٥: ١٥). كما كان يمكنه أن يرث في أرض إسرائيل بعد السبي (خر ٤٧: ٢٢، ٢٣) وكان مسموحًا أن يتقدموا بذبائحهم إلى الهيكل في أورشليم (لا ٢٢: ١٨). ولا ننسى دخول بعض النساء الأمميات في سلسلة نسب المسيح مثل «راحاب وراعوث» (مت ١: ٥). وكل هذه تأكيدات أن الأمم شركاء مع إسرائيل في البركة.

وبميلاد المسيح وبداية عصر الإنجيل تزداد العلاقة حسب قصد الله بين اليهود والأمم، ففي مجيء المسيح تحققت كل المواعيد القديمة (٢كو ١: ٢٠). فلا ينبغي على إسرائيل أن يحتفظ بالبركة لنفسه بل عليه أن ينقلها للأمم. فلم يكن مجيء المسيح فقط «ليعطي شعبه معرفة الخلاص» بل أيضًا «**ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت**» (لو١: ٧٧-٧٩). وقد حان الوقت لبركة الأمم من خلال نسل إبراهيم «**كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يارب، ويمجدون اسمك. لأنك عظيم وصانع عجائب. أنت الله وحدك**» (مز ٨٦: ٩-١٠). إن قصد الله أن يكون إنجيله شاملاً، يجمع تحت ظله اليهود والأمم معًا بدون تمييز، وهذا الأمر لم يكن مقبولاً أو سهلاً على المسيحيين اليهود الأوائل ومنهم الرسل، فالتحدي أمامهم من خلال روح التعصب الذي فيهم كانوا بلا شك يصارعون لتحقيق أمر المسيح لهم: «**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**» (مت ٢٨: ١٩) قارن (مر ١٦: ١٥، أع ١: ٨). وحتى بعد يوم الخمسين احتاج بطرس إلى إعلان خاص ليتعلم كيف يتعامل مع الأمم، وكيف يقبل ما طهره الله ولا يحكم عليه بالنجاسة (أع ١٠: ١٤-١٥). ولأهمية هذا الحق، تكلم به السيد المسيح أكثر من مرة لتلاميذه (مت ٢٤: ١٤، لو ٢١: ٢٤، ٢٧). كل هذا يساعدنا لنفهم التعبير «ملء الأمم» (رو١١: ٢٥).

وقد ارتبط ذلك الملء أو الاكتمال بالكرازة بالإنجيل، إذ تُقدَّم البشارة للأمم حتى يخلص جميع الذين هم معينون للحياة الأبدية، ومتى كمل العدد فحينئذ تنتهي أزمنة الأمم. هؤلاء هم الذين أرسل إليهم السيد الدعوة للوليمة، إذ قال لعبده: «**اخرج إلى شوارع المدينة وأزقتها - الأمم - وادخل إلى هنا المساكين والجدع والعرج والعمي**» (لو١٤: ٢١).. وقد كان واضحًا في رؤية بولس الكرازية أن المناداة بالإنجيل في العالم في كل مكان ستؤتي بملء الأمم (رو١٥: ١٦، ١٨-١٩).

من هنا نستطيع أن ندرك المقصود بـ «ملء إسرائيل» (رو ١١: ١٢) فكما ارتبط «ملء الأمم» بالكرازة بإنجيل المسيح، هكذا أيضًا ملء إسرائيل، فمن اليهود من يأتون بنعمة الله ليقبلوا رسالة الإنجيل ويطيعوا الكلمة، ففي الحالتين الملء هو

تحقيق لرسالة الكرازة واكتمالها في كل العالم للإعداد لمجيء المسيح، وهما يكونان معًا ملئًا واحدًا هو ملء المسيح.

فهناك إنجيل واحد لليهود والأمم (رو١٠: ١٢) وهناك وسيط واحد بين الله والناس (١تي٢: ٥) وهو الطريق الوحيد إلى الآب (يو ١٤: ٦). والاسم الوحيد الذي أُعطي بين الناس للخلاص (أع ٤: ١٢). وبإعلان الرسالة في يوم الخمسين بدأ ملء إسرائيل بثلاثة آلاف نفس إلى جانب الرسل والتلاميذ الأولين، وجميعهم من اليهود الساكنين في أورشليم (أع ٢: ٤١). وقد كان الرب يضم إلى الكنيسة كل يوم الذين يخلصون (أع ٢: ٤٧، ٤: ٤، ٥: ١٤، ٦: ٧). وهكذا تستمر رسالة الإنجيل إلى اليوم وحتى مجيء المسيح ثانية ليكتمل ملء إسرائيل مع ملء الأمم ليكونان معًا ملئًا واحدًا في كنيسة المسيح الواحدة، التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل (أف ١: ٢٣).

سيخلص جميع إسرائيل

فهم تعبير «ملء إسرائيل» و «ملء الأمم» يساعدنا في فهم القول: «**إن القساوة قد حصلت جزئيًا لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل**» (رو ١١: ٢٥-٢٦). والقول: «**إن القساوة قد حصلت جزئيًا لإسرائيل**» يؤكد أن الله لم يرفض شعبه، وليس عنده ظلم، فلا يحكم عليهم جميعًا بالهلاك، فمنهم من يهلك ومنهم من يؤمن، مثلهم في ذلك مثل الأمم لأن الباب مفتوح للجميع. وتعبير «جميع إسرائيل» يُقصد به الذين سيخلصون بالمسيح أي البقية الأمينة. وبولس نفسه والذين عاصروه من مؤمني العهد الجديد والذين أتوا من إسرائيل حسب الجسد يؤكدون أن القساوة كانت جزئية وليست دائمة أو شاملة، ويمكننا أن نرى أيضًا أن كلمة «جميع» كلمة نسبية مثل تعبير «ملء الأمم» الذي لا يعني أن كل الأمم سيخلصون. وهي تطابق كلمة «الجميع» في نفس الفقرة :«**لأن الله أغلق على الجميع معًا في العصيان، لكي يرحم الجميع**» (رو ١١: ٣٢). فالله يرحم الجميع في حين أنه يدين الذين لا يؤمنون. فإسرائيل كشعب يهودي لن يخلص جميعه، والأمم كشعوب وثنية لن تخلص جميعها. لكن إسرائيل الحقيقي أي الذين يؤمنون.

يختم الرسول هذه الأصحاحات الثلاثة بترنيمة رائعة، تعبر عن انبهاره بغنى الله وكلمته وعلمه وفكره وسلطانه (رو ١١: ٣٣-٣٦). وهنا يربط الرسول بين التعليم والتسبيح، أو بين اللاهوت وبين العبادة والتمجيد (Theology and doxology). فعندما رأى أن محبة الله ورحمته تشمل الجميع من يهود وأمم، لم يستطع إلا أن يتغنى بغنى الله وحكمته وعلمه.

إسرائيل والكنيسة في النبوة

إن مغزى نشأة الكنيسة من إسرائيل كان دائمًا موضع جدل في علم اللاهوت. ومن الحقيقي أننا يمكننا ببساطة أن نقول بدون يهودية لا مسيحية. والسؤال عن الأصل في اللاهوت يُصاغ كالآتي: هل التاريخ الإلهي لإسرائيل مندمج ومتداخل بتاريخ الكنيسة، أي أن إسرائيل كشعب الله القديم أُبطل بواسطة شعب الله الجديد، أم أن إسرائيل احتفظت بشعورها الخاص بالدعوة للخلاص، جنبًا إلى جنب مع الكنيسة حتى نهاية التاريخ؟ ويجيب (يورجن مولتمن) بالقول: إن إسرائيل مدعوة للخلاص في إطار الكنيسة، وهذه الدعوة تبقى إلى النهاية[٧٣].

إلا أن التدبيريين يقولون إن المسيح عندما أتى ليقيم ملكوته الذي رفضه اليهود، وحيث أن الملكوت خاص باليهود فقط فقد أجّل المسيح إقامته إلى مجيئه الثاني. ويقولون أيضًا: إن الكنيسة باعتبارها سماوية ليس لها مكان في نبوات العهد القديم، وتاريخها على الأرض يجيء معترضًا بين الانقطاع الجزئي لعلاقة الرب بشعبه على الأرض واستئناف تلك العلاقة بعد اختطاف الكنيسة. فبعد انتهاء سياحتها الأرضية واختطافها إلى المجد يتصل حبل النبوة ويتم ما جاء فيها بخصوص ضيقة يعقوب وظهور الرب في نهايتها ليملك على الأرض[٧٤].

وهم يصورون عصر الكنيسة بالقطار السريع الذي أعده الله، بعد أن فشل الله في قصده الأصلي مع اليهود، الذي يشبهونه بالقطار العادي. وعندما ينتهي القطار السريع الذي بدأ عند صليب المسيح وبداية عصر الكنيسة، حيث يتوقف الزمن، وبالتالي توقف القطار الأصلي وأخلى الطريق للقطار السريع، قطار الكنيسة. عندما ينتهي القطار السريع من مهمته، بالوصول إلى محطته النهائية وهي اختطاف الكنيسة، يعود الله فيحرك الزمن ويحرك القطار العادي الأصلي، ويحقق قصده بإقامة ملكوته الأرضي في الألف سنة.

ونحن نتساءل: هل فعلاً عصر الكنيسة جملة معترضة، كانت ضرورية لاحتمال رفض اليهود للملكوت عند المجيء الأول للمسيح؟ هل كان يمكن أن يكتمل الملكوت وقتها لو أن اليهود استجابوا للدعوة؟ وهل كان موقف الله غير واضح وغير مؤكد، لذلك كان عليه أن ينتظر استجابة اليهود أو رفضهم؟ وهل لمّا اتخذ اليهود هذا الموقف السلبي قرر الله أن يتراجع عن خطته حتى يأتي الوقت المناسب والذي فيه يضع خطته الأصلية موضع التنفيذ؟ إن مشكلة هذا التفسير للأحداث أنه يثير هذه التساؤلات عن سيادة الله.

بالطبع لم يُظهر الرسل أن الكنيسة تمثل جملة معترضة في تاريخ النبوة، فعلى سبيل المثال يعلن بطرس لعدد كبير من اليهود في يوم الخمسين أن انسكاب الروح القدس الذي يرونه هو ما تنبأ به يوئيل (يؤ ٢: ٢٨-٣٢، أع ٢: ١٦-٢٠). «**وأن كل من يدعو باسم الرب يخلص**». ويسوع الناصري (رأس الكنيسة) الذي صُلب حسب مشورة الله المحتومة وعلمه السابق، أقامه الله ناقضًا أوجاع الموت تحقيقًا لنبوة داود (مز١٦: ٨-١٠، أع٢: ٢٥-٢٧). وداود نفسه يقول: «قال الرب لربي: «**اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك**» (مز١١٠: ١، أع٢: ٣٤-٣٥). ثم يأتي بطرس إلى خلاصة عظته حول نجاح إرسالية المسيح وتحقيق هدفها تمامًا، عندما قال: «**فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم، ربًا ومسيحًا**» (أع٢: ٣٦). فليس هنا أو في أي موضع آخر ذكر لتأجيل الملكوت أو تغيير خطة الله. والشهود على ذلك كثيرون وجميعهم من اليهود، فمن أين أتوا رسل المسيح وتلاميذه الأوائل؟ وما هي جنسيتهم؟ وأيضًا السبعين الذين عينهم الرب وأرسلهم اثنين اثنين؟ (لو١٠: ١) والمائة والعشرون الذين كانوا في العلية في انتظار موعد الروح؟ (أع ١: ١٥). والثلاثة آلاف الذين خلصوا واعتمدوا في يوم الخمسين (أع ٢: ٤١)؟ ومَنْ استخدمهم الرب في الكرازة للأمم؟ وفي كتابة العهد الجديد؟

الإجابة لكل هذه التساؤلات، هي اليهود. وهناك تعداد يقدر عدد المؤمنين بالمسيح من خلفية يهودية في القرن الأول

الميلادي بمليوني مسيحي. حتى مقاومة رؤساء اليهود الشديدة لرسالة الإنجيل في عصرها الأول كان قد تنبأ عنها داود في المزمور الثاني (أع ٤: ٢٥-٢٨). وبولس الذي كان يفتخر بفرِّيسيته وباضطهاده للكنيسة، وعظ اليهود في «أنطاكية بيسيدية» مبينًا لهم أن إتمام ما قيل في العهد القديم يُعد بركة للكنيسة في الوقت الحاضر: «**نحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا، إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم، إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضًا في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتك. إنه أقامه من الأموات، غير عتيد أن يعود أيضًا إلى فساد، فهكذا قال: إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة. ولذلك قال أيضًا في مزمور آخر: لن تدع قدوسك يرى فسادًا**» (أع١٣: ٣٢-٣٥). وفي نهاية رسالته حذر مستمعيه اليهود بأنهم إذا رفضوا الإنجيل سيجلبون على أنفسهم الدينونة التي تنبأ بها الأنبياء (أع ١٣: ٤٠، ٤١) مع (حب ١: ٥).

في المجمع الأول للكنيسة المسيحية (مجمع أورشليم) (أع ١٥) الذي انعقد لحل مسألة وضع الأمم المؤمنين ومساواة إيمانهم مع اليهود المسيحيين، وفي ختام المجمع وقف يعقوب أخو الرب وتحدث عن أن قبول الأمم في الكنيسة هو أيضًا بوعد من الأنبياء، فقال: «**هذا توافقه أقوال الأنبياء، كما هو مكتوب: سأرجع بعد هذا وأبني أيضًا خيمة داود الساقطة، وأبني أيضًا رُدمها وأقيمها ثانية، لكي يطلب الباقون من الناس الرب، وجميع الأمم الذين دُعي اسمي عليهم، يقول الرب الصانع هذا كله. معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله**» (أع ١٥: ١٥-١٨) قارن (عا ٩: ١١-١٢، إش ٥٥: ٥، ٤٥: ٢١). وينتهي الحوار هنا بأن مملكة الله، بيت داود هي كنيسة المسيح من اليهود والأمم معا. فلو أن هناك فرقًا بين الملكوت والكنيسة لكان الرسل والمبشرون غير واعيين به! وهذا مستحيل.

وعندما ذهب فيلبس للسامرة وتبعه جمع كبير وعظهم بالأخبار السارة إذ كان «**يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح**» (أع ٨: ١٢).

وقد أمضى بولس ثلاثة أشهر في أفسس مُحاجًا ومقنعًا فيما يختص بملكوت الله (أع ١٩: ٨، ٢٠: ٢٥). وفي روما جمع قادة اليهود، وشرح لهم أنه مقيد ومتألم من أجل رجاء إسرائيل (أع ٢٨: ١٧-٢٠).

كل هذا يؤكد لنا أن الكنيسة لم تكن جملة معترضة في تاريخ النبوة، وتاريخها لا يجيء معترضًا بين الانقطاع الجزئي لعلاقة الرب بشعبه الأرضي. كما أن كُتَّاب العهد الجديد يُؤكِّدون لليهود أن نبوات العهد القديم تحققت في المسيح والكنيسة. فبولس يؤكد: «**لأن ابن الله يسوع المسيح، الذي كُرز به بينكم بواسطتنا، أنا وسلوانس وتيموثاوس، لم يكن نعم ولا، بل قد كان فيه نعم. لأن مهما كانت مواعيد الله فهو فيه «النعم» وفيه «الآمين» لمجد الله، بواسطتنا**» (٢كو ١: ١٩-٢٠). وقد أعاد بولس وعد الله قديمًا والذي قيل عن إسرائيل كعلامة من علامات العهد، وطبقه على أعضاء الكنيسة المسيحية من الأمم، وكان ذلك الوعد الذي نطق به موسى وغيره من الأنبياء المتأخرين (لا ٢٦: ١٢، خر٢٥: ٨، ٢٩: ٤٥، إر٣٠: ٢٢، ٣١: ٣٣، حز ١١: ٢، ٣٧: ٢٦، ٢٧، ٢كو ٦: ١٤-١٦). ونفس الشيء أيضًا قيل عن اليهود الذين آمنوا بالمسيح وصاروا أعضاء في الكنيسة، فالعهد الجديد الذي سبق أن تنبأ عنه الأنبياء قد تحقق في المسيح وسيط ذلك العهد الأفضل (عب ٨: ٦، ٩: ١٥، ١٢: ٢٤) وأصبحت كنيسة المسيح بذلك هي الميدان الذي يطبق فيه ذلك العهد.

إذًا كان إسرائيل نموذجًا سابقًا للكنيسة، وصار هذا النموذج بمحتوياته حتى يوم الخمسين حيث أخذت الكنيسة مكانها، وأُعطيت لها مواعيد جديدة في نور العلاقة والعهد الجديد، ونالت أيضًا بركات المواعيد القديمة التي قيلت لإسرائيل، مع اعتبار أن بعض هذه المواعيد القديمة كانت أرضية ومشروطة، وهذه انتهت بنهاية إسرائيل كأمة، أما المواعيد الروحية فهي اليوم لليهود والأمم على حد سواء.

شعب واحد لله

مما سبق يتضح لنا بجلاء أن لله شعبًا واحدًا في العهدين، ولا مجال للقول إن لله عهدين: الأول عمل المسيح مع الكنيسة بدمه المسفوك، والثاني عهد مستقبلي سوف يتم مع إسرائيل، وهو كما يقول التدبيريون تجديد واسع لعهد موسى، وأن عمل المسيح والكنيسة جملة معترضة وستنتهي، وأن يهوه سوف يحقق عهده لشعبه، اليهود، بعد أن تخرج الكنيسة من الصورة بالاختطاف. قطعًا لا مجال لهذا القول، لأن لله شعبًا واحدًا، تحققت فيه كل المواعيد من خلال عهد الفداء الواحد، الذي تحقق تدريجيًا في المسيح وشعبه من البداية إلى النهاية (أف ٢: ١١-١٢، عب١٠: ١١،٣٢، رو ٩: ٦-٨، غل ٣: ٢٧-٢٩) وطريق الخلاص واحد للجميع (رو ١٠: ١٢-١٣) ومصير شعب الله واحد (عب ١٢: ٢٥-٢٩) وملكوت الله وملكوت السموات واحد للجميع، وهو ملكوت لا يتزعزع (عب ٢: ٢٨). ملكوت روحي، شعب واحد، عهد واحد، خطة واحدة، مصير واحد، وكنيسة واحدة[٧٤].

الموقف الكتابي من دولة إسرائيل الحديثة

١- تحقق الوعد والعهد مع إبراهيم حول ميراث الأرض في ثلاث مراحل. وقد شرحناها بالتفصيل من المجلد الأول من هذه الدراسة - الميثاق الإبراهيمي.

٢- تحقق الوعد الإلهي لإبراهيم أيضًا بالأمة العظيمة، والنسل الذي لا يعد. وقد درسنا هذا أيضًا في الميثاق الإبراهيمي.

٣- سنة ٩٣١ ق. م انقسمت مملكة إسرائيل العظمى إلى المملكة الشمالية، والمملكة الجنوبية وقد شرحنا هذا الحدث في المجلد الأول - الباب الثالث الفصل الثاني بعنوان نبوات متداخلة - انقسام المملكة. وقد تشتت المملكة الشمالية وانتهت بالسبي الأشوري سنة ٧٢٢ ق. م وانتهت المملكة الجنوبية بالسبي البابلي سنة ٥٨٦ ق. م، إلى أن جاء كورش الفارسي سنة ٥٣٨ ق. م وسمح لليهود بالعودة على أفواج، فعادوا وأعادوا الهيكل وانتهوا منه سنة ٥١٦ ق. م. واستمروا بعد ذلك أيام اليونان سنة ٣٣٣ ق. م، وأيام السلوقيين سنة ١٧٤ ق. م ، واضطهاد «أنتيوخس أبيفانس» سنة ١٦٨ ق. م ، ثم الثورة المكابية سنة ١٦٦ ق. م وفترة الاستقلال سنة ١٤٤ ق. م حتى حكم الرومان ٦٣ ق. م إلى أن تمَّ خراب أورشليم والهيكل سنة ٧٠ م. وكانت هذه هي الضربة القاضية لهم، وانتهى تاريخ الشعب اليهودي إلى الشتات النهائي.

٤- أكد العهد الجديد تحقيق العهد الإبراهيمي ونبوات العهد القديم في المسيح المسيا، وكنيسته التي هي شعب الله الروحي (إسرائيل الله). وهذا ما شرحناه أيضًا في الميثاق الإبرهيمي.

٥- مما سبق يتضح أنه لا علاقة بين دولة إسرائيل الحديثة وحقيقة «شعب الله» في نبوات العهد القديم، فهذه النبوات تحققت لهم في بعدها التاريخي في زمن العهد القديم وانتهت، وتحققت في بعدها النبوي في المسيح والكنيسة. ولا علاقة بين عودة اليهود ومزاعم إعادة بناء الهيكل ومجيء المسيح الثاني.

٦- تأسيس دولة إسرائيل الحديثة شأن سياسي، فهي وليدة الحركة الصهيونية التي بدأت بمؤتمرها الأول في «بازل» بسويسرا عام ١٨٩٧م، والتي تضمن برنامجها تشجيع الاستعمار اليهودي لفلسطين، وتأسيس منظمة تربط بين يهود العالم عن طريق مؤسسات محلية ودولية طبقًا لقانون كل دولة، وتقوية الشعور القومي لليهود. وهكذا بدأت عملية تهجير اليهود الأوربيين إلى فلسطين، التي كانت آنذاك جزءً من الدولة العثمانية، واستغل «هرتزل» شعور الأوربيين السلبي تجاه اليهود، ورغبتهم في التخلص من متاعبهم، فكثف جهوده للحصول على «براءة» تضمن قيام أي كيان صهيوني في فلسطين، فحصل فعلاً على نوع من الاعتراف الأوربي بالمنظمة الصهيونية، في مقابل إخلاء أوربا من الفائض البشري اليهودي. وبالتالي تم التحالف التالي: أن تتحكم الصهيونية في يهود العالم، وأن تخلص الغرب من فائض أعدادهم، ثم تقيم قاعدة للاستعمار الغربي في قلب العالم العربي[٧٥]. وهكذا صدر «وعد بلفور» أو «تصريح بلفور» في بريطانيا يوم ٢/ ١١/ ١٩١٧، ثم تصويت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية سنة ١٩٤٧م، فقامت الدولة الإسرائيلية سنة ١٩٤٨م باعتراف فوري أمريكي سوفيتي. ثم بدأ الصراع العربي الإسرائيلي وجاء العدوان الثلاثي ١٩٥٦م، وحرب ١٩٦٧م، وانتصار أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣م. مرورًا بالمفاوضات التي أعادت الأراضي المصرية، إلا أنها تعثرت حتى الآن على بقية الأصعدة بسبب التعنت الإسرائيلي وعدم امتثال الحكومات الإسرائيلية للقرارات الدولية.

هوامش الباب الثاني

٣٩- فهيم عزيز، ملكوت الله، ص. ١٤٢-١٣٢.

40- Jurgen Moltmann, **Theology of Hope, P. 15-18.**

41- Jurgen Moltmann, **Theology of Hope, P. 69-71.**

42- Gustor, **The faith of the Christian church**, (U.S.A: The Muhlambary Press, 1960), P. 26-52.

43- William Barclay, **The Mind of Jesus**, (Bungay; Suffolk: Ltd, 1981) P. 53-55.

٤٤- فهيم عزيز، ملكوت الله، ص. ١٧-١٩.

٤٥- **دائرة المعارف الكتابية**. ج٤ ص. ٢٠٨- ٢٠٩.

46- William Barclay.

٤٧- فهيم عزيز- د. القس. ص ٢٢-٢٣

48- William Barclay, P.57.

49- **Early Christian Eschatology**, P601.

50- **Early Christian Eschatology**, P.601-02

٥١- فهيم عزيز- د. القس. ص ٣٥-٤٠

52- William Barclay, P.55- 57.

53- Jurgen Moltmann, **The Church in the power of spirit,** (London: SCM Press LTd 1977), p. 189- 196.

54- William Barclay, P. 61- 62.

٥٥- فهيم عزيز، ملكوت الله، ص. ١٧٧.

56- William Barclay, P.57- 59

٥٧- فهيم عزيز، ملكوت الله ص. ١٥٤-١٥٩.

٥٨- حنا الخضري، **تاريخ الفكر المسيحي** ج١، (القاهرة:دار الثقافة)، ص. ٦٣-١٠٩.

٥٩- حنا الخضري تاريخ الفكر المسيحي ج١، ص. ١١٠-١١٣.

٦٠- حنا الخضري تاريخ الفكر المسيحي ج١، ص. ١١٤-١١٨.

٦١- متى المسكين، **المسيح والمسيا**، (القاهرة: دار مجلة مرقس، ١٩٩٣)،

٦٢- فهيم عزيز، ملكوت الله، ص. ١٦٠-١٦٤.

٦٣- متى المسكين، **المسيح والمسيا**، ص ١٠.

٦٤- متى المسكين، **المسيح والمسيا**، ص.١٣.

65- **Early Christian Eschatology**. P.603.

66- **Early Christian Eschatology**. P.605.

٦٧- فهيم عزيز، **الفكر اللاهوتي في كتابات بولس**، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨١) ص. ٤٠٧.

٦٨- فهيم عزيز، الفكر اللاهوتي في كتابات بولس ص. ٤٠٩-٤١٠.

٦٩- عزت شاكر، **كنيسة بلا أسوار**، (القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة،٢٠٠٠)، ص.٣٤.

S. Motyer, **Israel – the new in The new evangelical dictionary of theology**, P. 571

٧٠- عزت شاكر، **كنيسة بلا أسوار**، ص٤١.

٧١- حمدي سعد، **أشهر النبوات**،)القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٨، ص. ١١٧-١١٩.

72- Jurgen Moltmann, **The Church in the power of spirit,**

٧٣- حمدي سعد، **أشهر النبوات**، ص. ١٤٥-١٤٨.

٧٤- مكرم نجيب، **قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح**، (القاهرة: دار الثقافة،٢٠٠٢) ص. ٥٣-٥٥.

٧٥- مكرم نجيب، قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح ص٥٧.

الباب الثالث : المجيء الثاني للمسيح

الفصل الأول : مصطلحات وحقائق عن المجيء الثاني

الفصل الثاني : نظريات المجيء الثاني

الفصل الثالث : منظور إنجيلي مشيخي

يتسم الحديث في الكتاب المقدس عن المجيء الثاني بصفة عامة بالغموض، فالقليل من الآيات يتسم فيها بالوضوح، لكن الأكثر يكتنفه الغموض. ويرجع هذا إلى أن النصوص كتبت بأسلوب رؤوي مليء بالألغاز والغموض. ومن ثم فكل محاولة لفهم الأخرويات إنما هي اجتهاد. إلا أن هناك أساسيات واضحة حول عقيدة مجيء المسيح الثاني. ويجدر بنا في بداية دراستنا لهذا الموضوع أن نتفحص المصطلحات اللغوية الكتابية المستخدمة حول المجيء الثاني، لعل فهمنا لهذه المصطلحات يُسهِم بفاعلية في فهمنا لهذه العقيدة المباركة.

الفصل الأول: مصطلحات وحقائق عن المجيء الثاني

أولاً: المصطلحات اللغوية المستخدمة عن المجيء الثاني

١- يوم الرب

ورد هذا المصطلح أولاً في العهد القديم في صيغة المضاف والمضاف إليه. وهو من أهم عناصر الفكر الاسخاتولوچي عند الأنبياء، ويشير إلى عقيدة راسخة عند اليهود الذين قسموا الزمان إلى عصرين، العصر الأول مليء بالشر والفساد ولا يمكن إصلاحه وقد سموه الدهر الحاضر، أما العصر الثاني فهو عصر جديد يسوده الخير والصلاح وقد سمي بالدهر الآتي، وبين هذين الدهرين الحاضر والآتي، يقع يوم الرب وهو يوم مخيف مرهب حيث يتدخل الله بقوة ومجد ليدين الأشرار بشكل ظاهر، وليُخرج من عالم الشر أو الدهر الحاضر عالم الصلاح والخير أو الدهر الآتي.

وقد وصف اليهود الاضطراب الذي يحدث في يوم الرب بصور وأوصاف وتشبيهات كثيرة: «**قريب يوم الرب العظيم. قريب وسريع جدًا. صوت يوم الرب. يصرخ حينئذ الجبار مُرًا. ذلك اليوم يوم سخط، يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب. يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشُرف الرفيعة**» (صف ١: ١٤-١٦). «**وأعطي عجائب في السماء والأرض، دمًا ونارًا وأعمدة دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف**» (يؤ ٢: ٣٠-٣١). مثل هذه الصور والتشبيهات التي تصف يوم الرب كانت مألوفة عند اليهود لتبين تدخل الله بقوة في حياة الأمة لإنهاء عصر من الشر والفوضى وبداية عصر جديد يسوده الخير والصلاح[٧٦].

وقد استخدم اليهود هذا المصطلح عن مجيء الرب إليهم ليجعلهم سادة الأمم، فالشعب كان يتذكره في احتفالاتهم وعباداتهم في مستهل السنة الجديدة، ويرون فيه رجاءً وتمجيدًا ورجوعًا بالملكة إلى وحدتها ومجدها. ولكن عاموس النبي تكلم برسالة تناقض هذا الاعتقاد: «**ويل للذين يشتهون يوم الرب! لماذا لكم يوم الرب؟ يوم ظلام لا نور. كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد فصادفه الدب، أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية! أليس يوم الرب ظلامًا لا نورًا، وقتامًا ولا نور له؟**» (عا٥: ١٨-٢٠). لقد أراد عاموس أن يقول إن هذه الانتظارات في يوم الرب، دفعتهم إلى

حياة الكسل والظلم والشر وعدم الاكتراث بالقيم الأخلاقية، وبوصايا الرب، ولهذا سوف يكون يوم الرب يوم دينونة شديدة، وأيضًا سيكون يوم دينونة للأمم الأخرى التي عصت الله مثل بابل ومصر وأدوم وغيرها (إش ١٣-٢٣). لقد كسر بنو إسرائيل العلاقة والعهد الذي قطعه الله معهم، ونادى إشعياء بنفس المعنى حين قال: «**فإنه هوذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن، كل سند خبز، وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب. القاضي والنبي والعراف والشيخ. رئيس الخمسين والمُعتبر والمشير، والماهر بين الصُناع، والحاذق بالرقية. وأجعل صبيانًا رؤساء لهم، وأطفالاً تتسلط عليهم**» (إش٣: ١-٤). هذه الدينونة قد تأتي في صورة غزو خارجي (حز١٣) أو جراد (يو ٢) أو جوع (عا ٨) وهكذا يتكرر يوم الرب في حياة الشعب وفي مراحل متعددة من التاريخ الإنساني إلى أن يأتي الرب في مجيئه الثاني[٧٧].

وقد استخدم المسيح صورة «يوم الرب» كيوم دينونة في نبوته عن خراب أورشليم لإعلان دينونة الله على اليهود الذين رفضوا المسيح ابن الله وصلبوه، وأن الله سيعطي ملكوت الله لأمة روحية جديدة هي الكنيسة من كل الشعوب والأمم والألسنة التي تحل محل الأمة اليهودية، فهي إسرائيل الجديد.

ويوم الرب متكرر في التاريخ الإنساني فكل وقت يتدخل الله فيه بقوة وتهتز فيه أوضاع العالم ليخرج من هذه الأوضاع عالم جديد يعود فيه الناس إلى طاعة الله يعد يومًا للرب.

وقد أُستخدم تعبير «يوم الرب» في العهد الجديد بصيغ مختلفة تشير إلى يوم مجيء المسيح ثانية. فمرة يأتي يوم الرب (١تس ٥: ٢) أو يوم الرب يسوع (١كو ١: ٨) أو يوم يسوع المسيح (في ١: ٦) أو يوم المسيح (في ١: ١٠، ٢: ١٦). وقال المسيح لليهود: «**أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح**» (يو ٨: ٥٦). وهو يقصد باليوم العهد الجديد الذي جاء به المسيح، فقد رأى إبراهيم من بعيد بعيني إيمانه يوم العهد الجديد في المسيح فتهلل. فيوم الرب في العهد الجديد هو «يوم المسيح» سواء في مجيئه الأول بالعهد الجديد، أو مجيئه الثاني في قوة ومجد. سواء في مجيئه للفداء أو للدينونة. أو هو الوقت الذي فيه يفتقد الله هذا العالم ليُنهي هذا الدهر ليقيم الدهر الآتي، والمؤمنون بالمسيح هم شعب الدهر الآتي، شعب الرب الجديد، إسرائيل الروحي الذي حلّ تمامًا محل إسرائيل الجديد.

٢- مجيء أو حضور παρουσια Parousia

هذا التعبير هو من أكثر الكلمات استعمالاً للتعبير عن المجيء الثاني. ويعني الحضور أو التواجد، وهو كلمة رسمية كانت تستخدم عند زيارة الملوك والحكام، وقد استخدمها الرب نفسه في حديثه عن مجيئه الثاني (مت ٢٤: ٣٧، ٣٩). كما استخدمها الرسول بولس للتعبير عن مجيء الرب بقوة وجلال ليقيم الأموات في المسيح (١كو ١٥ : ٢٣، ١تس ٢: ١٩) قارن (١تس٣ : ١٣، ٤: ١٥، ٥: ٢٣، ٢تي ٢: ١، ٩، يع ٥: ٧، ٨، ٢بط ١: ١٦، ٣: ٤، ١٢، ١يو ٢: ٢٨). والكلمة في العهد الجديد عمومًا تعني أن الرب يسوع الجالس عن يمين الله سوف يأتي ويحضر عندنا (أع ١: ١١، مت ٢٤: ٣، ٢٧).

٣- استعلان أو كشف Apokalypsis αποκαλυπτω

يوضح هذا التعبير الفرق بين حالة الاتضاع في مجيء المسيح الأول بالجسد (في ٢: ٦-٨)، ومجيئه الثاني في مجد وقوة. فالمسيح في مجيئه الأول أخلى نفسه من مجد لاهوته، أما في مجيئه الثاني سيستعلن مجده للجميع (١كو ١: ٧، ٢تس ١: ٧، ١بط ١: ٧،١٣، مت ٢٤: ٣٠). لقد جاء في الجسد مُخفيًا مجده، وعندما أنهى مهمته صعد إلى السماء (أع ١: ١٠-١١) وهو هناك ليُجري ملكوته في الوقت الحاضر ولكن سوف يأتي اليوم الذي فيه تراه كل عين، ويُعلن أنه رب الدينونة والمجد، وأنه سيد الكل.

٤- الظهور Epiphania οπιφανεια

استخدم هذا التعبير في العهد الجديد للدلالة على العلنية، إذ استخدم عن التجسد (١تي ٣: ١٦، ٢تي ١ : ١٠) واستخدم أيضًا عن المجيء الثاني (١تي ٦: ١٤، ٢تس ٢: ٨، ٢تي ٤ : ١، تي ٢: ١٣). والمقصود أن مجيء المسيح لن يكون خفيًا سريًا، بل علنيًا مرئيًا، إذ تراه كل عين. والرسول بولس يقصد من استعماله المشترك للمصطلح أن يربط بين مجيء المسيح في الجسد ومجيئه الثاني كحدثين عظيمين مترابطين في عملية الفداء والخلاص الواحدة لكل من يحب الرب ويدعو باسمه.

٥- الرجوع الظاهر : فانيرو

تعني الرجوع الظاهر، حيث يكون مجيء المسيح بقوة ومجد عظيمين: «**أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهِرَ (فانيرو) نكون مثله، لأننا سنراه كما هو**» (١يو ٣: ٢). «**ومتى ظهر (فانيرو) رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى**» (١بط ٥: ٤). فالمؤمنون عند مجيء الرب وظهوره سيظهرون أيضًا معه ويكونون مثله.

٦- ماران أثا

كلمة آرامية تُركت في كل الترجمات كما هي. وقد كانت كلمة السر أو التحية التي استخدمها أتباع المسيح وفهموها وحدهم في عصور الاضطهاد. والكلمة مركبة من مقطعين: ماران تعني سيدنا، أثا تعني أتى. والمعنى سيدنا آتٍ. وقد صاحب هذا المصطلح خدمة العشاء الرباني في الكنيسة الأولى، وهو مرادف لعبارة "ليأت ملكوتك" في الصلاة الربانية أو قول الرائي: «**آمين. تعال أيها الرب يسوع**» (رؤ ٢٢: ٢٠). وقد كتبه بولس بخط يده في ختام رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس (١كو ١٦: ٢١-٢٤) ليقصد به المجيء الثاني ويحفز المؤمنين على انتظاره بيقين وثقة ورجاء.

ثانيًا: حقائق عن المجيء الثاني

من دراسة المصطلحات اللغوية السابقة والمستخدمة عن المجيء الثاني نستكشف الحقائق التالية:

١- مجيء واحد للتمجيد والدينونة

يرى التدبيريون - الذين سنتوسع في فكرهم لاحقًا - أن الرب يسوع سيأتي مرتين، الأولى في اختطاف سري، ثم بعد ذلك بسبع سنوات بمجد وقوة عند نهاية الزمان. ونحن نؤمن أن المسيح قد أتى مرة، وهو «**سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**» (عب ٩ : ٢٨). فالكتب المقدسة لا تُعلِّم عن مجيء ثالث للمسيح. لكن التدبيريين لا يستخدمون تعبير المجيء الثالث، ويفضلون تعبير «مرحلتين» للمجيء الثاني. وفي الحقيقة هذا تعبير محير، فإذا كان الاختطاف «مرحلة» مستقلة عن مجيء المسيح في القوة والمجد، فكيف نعتبر كل مرحلة أنها المجيء الثاني! وحيث أن كل مرحلة منهما تمثل حدثًا مستقلاً ومنفصلاً بينهما سبع سنوات أفلا يعتبر المجيء الذي يعقب المجيء الثاني مجيئًا ثالثًا؟! إلا أن الكتاب المقدس لا يتحدث أبدًا عن المجيء الثالث، ولا يستخدم صيغة الجمع في الكلام عن المجيء الثاني. وفي محاولة لتوضيح هذه الصعوبة، فقد ذهب بعض الكُتّاب التدبيريين إلى أبعد من هذا، ليبرهن أن «الاختطاف» ليس هو مجيء الرب على الإطلاق، إن المجيء الثاني سيكون منظورًا، فيه يظهر المسيح بالجسد على سحاب السماء إذ يعود إلى الأرض بقوة ومجد عظيم. وقال آخر: إن الحدث المثير للمشاعر، والذي يحدد نهاية يوم النعمة وفتح باب الضيقة العظيمة، ليس هو بالتأكيد المجيء الثاني للمسيح، بل بالحري الاختطاف الذي يعني أخذ الكنيسة الحقيقية.

في الحقيقة إن اعتبار الاختطاف حدثًا مستقلاً وسابقًا لمجيء المسيح، يعتبر مخالفًا تمامًا لتعاليم الكتاب المقدس، ألم يقل المسيح: «**لذلك كونوا أنتم مستعدين، لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان**» (مت ٢٤ : ٤٤). فإذا كان الاختطاف سيتم قبل مجيئه فما الداعي أن يحض المسيح على الاستعداد لمجيء ابن الإنسان؟!

وفي اتفاق مع تعاليم المسيح يقدم الرسل النصح للمؤمنين: «**فتأنوا أيها الأخوة إلى مجيء الرب**» (يع ٥: ٧، عب١٠: ٣٧). مرة أُخرى نتساءل: لماذا تحريض الأخوة على التأني إلى مجيء الرب، إذا كان رجاؤهم الحقيقي في الاختطاف السابق لمجيئه؟! ويكتب الرسول بولس للمؤمنين في كورنثوس: «**وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح**» (١كو ١: ٧). فإذا كان بولس الرسول يعتقد أن المؤمنين سوف يؤخذون إلى السماء في اختطاف سري قبل المجيء بسبع سنوات، فلماذا تحدث عنهم أنهم متوقعون ذلك؟ فمن الواضح إذن أن الرسول لم يكن يرى أن الاختطاف حدث مستقل، فالاختطاف هو مجيء الرب (١تس ٤: ١٥)[٧٨].

إذًا لا مكان لمجيئين، بل مجيء المسيح ثانية هو مجيء واحد علني ومرئي، ليعاقب الذين لا يطيعون إنجيله بهلاك أبدي، وليتمجد في قديسيه (٢تس ١: ٧-١٠، ٤: ١٥-١٧).

أما عن قول المسيح: «**حينئذ يكون اثنان في الحقل، يؤخذ الواحد ويُترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى، تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى**» (مت ٢٤: ٤٠-٤١). فهو لا يقصد أن هناك فاصلًا زمنيًا بين أخذ الاثنين، بل يقصد أن واحدًا لم يؤخذ إلى نفس المكان الذي أُخذ إليه الآخر. ويتأكد المعنى من القرينة إذ يقول في الآيات السابقة: «**كما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون**

ويُزوجون، إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان» (عدد٣٧-٣٩). فالاختلاف ليس زمنيًا، لكن في مصير الاثنين في نفس الوقت.

٢- مجيء شخصي

سيأتي الرب بنفسه يصاحبه صوت رئيس ملائكة. وقد كانت أول رسالة مطمئنة من السماء للتلاميذ بعد صعود المسيح إلى السماء: «**أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء**» (أع ١: ٩-١١). وهذا ما أعلنه بطرس لليهود (أع ٣: ١٩-٢١) قارن (في ٣: ٢٠-٢١، ١تس ٤: ١٦) فمجيء المسيح ثانية سيكون مجيئًا شخصيًا.

٣- مجيء علني مرئي

ظهر معلمون مضلون في كنيسة تسالونيكي شوَّشوا فكر المؤمنين عن المجيء الثاني وقالوا: «**إن يوم المسيح قد حضر**» (٢تس ٢: ٢). أي أنه أتى سرًا ولم يره أحد، لذلك كتب بولس رسالته إلي المؤمنين ليثبتهم في الحق ويحذرهم من المعلمين الكذبة. ولازالت هذه الفكرة المضلة عن مجيء المسيح السري تظهر من حين لآخر، فجماعة الادفنتست إدعت أن المسيح جاء ثانية سنة ١٨٤٤م، و«تشارلز رسل» مؤسس جماعة شهود يهوه قال إن المسيح سيأتي في أكتوبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٤م. لكن خليفته «روزفورد» قال بعد ذلك إن المسيح لم يأتِ سنة ١٩١٤م، لكنه أتى فعلاً سنة ١٩١٨م حيث انتصر على إبليس وملك على عرشه[٧٩].

إلا أن كلمة الله تؤكد أن مجيء المسيح سيكون علنيًا مرئيًا: «**هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض. نعم آمين**» (رؤ ١: ٧). والرسول بولس يقارن بين مجيء المسيح الأول بالجسد ومجيئه الثاني مستخدمًا نفس الكلمة «ظهور Epiphania επιφανεια» فيقول: «**لأنه قد ظهرت نعمة الله المُخلِّصة، لجميع الناس، مُعلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر، منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح**» (تي ٢: ١١-١٣). فكما كان مجيء المسيح الأول مرئيًا ملموسًا هكذا سيكون مجيئه الثاني. (١تس ٤: ١٥-١٧، مت ٢٤: ٢٧، ٣٠، ٢٥: ٣١-٤٦، رؤ ٢: ١٥-١٦، ١كو ٤: ٥، ١٥: ٥١، ٥٢، ٢كو ٥: ١٠، رؤ ١٩: ١١).

٤- مجيء في مجد

جاء المسيح في حالة الاتضاع (إش ٥٣: ٢-٣، في ٢: ٧-٨) لكن في مجيئه الثاني سيأتي في مجد وقوة (مت ١٦: ٢٧، ٢٥: ٣١-٤٦، ٢تس ١: ١٠، تي ٢: ١٣).

٥- مجيء مفاجئ وغير متوقع

يؤكد العهد الجديد على حتمية وفجائية مجيء المسيح ثانية، إلا أن الكنيسة بُليت عبر الزمن بمن يحاولون تحديد

موعد مجيء المسيح. فمنذ القرن الأول الميلادي للآن والاجتهادات مستمرة لتحديد موعد المجيء الثاني ولم تتوقف. ففي القرن الأول قال «تيخونيوس» إن المسيح سيأتي سنة ٣٨١م مستندًا على التعبير «زمان وزمانين ونصف زمان» (رؤ ١٢: ١٤). واعتبر أن الزمان قرن أي مئة سنة، يضاف إليها حياة المسيح على الأرض. وقال «هيبوليتس» (سنة ١٧٠- ٢٣٦م) و«لاكتافيوس» (٢٥٠- ٣٣٠م) إن المسيح سيأتي سنة ٥٠٠م. واعتقد كثيرون أن المسيح سيأتي سنة ١٠٠٠م، مستندين على تعبير الألف سنة (رؤ٢٠) وقالوا إنها العصر المسيحي منذ ميلاد المسيح وحتى مجيئه الثاني، وجاء بعدهم من نادوا بأن العصر المسيحي (الألف سنة) بدأت بموت المسيح، لذلك سيأتي سنة ١٠٣٣م. وصديق «مارتن لوثر»، «مايكل ستيفل» علّم أن المسيح سيأتي للدينونة الساعة الثانية صباح يوم ١٦ / ١٠ / ١٥٣٣م وقد حذره «مارتن لوثر» من هذا الادعاء، وقبل الموعد بثلاثة أيام اجتمع مع استيفل عدد كبير من الناس لانتظار الساعة الأخيرة، ولمّا لم يأتِ الرب أُصيب كثيرون بالإحباط والفشل، بالإضافة إلى أنهم كانوا قد فقدوا أعمالهم وأملاكهم. و«إسحق نيوتن» في بحثه حول الجاذبية الأرضية قال إن المسيح سيأتي ثانية سنة ١٧١٥م. و«جوزيف ولف» (سنة ١٧٩٥- ١٨٦٢م) قال في الكونجرس الأميركي إن المسيح مات من أجل خطايانا وقام ثانية، وذهب إلى السماء وسيأتي ثانية - حسب اعتقادي سنة ١٨٤٧م. وفي سنة ١٩٨٤م انتشر في مصر أن شخصًا رأى حلمًا، رأى العذراء مريم في نور بهي وكُتبَت أمامها عبارة ٤٤٤٤ وعلم في الحلم أن المسيح سيأتي يوم ٤/ ٤/ ١٩٨٤ الساعة الرابعة فجرًا. وأحد الوعاظ المشهورين في مصر أكد أن المسيح سيأتي ثانية سنة ١٩٨٨ أو ١٩٨٩م وتهافت الناس على اقتناء أشرطة الكاسيت لموعظته. وفي سيدني في استراليا أعلن أحد الكوريين أن المسيح سيأتي يوم ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٢م على قمة أحد الجبال، فتجمع عدد كبير من تابعيه وهم يلبسون ثيابًا بيضًا.

كل هذه التحديدات مضت ولم يأتِ المسيح ثانية، والكتاب المقدس يؤكد أن مجيء المسيح ثانية حتمي وفجائي، فهو سيحدث حتمًا وسيكون مفاجأة مذهلة للكل (مت٢٤: ٣٦، ٤٢-٤٤، ٢٥: ١٣، مر١٣: ٣١-٣٣، لو ١٢: ٤٠، ١تس ٥: ٢، أع ١: ٩-١١). والمسيح يؤكد ثلاث مرات في سفر الرؤيا «ها أنا آتي سريعًا» فهو آتٍ لا محالة، لكننا لا نعرف موعد مجيئه. فتحديد الأزمنة والأوقات في سلطان الله وحده (أع ١: ٤-٧). إن التاريخ من صنع الله وحده، هو الذي يخطط لمستقبل الحياة، هو الذي أبدأ العالم ويسيره، وضع بدايته ويعلم نقطة الانتهاء. إن التاريخ هو قصة وإخراج الله، هو الذي كتب قصة التاريخ، وهو المخرج الذي يشرف على أحداثه. وليس من حقنا كبشر اقتحام هذا المجال. وبدلاً من أن ننشغل بتحديد موعد نهاية التاريخ ومجيء المسيح ثانية لنقم برسالتنا ونخدم الله بأمانة، ولنعش حياتنا الحاضرة وقلوبنا مشتاقة إلى الأبدية، وعيوننا شاخصة إلى السماء، ونكون في استعداد دائم لمجيء المسيح الحتمي والمفاجئ.

الفصل الثاني: نظريات المجيء الثاني

منذ أن صعد المسيح إلى السماء والمؤمنون ينتظرون مجيئه ثانية، حسب وعوده المتكررة وحسب رسالة السماء للتلاميذ (أع١: ٩-١١). ويُؤكد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن المسيح سيَظْهر ثانية «**هكذا المسيح أيضًا، بعدما قُدِّمَ مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**» (عب ٩: ٢٨). إلا أن تعبير «المجيء الثاني» لم يرد في العهد الجديد، بل جاء دائمًا بلفظ «المجيء» فقط، وأول من استخدم هذا التعبير هو يوستينوس الشهيد في القرن الثاني الميلادي. وبسبب الغموض الذي يكتنف حديث الكتاب المقدس عن المجيء الثاني والأخرويات، ظهرت اتجاهات مختلفة في تفسير أحداث النهاية. وقد اتخذ البعض من العبارات الرمزية الواردة في سفر الرؤيا ولا سيما (رؤ٢٠: ١-٦) وبنوا عقيدة «الألف سنة» أو «الملك الألفي» وحاولوا أن يجدوا لها من عبارات الكتاب المقدس ما يبدو أنه يؤيدها، وقد فسروا النصوص الرؤوية الرمزية تفسيرًا حرفيًا. وحول هذه العبارة «الألف سنة» التي لم ترد إلا في (رؤ٢٠: ١-٦) حدث جدل وانقسام داخل الكنيسة: فهل سيكون مجيء المسيح الثاني بعد الألف سنة؟ أم قبلها؟ وما هي الألف سنة؟ ونتيجة هذا الجدل ظهرت ثلاث نظريات. نشير في عجالة للنظرية الأولى منها لعدم انتشارها، بينما نتناول الثانية والثالثة بالتفصيل.

أولاً: لاحقو الألف سنة Post- Millennialism

تبنى هذه النظرية مجموعة من المؤمنين الأتقياء في القرن السابع عشر، وهم ينادون أن مجيء المسيح الثاني سيكون بعد انتهاء مدة الألف سنة، وهم يرون أن المُلك الألفي ليس حرفيًا، وليس لمدة ألف سنة بالضبط، فالألف سنة فترة غير محددة، إنما هي فترة تنتشر فيها الرسالة بين الأمم، ويعود فيها الأمم من المشارق والمغارب إلى الله، ويعمل الروح القدس من خلال الكنيسة حتى تملأ معرفة الرب كل الأرض ويملك المسيح مُلكًا روحيًا فيه يُقَيَّد الشيطان، ويعم السلام. فالألف سنة في نظرهم تعني وقتًا طويلاً يسوده السلام الروحي، وفيه تضيق مساحة الشر إلى أقصى حد، ويملك المسيح مُلكًا روحيًا على قلوب غالبية البشر بما فيهم اليهود، الذين يعودون للمسيح عودة روحية (رو ١١: ٢٥-٢٧) ويقبلون المسيح لا كأمة يعود لها كيانها المادي بل كأفراد. وفي نهاية الألف سنة يُحَّلُ الشيطان، ويحدث شر وارتداد كبير وضيقة مروعة ثم يأتي المسيح في مجد ويقيم الأموات جميعًا، ثم الدينونة العامة. وقد قال بعضهم إن الألف سنة بدأت في القرن الثامن، وقال آخرون بل بدأت في عصر الإصلاح، بينما قال البعض الأخر إنها لم تبدأ بعد.

لمحة من تاريخ الفكر[٨٠]

ساد اتجاه «لاحقي الألف سنة» أكثر بعد تطور العلم في عصر التنوير والنهضة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وبروز فكرة التقدُّم التي تنادي بتحقيق المجتمع الأمثل للجنس البشري، عن طريق انتشار العقل والعلم، وهذا

الانتشار يقود إلى الألف سنة من الحكم الصالح والقضاء على الشيطان.

وتجسد اتجاه «لاحقي الألف سنة» في تنامي الدور الكرازي للكنيسة، وانتشار ترجمات الكتاب المقدس، وحركة الإرساليات.

وكرد فعل لفكرة التقدُّم من ناحية، وللجمود والشكلية والعقلانية العقيمة التي سادت على كنيسة الدولة اللوثرية بألمانيا في ناحية أخرى، ظهرت حركة التطهريين (Puritans) في ألمانيا مع «فيليب چاكوب» (١٦٣٥- ١٧٠٥م) الذي أكد على (دين القلب). وفي إنجلترا «چون وسلي» (١٧٠٣- ١٧٩١م) قاد نفس الاتجاه ضد العقلانية الجامدة الخالية من الحياة المقدسة، ونادى بفكرة (القداسة الكاملة) وكانا بداية لحركة الميثودست أو الإصلاح (نهضة القداسة). ثم ظهرت بعد ذلك في إنجلترا في القرن الثامن عشر الاهتمامات الإنسانية الإنجيلية مثل إصلاح السجون على يد «چون هوارد» (١٧٢٦- ١٧٩٠م) وإلغاء الرق على يد «وليم ويرفورس» (١٧٥٩- ١٨٣٣م) وقيام مدارس الأحد على يد «روبرت رانكنز» (١٧٣٥- ١٨١١م). وفي أميركا بدأت صحوة ونهضة إنجيلية كبرى أولى في بداية القرن الثامن عشر. وكان من أبرز رجالها «يوناثان إدوارد» (١٧٠٣- ١٧٥٨م) ثم الصحوة الثانية ومن أشهر رجالها «تشارلس فيني» (١٧٩٢- ١٨٧٥م).

عصر التنوير والمذهب العقلاني

برغم قوة الحركة التطهرية والنهضات الإنجيلية الكبرى التي حركت الحياة الروحية في الكنائس، إلا أن كل الكنائس في العالم المسيحي تأثرت بحركة التنوير التي هي استمرار لفكرة التقدم. ولقد أثارت أسئلة مربكة للكنيسة حينئذ، بدأت الأسئلة من العلماء، ثم حوَّلها الفلاسفة إلى أسئلة فلسفية، ثم تحولت إلى أسئلة لاهوتية.

من علماء القرن التاسع عشر «دافيد ستراوس» (١٨٠٨- ١٨٧٤م) والذي أدىٰ تأثير دراساته مع غيره من العلماء الذين قاموا بدراسات نقدية للكتاب المقدس إلى ظهور ما يعرف (بالنقد العالي Higher criticism) في الدراسات الكتابية، وهكذا بدأ الخط الليبرالي المتأثر بالنقد العالي داخل الكنيسة.

نتيجة لتحدي العقلانية والعصرية والاكتشافات العلمية في القرن التاسع عشر والذي استمر في القرن العشرين، وصراع الاتجاه التقوي النهضوي مع الاتجاه الليبرالي التحرري داخليًا من ناحية أخرى، ظهرت داخل الكنيسة ردود أفعال متعددة في شكل توجهات رئيسية مثل:

١- التوجه الليبرالي المتطرف الذي يشكك في صحة النصوص الكتابية، ودور الروح القدس في النص، وفي القضايا الإيمانية المسيحية الكبرى ما لم يجد البراهين العلمية لها. دون إدراك بأن الإيمان لا يتعارض مع العقل والعلم بالضرورة، ولكن يظل التمايز بين الدين والعلم في مجال البحث وأساليبه ونقطة انطلاق كل منهما، التمايز بين المنهج التجريبي في العلم وبين الوحي والإيمان في الدين.

٢- توجه محافظ مستنير لا يرفض العقل والعلم، ولكن يقلبهما كعطية من الله في إطار لاهوتي محافظ متوازن يؤمن أن الله أعلن عن نفسه في الكون والطبيعة (مز١٩: ١-٦)، كما أعلن نفسه في الوحي المقدس بالروح القدس، هذا الإعلان الذي وصل لكماله في شخص الرب يسوع. كما يؤكد هذا الاتجاه على الإعلان المتدرج للوحي المقدس. هذا التوجه ظهر بصورة واضحة في الاتجاه المسمى (لاهوت الأزمة) أو (الأرثوذكسية الجديدة) في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، والأزمات الاقتصادية الناجمة عنهما مثل اللاهوتي الألماني «كارل بارت» (١٨٨٦- ١٩٢٦م). والأميركي «رينولد نيبور» (١٨٩٢- ١٩٧١م) والألماني «ديترش بونهوفر» (١٩٠٦- ١٩٤٥م). ولقد حقق هذا التوجه توازنًا صحيحًا بين تطرف الليبرالية المتطرفة وبين الأصولية الجامدة.

٣- توجه اليهومسيحيون وهو توجه حرفي متطرف يرفض النقد الأعلى للمتحررين ويرفض الإعلان المتدرج للمحافظين المستنيرين، ويعرف أصحاب هذا الاتجاه باسم الإنجيليين Evangelical وهم يختلفون عن الكنائس المصلحة والمشيخية، كما يختلفون فيما بينهم على تفاصيل كثيرة. ويختلف اليهو مسيحيون عن المسيحيين الصهاينة فاليهومسيحيون يؤمنون بعودة المسيح وملكه الألفي الحرفي على الأرض (كما سنرى لاحقًا) لكن دون عنف. بينما تتبنى الحركة الصهيونية مبدأ العنف في تحقيق الخلاص.

ثانيًا: سابقو الألف سنة Pre- Millennialism

أصحاب هذه النظرية يتبنون مدرسة التفسير الحرفي، ويؤمنون بحرفية الألف سنة، أي ألف سنة باليوم والساعة يملك فيها المسيح على الأرض.

ظهرت فكرت المُلك الألفي نتيجة للضغوط الشديدة والعبودية القاسية التي كان يعاني منها الشعب اليهودي تحت نير الاستعمار الروماني، والذي بدأ عام ٣٣٢ ق. م. فبدأوا يفسرون نبوات العهد القديم بما يتناسب ومطالبهم الوقتية المادية، فظهرت مجموعة من الكتب التي ألّفها أشخاص ضالعون في المعرفة، ولكنهم لم يكونوا مسوقين بالروح القدس، مثل: رؤيا عزرا الثاني وأخنوخ ورؤيا باروخ وموسى وغيرها مما كتب في القرن الثاني قبل الميلاد. وضعوا فيها كل تصوراتهم وأحلامهم الجسدية، وهذه الكتابات ما هي إلا نوع من الهروب من الضغوط الشديدة التي كانوا يعيشون تحتها، وهروب من مواجهة الواقع وتحمل المسئولية. فنادوا بملكوت أرضي لإسرائيل فيه كل المتع الأرضية، حيث تكون إسرائيل هي عروس الدنيا التي تأكل وتشرب خيرات الأمم، وباقي الشعوب يلحسون من تحت قدميها. وقد شاعت هذه الأفكار عند اليهود في العصور السابقة لمجيء المسيح مباشرة. فمثلاً في سفر باروخ الثاني ـ وهو كتاب يهودي ظهر في القرن الأول قبل الميلاد ـ نقرأ هذه الكلمات: «ثم يأتي المسيا فيخضع كل ما في العالم، ويجلس على كرسيه، ويبدو الفرح وتظهر الراحة وتأتي وحوش البرية من الأحراش وتخدم الناس ويلعب الرضيع على سرب الصل، ويمد الفطيم يده على جُحر الافعوان فتخرج الأفاعي من جحورها وتقدم له كل ولاء وخضوع تام.. وتخرجُ الأرض ثمرها مضاعفًا آلاف المرات، وسيكون على كل كرمة ألف غصن، وفي كل غصن ألف عنقود، وفي كل عنقود ألف عنبة، وكل عنبة تنتج ألف كر من الخمر فيفرح الجياع بل يرون عجائب كل يوم»[٨١].

كل هذه الأشواق الجسدية لا تتفق وروح المسيحية في شيء، ولكن الضغوط الشديدة أفرزت هذه الأحلام. وهكذا نجد التلاميذ قبل أن يحل عليهم الروح القدس، وهم في حالة عدم فهم، يسألون المسيح: «هل في هذا الوقت ترد المُلك إلى إسرائيل؟» (أع ١: ٦). وجاء شخص آخر للمسيح وقال له: «**أتبعك أينما تمضي**» (لو ٩: ٥٧). فقد كان يظن أنه الملك الأرضي الذي سيجعل إسرائيل سيدة الممالك. وكذلك جاءت أم ابني زبدي وطلبت من المسيح أن يجعل ابنيها واحدًا على يمينه والآخر عن يساره في ملكوته. وعندما صنع المسيح معجزة إشباع الجموع، أراد اليهود أن يختطفوه ليجعلوه ملكًا (يو ٦: ١٥).

ومع بداية العصر المسيحي أخذ بهذه النظرية عدد من المسيحيين من أصل يهودي، وقد حملوا معهم الفكر اليهودي عن المُلك الحرفي للمسيا، كما أن شدة الاضطهاد الذي لاقته الكنيسة في القرون الأولى للمسيحية جعل لهذه النظرية الثقل الكبير في الفكر المسيحي. ولذلك لم تأخذ الكنيسة بهذه النظرية في فترات استقرارها وراحتها. على أن بعض الكنائس أو المذاهب المسيحية عادت إلى دراسة هذه النظرية لما وجدوه في نظرهم من بطء في تقدم الإنجيل وضعف الكرازة المسيحية، وزيادة الارتداد مما جعلهم يعتقدون أن الإنجيل لن يستطيع أن يغزو العالم روحيًا[٨٢]. وقد انقسم سابقو الألف إلى فريقين:

١- سابقو الألف التاريخيون Historic Pre- Millennialism

هم الذين اعتنقوا هذه النظرية في القرون المسيحية الثلاثة الأولى. فقد قبل عدد من آباء الكنيسة التعاليم اليهودية دون فحص ودراسة، ومنهم «بابياس» أسقف هيرابوليس بآسيا الصغرى سنة ١٣٠م. ويقول «يوسابيوس القيصري» أبو التاريخ الكنسي عن «بابياس»: «يبدو أنه كان محدود الإدراك جدًا كما تبيّن من أبحاثه، ومن ضمن أقواله أنه ستكون فترة ألف سنة بعد قيامة الأموات، وأن ملكوت المسيح سوف يؤسس على نفس هذه الأرض بكيفية مادية. وأظن أن «بابياس» وصل إلى هذه الآراء بسبب قصور فهمه للكتابات الرسولية، غير مدرك أن أقوالهم كانت مجازية روحية. وإليه يرجع السبب في أن كثيرين من آباء الكنيسة من بعده اعتنقوا نفس الآراء مستندين في ذلك على أقدمية الزمن الذي عاش فيه، مثل «إيرينيئوس» وغيره ممن نادوا بمثل آرائه». وقد أطلق «يوسابيوس» على فكرة المُلك الألفي الأرضي إنها (خرافة). ويقول الأب متى المسكين: ثم جاء «إيرينيئوس» ونادى بنفس التعليم مستشهدًا بأقوال بابياس، كذلك جاء من بعده «ميليتو» و«هيبوليتوس» و«ترتليان»، مستندين جميعًا كل واحد على مَنْ قبله، مع أن الأساس كله هو كتب الأبوكريفا المضللة[٨٣]. ومن قادة هذه النظرية أيضًا يوستينوس الشهيد و«أوغسطينوس» (رغم أنه رفضها في نهاية حياته).

ترتيب الأحداث

يرتب سابقو الألف التاريخيون، الأحداث قبل المجيء الثاني للمسيح كالتالي:

- الكرازة بالإنجيل لكل الأمم.

• الضيقة العظيمة وهي فترة اضطراب تسود الأرض كلها تكون فيها حروب ومجاعات وزلازل ويموت خلالها ثلثا العالم.

• ظهور (ضد المسيح) إذ يتجسد إبليس في إنسان ملك أو رئيس له سلطان ويتحدى المسيح.

وقد رأى بعض معتنقي هذه النظرية أن الكنيسة تجتاز الضيقة العظيمة (رؤ ٧: ١٤). بينما رأى البعض الآخر أن الكنيسة تُخطف، وأن إسرائيل تجتاز في الضيقة العظيمة حتى يعودوا إلى المسيح كجماعة وبعد توبتهم يبدأ المُلك الألفي. أما البعض الآخر فلم يُركِّز على زمن الضيقة لأنها سوف تنتهي على أي حال. لكن اتفق الجميع من أصحاب هذه النظرية على أن المسيح سيأتي بعد الضيقة العظيمة، وعندما يأتي سوف يقوم الأموات المؤمنون من القبور، في الوقت الذي فيه تتغير أجساد المؤمنين الأحياء إلى أجساد سماوية، والكل سوف يُخطَف لملاقاة المسيح في الهواء، ثم بعد ذلك (بعد الضيقة العظيمة) ينزلون معه إلى الأرض، وعندئذ يقيد إبليس وينتهي (ضد المسيح) على الأرض، وهنا يعود اليهود إلى المسيح ويؤمنون به كالمسيا ويعترفون بخطاياهم، وهذه العودة الجماعية من اليهود إلى المسيح سوف تكون سبب بركة عظمى للعالم، عندئذ يبدأ ملك المسيح على الأرض لمدة ألف سنة. وهذا المُلك يكون حرفيًا مرئيًا، فيه يصبح اليهود والأمم شعبًا واحدًا للرب. وأما الأمم التي سترفض مُلك المسيح عليها، فسوف تُحفظ في القيود وتُحكم بواسطة المسيح. وسوف تكون هذه الحقبة (الألف سنة) هي العصر الذهبي للإنسان سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا، فيسود العدل والسلام كل الأرض، وتتحول الطبيعة الشريرة في كل المخلوقات إلى طبيعة خيِّرة، فيعيش الحمل بجوار الأسد دون خوف، ويضع الطفل يده في جحر الثعبان ولا يُلدغ، وسوف تُخرِج الصحراء خضارًا وزهورًا. وباقتراب نهاية الألف سنة، يُحل الشيطان من قيوده، ويخرج ليُضل الأمم مرة ثانية ويجمع كل الأمم معه للمعركة الأخيرة ضد المسيح، فيجمع معه «جوج» ملك روش ويفسرونها روسيا، و«ماجوج» ملك تركيا والصين وإيران ..إلخ ويقودهم للهجوم على معسكر القديسين «المسيح وشعبه في أورشليم». وتقع المعركة (هرمجدون) ولكن تأتي نار من السماء وتبيدهم، وبعد هزيمة الأمم، يُقتاد إبليس إلى البحيرة المتقدة بالنار (جهنم) ويبقى فيها إلى الأبد، وبعد نهاية الألف سنة يقوم غير المؤمنين من الأموات، ثم تكون الدينونة لكل البشر أمام عرش الله العظيم، وكل مَنْ يوجد اسمه مكتوبًا في سفر الحياة سوف يدخل السماء ويعيش مع الله إلى الأبد، ومن لا توجد أسماؤهم في سفر الحياة سوف يلقون في بحيرة النار والكبريت إلى أبد الآبدين[٨٤].

موقف الكنيسة الأولى من الألف سنة

تصدى أباء الكنيسة العظماء لهذا الفكر، وعلى رأسهم العّلامة «أوريجانوس»، والعلامة «ديونسيوس» سنة ٢٤٨-٢٦٥م ويوسابيوس أسقف قيصرية سنة ٢٧٠م و«باسيليوس الكبير» سنة ٢٢٩- ٢٧٩م و«غريغوريوس الكبير» سنة ٣٢١- ٣٨٩م والقديس «چيروم» سنة ٣٣١-٤٢٠م ثم القديس «أوغسطينوس» سنة ٣٥٤-٤٣٠م في نهاية حياته فند هذه النظرية واعتبرها هرطقة. ويعلق الأب متى المسكين قائلاً:" بهذا يكون القديس أوغسطينوس قد انتشل الإيمان

المسيحي من لوثة الأبوكريفا اليهودية المزيفة، ومن محاولة إسقاط السمو الروحي المسيحي إلى الأرض وخلطه بآمال جسدية، وهذه هي الصفة الأولى والملازمة للعبادة اليهودية المنحرفة.

وما يؤكد أن فكرة المُلك الألفي الحرفي كانت مجرد أوهام وأحلام نتيجة جهل وسطحية بعض أباء الكنيسة في القرنين الثالث والرابع، هو أن أقدم وثيقة دينية والتي تحوي عقيدة وعبادة الكنيسة الأولى والتي تسمى (تعاليم الاثني عشر رسولاً) والتي يرجع تاريخها إلى سنة ١٥٠-١٨٠م لا تحوي كلمة واحدة عن المُلك الألفي الحرفي. وجاء في المادة السادسة عشر من هذه الوثيقة «وعندئذ تظهر علامة الحق أولاً، علامة فتح السماء، ثم صوت البوق، ثم قيامة الموتى، ويأتي المسيح مع جميع القديسين، وهنا يرى كل من في العالم رب المجد آتيًا على السحاب». ولا توجد إشارة إلى حكم المسيح على الأرض لمدة ألف سنة، ولا إشارة إلى قيامة الأموات قبل الأشرار بألف سنة.

وعندما نعود إلى قانون الإيمان الرسولي نجده يقول في صيغة واضحة «وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات». وفي قانون الإيمان النيقوي ـ الذي وُضِعَ سنة ٣٢٥ م ـ والذي يقبله كل المسيحيين في الشرق والغرب، تأتي الصياغة واضحة «ويأتي في مجيئه الثاني ليدين الأحياء والأموات». وقد عقدت الكنيسة مجمعها المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١م وأصدرت حكمًا نهائيًا بلعن البدع التي تفشت في ذلك العصر عامة، وبدعة «المُلك الألفي» الحرفي التي كان يتزعمها «أبوليناريوس» آنذاك، وأضافت إلى قانون الإيمان عبارة «الذي ليس لمُلكه انقضاء» بعد عبارة «وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات». ثم عادت في المجمع المسكوني الثالث في أفسس سنة ٤٣١م وشجبت هذه البدعة واصفة إياها بأنها أوهام وأحلام وأساطير خرافية[٨٥]. وهكذا اختفت هذه العقيدة. إلا أنها ظهرت بصورة ضعيفة في عصر الإصلاح في القرن السادس عشر. ثم بدأت تظهر بقوة وتزدهر في القرن الثامن عشر، وخاصة في الأوساط الشعبية، بل وأصبحت العقيدة الشعبية السائدة أثناء الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٨م واُستُخدمت استخدامًا سياسيًا، وقد فُسرت شخصية «ضد المسيح» بأي شخص يقف ضد الثورة الفرنسية، ومن يرفض الراديكالية (التطرف الثوري) إنما هو «ضد المسيح». وقال أصحاب هذه النظرية ومن أبرزهم «هنري دورماند» و«إدوارد أرفانج» أن الثورة الفرنسية حققت نبوة دانيآل القديمة وكذلك (رؤ١٣: ١١-١٨). وأكدوا بناءً على ذلك رفضهم لحكم روما، وسلطان البابا عليهم سنة ١٧٩٨م إذ اعتبروا البابا هو الوحش المذكور في سفر الرؤيا (٦٦٦) (رؤ ١٣)[٨٦]. ومما ساعد على ازدهار هذه النظرية في القرن التاسع عشر هو تزامنها مع الحركة الصهيونية.

٢- سابقو الألف التدبيريون المُحدثون (اليهومسيحيون) Dispensational Pre- Millennialism

هذا الفريق هو امتداد لسابقه، ووقد برزت جماعة اليهومسيحيين من الاتجاه الحرفي المتطرف ومن أبرز قيادات هذه الجماعة «جون نلسون داربي» (١٨٠٠-١٨٨٢م) ثم «سكوفيلد» (١٨٤٣-١٩٢١م) ومن أهم إنجازاته طبعة الكتاب المقدس المعروفة باسمه وفيها تفسيرات تقدم فكر التدبيريين، **مع النص الكتابي**، مما ساعد كثيرًا على انتشار هذا الفكر. كما أنه أسس مدرسة الكتاب المقدس في فيلادلفيا وعن طريقها انتشر فكر التدبيريين. «ووليم ميلر» (Miller)

مؤسس جماعة «المجيئيين السبتيين» الذي حدد بناء على دراسته للنبوات سنة ١٨٤٣م موعدًا لنهاية العالم ومجيء المسيح الثاني. والقاضي روثرفورد «Rutherford» الذي كتب كتاب (عزاء لليهود) وهو الذي جاء بعد «تشارلز رسل» مؤسس جماعة «شهود يهوه».

يتفق التدبيرون مع التاريخيين في أن المسيح سيحكم الأرض بصورة حرفية لألف سنة بعد مجيئه الثاني، لكنهم اختلفوا معهم في أن التدبيريين فصلوا فصلاً تامًا بين إسرائيل والكنيسة. وعلاقة الله (يهوه) بشعبه القديم (اليهود) من ناحية وعلاقة المسيح بالكنيسة من ناحية أُخرى، وكذلك الأرض الجديدة والسماء الجديدة.

ويرى التدبيرون المسيحية كفرقة من الفرق اليهودية – وإن لم يعلنوا ذلك – ولذلك يخلطون بين ما هو يهودي وما هو مسيحي، وبين الدين والأحداث السياسية. وقد ارتبطت حركتهم بمدينة «بليموث» في إنجلترا. ويؤمن بهذه النظرية الآن الأخوة البليموث وشهود يهوه والادفنتست (السبتيون) وبعض الهيئات الغربية التي لها توجهات صهيونية والتي تدعم هذا الفكر في وسائل الإعلام في أميركا ومعظم الدول الغربية، مما أدى إلى سرعة انتشار هذه الأفكار التي تشوش عقول البسطاء في الإيمان. ويرجع أيضًا السبب في انتشار هذا الفكر إلى أنه يُشبِعُ الفضول البشري إذ يربط الأحداث الجارية والمتوقعة مستقبلاً بالكتاب المقدس. إلا أن هذا يؤدي إلى زعزعة الثقة في الكتاب المقدس، إذ يؤكد أصحاب هذه النظرية أحداثًا ثم لا تتحقق، وسنشير لاحقًا إلى أمثلة لذلك.

التسلسل الفكري للتدبيريين

١- يقسمون تاريخ العالم على ضوء تفسيرهم لسفر الرؤيا إلى ثلاثة أقسام: الأول «ما رأيت» (رؤ ١: ١٠-١٣) والثاني «ما هو كائن» وهو تاريخ الكنيسة على الأرض (رؤ ٢-٣) والثالث «ما هو عتيد أن يكون» (رؤ ٤-٢٢) ويبدأ بعد نهاية الكنيسة حتى المجيء الثاني والنهاية. ويعتبر الاختطاف هو الخط الفاصل بين رؤ٣، رؤ٤.

القسم الثاني «ما هو كائن» (رؤ ٣-٤) يسمونه (عصر الإنجيل والكنيسة) ويشمل حقبة التاريخ المسيحي من تأسيس الكنيسة بالكرازة بالإنجيل يوم الخمسين إلى اختطافها عند مجيء المسيح السري لأخذها إليه إلى السماء، ونهاية هذا العصر أصبحت قريبة. وهو (التدبير المسيحي) وكان مرموزًا إليه باليوم الرابع في الخلق أي يوم الشمس والقمر والنجوم في جلد السماء، رمز دور المسيح والكنيسة إجمالاً والمسيحيين أفرادًا كأنوار سماوية. فالمسيح في تدبيرنا الحاضر ظاهر كالشمس (رؤ ١: ١٦، يو ١: ٩، ٩: ٥) بالروح القدس وهو ينير للناس في كلمة نعمته، والكنيسة في مركزها بالنسبة للمسيح كالقمر في مركزه بالنسبة للشمس نراها مسئولة أن تكون صورة المسيح ورسالته للعالم (٢كو ٣: ٢-٣). وبمجيء العريس ودخول المؤمنين إلى موطنهم السماوي، بمجيء المسيح وأخذه إياهم وضيائهم معه بالبهاء في دوائر المجد الأسنى، كضياء الكواكب في جلد السماء، ينتهي دور اليوم الرابع، دور التدبير المسيحي الحالي (يو ١٤: ١-٣، ١تس ٤: ١٦-١٧). ويقولون إن تاريخ الكنيسة على الأرض مرسوم تخطيطًا في الرسائل السبع الموجهة

للكنائس السبع في سفر الرؤيا (رؤ ٢ -٣). فهذه الكنائس السبع المذكورة بأسمائها في هذين الأصحاحين، تمثل بصفاتها سبع أحقاب تاريخية مرت فيها الكنيسة حتى الآن.

• كنيسة أفسس (رؤ ٢: ١-٧) معناها النبوي (المحبوبة أو المشتهاه). ومدتها العصر الرسولي (سنة ٣٣-١٠٠م) وبدأت هذه الفترة بنشر نور الحق المسيحي في ربوع العالم المظلمة من عهد الرسل إلى نهاية أيام الشيوخ المتقدمين الذين عاصروهم. مثل «اكليمندس» و«أغناطيوس» و«بوليكاربوس» و«إيرينيوس» أول بطاركة الإسكندرية بعد مرقس البشير.

• كنيسة سميرنا (رؤ ٢: ٨-١١) معناها النبوي (المُرة). ومدتها عصر الاضطهاد (١٠٠- ٣١٣م) وكانت الكنيسة في ذلك الوقت واقعة تحت الاضطهادات المتنوعة، والرب يشجعها على تَحمُّل الاضطهاد لأنه الواسطة لإظهار كل شيء على حقيقته والوسيلة لتقريب النفس إلى الرب الذي يحثهم أن يكونوا أمناء إلى الرب فسيعطيهم إكليل الحياة.

• كنيسة برغامس (رؤ ٢: ١٢- ١٧) ومعناها النبوي (زواج بالإكراه). ومدتها عصر الاختلاط بالحكومات (٣١٣- ٥٩٠م) ويتميز عصر هذه الكنيسة بدخول قسطنطين الكبير إلى المسيحية واتخاذه إشارة الصليب شعارًا له في حروبه، وقد أصدر أمرًا يقال له (عهد الكنيسة) نصه: «نحن نأذن للمسيحيين ولغيرهم جميعًا في ملء الحرية أن يختاروا كل ما يشاء من الأديان». وفيما بعد صارت المسيحية الدين الرسمي للدولة وأغدق عليها الهبات والأراضي والأوقاف، فدخلها روح العالم والغرور والانتفاخ. وقال أحدهم: إن قسطنطين وجد الكنيسة لابسة ثيابًا بالية ومسوحًا، وتركها لابسة إرجوانًا وذهبًا. وتميز عصر هذه الكنيسة أيضًا بكثرة البدع والهرطقات وعقد المجامع وسن القوانين المدنية.

• كنيسة ثياتيرا (رؤ ٢: ١٨-٢٩) ومعناها النبوي (مسرح تمثيل أو تياترو). ومدتها عصر البابوية (سنة ٥٩٠- مجيء الرب). وإن كان الرب يذكر لهذه الكنيسة أعمالاً حسنة من محبة وخدمة وإيمان وصبر لدرجة أنه يذكر لها أعمالها الأخيرة أكثر من الأولى، إلا أنه يذكرها أيضًا بالشر العظيم الموجود فيها المُعبر عنه بإيزابل. يمتاز عصر هذه الكنيسة بترعرع البابوية وسيادتها العالمية. ومن الاستعراض التاريخي لهذه الفترة كانت حروب بعيدة عن روح المسيحية الصحيحة. ويرى حليم أرسناوي أنه ليس عسيرًا أن توفق بين إيزابل في هذه الرسالة وبين البابوية كما وبين نهاية الاثنين نهاية مريعة (قارن ٢مل ٩: ٣٠-٣٧، رؤ ١٧-١٨).

• كنيسة ساردس (رؤ ٣: ١-٦) ومعناها النبوي (بقية حياة) ومدتها عصر الإصلاح (سنة ١٥١٧- مجيء الرب). ولم يسبق لوم للكنائس السابقة مثل اللوم الواقع على هذه الكنيسة، لا من جهة التعاليم ولكن من جهة الأعمال، لأنه يقول «لم أجد أعمالك كاملة». فلم يذكر لهذه الكنيسة شيئًا حسنًا بالمرة، كان لها اسم أنها حية، وهذا عند الناس، ولكنها عند الله كانت ميتة، ولكن عندها بعض الشيء الباقي وهو عتيد أن يموت أيضًا. هذه الكنيسة تمثل البروتستانتية في عصر الإصلاح الإنجيلي في أوائل القرن الخامس عشر.

• كنيسة فيلادلفيا (رؤ ٣: ٧-١٣) ومعناها النبوي (المحبة الأخوية). ومدتها هي عصر النهضات الروحية (١٨٥٠ – مجيء الرب). ويرى البعض منهم أنها تمثل ظهور كنيسة الأخوة. وتمثل حالة الأمانة الشخصية للرب على الأرض، ولا نرى أي شيء من اللوم منسوبًا لهذه الكنيسة. والرب يُظهِرُ ذاته لها باعتباره القدوس الحق ويمدحها لأمانتها. أما حفظ هذه الكنيسة من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله بعد اختطاف الكنيسة فهو جوهر الوعد المطمئن للأمناء الساهرين المنتظرين سيدهم متى يأتي من العرس، والقائلين في كل حين «نعم آمين تعال أيها الرب يسوع». فيجيب قائلاً: «هانذا آتي سريعًا، تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك».

• كنيسة لاودوكية (رؤ ٣: ١٤-٢٢) ومعناها النبوي (القضاء على الشعب). ومدتها عصر الفتور والرخاوة ويستمر إلى مجيء الرب. ويصورها الرب في كبرياء الغنى والاكتفاء بالذات المقترنة بعدم الاهتمام بشخص الرب، بينما هي في حقيقتها كانت شقية وبائسة وفقيرة وعمياء وعريانة. وهي تمثل حالة انتشار وطغيان المبادئ العقلية والآراء العلمية الزائفة والمناقضة لحق الله في هذه الأيام[٨٧].

ونحن نؤكد خطأ وعدم منطقية ومعقولية هذا التفسير لأسباب:

(أ) كيف نضع كل تاريخ الكنيسة على مدي ألفي عام حتى الآن في أصحاحين فقط من سفر الرؤيا (رؤ ٣-٤) وباقي السفر حديث عن المستقبل؟! فسفر الرؤيا يتكلم لمعاصريه وللمستقبل القريب والبعيد، فالسفر ليس مكتوبًا لجماعة دون الأخرى أو لعصر دون الآخر. وهو ينقسم إلى سبعة أقسام تمتد ما بين المجيء الأول والثاني للمسيح ثم الأبدية، وتسير متوازية معًا وليست حقبًا تاريخية متوالية.

(ب) من يدرس تاريخ الكنيسة يعرف أنه كانت هناك كنائس أخرى في آسيا أيام يوحنا، مثل كنيسة كولوسي (كو ١: ٢) وهيرابوليس (كو ٤: ١٢) وترواس (٢كو ٢: ١٢، أع ٢٠: ٥) وميليتس (أع ٢٠: ١٧). ومن رسائل أغناطيوس أسقف أنطاكية نعلم أنه كانت هناك كنائس في مغنيسيا وترلاس. لكن يوحنا كتب لهذه الكنائس السبع بالذات لأنه كان يعرفها وخدم فيها مدة طويلة أكثر من غيرها، وتأثيره عليها أعظم من غيرها، ولأنه يعرفهم ويعرفونه ويحبهم ويحبونه. ولأن هذه المدن كانت مراكز لسبع مناطق بريدية وكانت كلها على طريق دائرة حول المقاطعة كلها، فعندما تصل إليها سيوصلونها إلى الكنائس الأخرى. وترتيب هذه الكنائس بهذا التسلسل لم يكن يقُصد به تقسيم تاريخ الكنيسة إلى عصور بل كان ترتيبًا جغرافيًا يمكن أن يسلكه أي زائر لتلك المنطقة، فأفسس كانت عاصمة آسيا وأقرب مدينة إلى جزيرة بطمس التي كان يوحنا فيها، لذلك كتب لها أول رسالة. وسميرنا كانت شمال أفسس على الساحل تقريبًا وهي أزمير حاليًا. وبرغامس شمال سميرنا، وثياتيرا في الشمال الشرقي لسميرنا، ثم ساردس جنوب ثياتيرا، وفيلادلفيا إلى الشرق قليلاً[٨٨].

(جـ) حيث أن العدد ٧ هو عدد الكمال، فالكنائس السبع تمثل الكنيسة في كل عصر وكل مكان. فكل كنيسة منها لا تمثل حقبة زمنية معينة بل السبع كنائس تصور حالات متكررة بصفة مستمرة من حياة الكنيسة: ففي كل عصر وجيل

وفي كل بلد نجد الكنيسة الناهضة الكارزة، ونجد أيضًا الكنيسة الفاترة الضعيفة. وتجد الكنيسة التي تعيش في بيئة مشجعة ومؤيدة لها والكنيسة التي تعيش في بيئة قاسية ومتعبة ومضطهدة لها. فيوحنا كتب إلى الكنائس السبع التي كانت له علاقة بها، ولكن في كل رسالة نجد كلمات تعزية وتشجيع لنا نحن اليوم، وللكنيسة عبر الزمن. ونجد وصفًا لمشاكل تحدث مرارًا وتكرارًا في تاريخ الكنيسة، ونحن نحتاج أن نتحذر منها. فيوحنا إذن كتب الرسالة الواحدة إلى كل الكنائس في كل جيل وعصر.

(د) يقول التدبيرون إن كنيسة أفسس هي كنيسة القرن الأول، التي يصفها يوحنا بأنها تركت محبتها الأولى للرب، في حين يؤكد التاريخ أن الكنيسة في القرن الأول كانت قوية، ومحبتها للرب كانت تزداد وبقوة الروح القدس كانت تنمو وتتكاثر وتمتد. كما يقولون إن كنيسة ساردس هي كنيسة عصر الإصلاح بما حدث فيه من نهضة وإصلاح ديني، رغم أن كنيسة ساردس كانت كنيسة ميتة، وبذلك لن تشير إلى عصر الإصلاح. ثم يقولون إن كنيسة لاودوكية الفاترة هي كنيسة الأيام الأخيرة. ونحن نتساءل هل من المنطقي أن نطلق على كنائس ناهضة مثل كوريا وإندونيسيا والصين، وعلى كنائس تتعبد بأمانة في السر مثل إيران والسعودية وغيرها، أنها كنيسة لاودوكية. وماذا عن الحملات التبشيرية الضخمة والفضائيات التي تصل برسالة الإنجيل إلى كل بقعة في العالم وبكل اللغات، هل يمكن أن نقول إنها كنيسة لاودوكية؟!

لكل هذه الأسباب نبين أن التدبيرين جانبهم الصواب في تفسيرهم للكنائس السبع. فالرسائل كانت موجهة لتلك الكنائس لتشجيعها وهي تواجه اضطهاد الإمبراطور الروماني الطاغية دومتيان الذي جعل نفسه إلها، وأمر الناس بعبادته، فرفض المسيحيون الأمناء عبادته وتمسكوا بعبادتهم وولائهم للمسيح الرب. فكتب يوحنا هذه الرسائل ليعلن لهم أن المسيح الجالس على العرش والماشي وسط المناير هو الممسك بناصية الأمور، وأنهم به ينتصرون في صراعهم مع إبليس. ونفس الرسائل السبع توجه لنا اليوم لتشجعنا على الثبات في الإيمان ومحبتنا للرب.

٢- بنفس الطريقة نظروا إلى نبوات سفر دانيآل، ولم يتوقفوا أما طبيعة السفر الرؤوية من ناحية، وأمام خلفيات أحداثه التاريخية من ناحية أُخرى[٨٩]. فخلطوا بين الأحداث السياسية المعاصرة وبين سفر دانيآل. إلا أن هدف السفر لم يكن الحديث عن المستقبل البعيد (عصرنا الحاضر)، لكن إعلان أن مصير الشعوب والأفراد هو في يد الله وحده وليس في يد الناس أو الحكام، فهو وحده الذي ينصبُ ملكًا ويعزل آخر. ولذلك فالوحوش الأربعة في (دانيآل ٧) هي أربع ممالك تبدأ ببابل التي عاش فيها دانيآل مع الشعب المسبي، ثم مملكة مادي وفارس، ثم مملكة اليونان التي انقسمت إلى أربعة أقسام بعد موت الإسكندر الأكبر، منها ملك الجنوب في مصر ويحكمها البطالمة، ثم سوريا ويحكمها السلوقيون، وقامت الحروب بين الاثنين إلى أن ظهر أنتيوخس أبيفانس الذي توجه إلى فلسطين وقام برجسة الخراب في الهيكل، وباضطهادات عنيفة لليهود استمرت (زمانًا وزمانين ونصف زمان) أي ثلاث سنوات ونصف (دا ١٢: ٧) وبعدد الأيام (دا ١٢: ١١-١٢). وفي النهاية في أيام المملكة الرابعة التي هي مملكة الرومان، قامت مملكة المسيح الخامسة التي

بدأت بمجيئه الأول في الجسد على الأرض. وهكذا فإن سفر دانيآل لم يكن يتحدث عن مستقبل أيام المسيح ومجيئه الثاني بقدر حديثه عن أحداث تاريخية معاصرة يمر بها الشعب حتى يأتي المسيح الذي يحقق ملكوت الله في الكنيسة. فمن المؤسف أن التدبيرين خلطوا بين حوادث سفر دانيآل وبين عصر الإنجيل والرسل، وقالوا إن سوريا هي روما إلى غير ذلك من التأويلات التي لا يحتملها النص الكتابي. وسنتوسع في دراسة هذه النصوص لدى دراستنا للنبوات في سفر دانيآل.

٣- قسَّم التدبيرون المحدثون تاريخ العالم إلى سبعة عهود أو تدبيرات، ولذلك عُرفوا بالتدبيرين. ويشتق التدبيرون اسمهم من كلمة (تدبير οικονομια أويكونوميا) وتعني أيضًا وكالة. وهي مأخوذة من قول بولس «تدبير ملء الأزمنة» (أف ١: ١٠). وفي تفسير كلمة الله يستشهدون بالقول: «مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة» (٢تي ٢: ١٥). لتعني فهم وشرح الكتاب المقدس بتقسيمه إلى أجزاء تتناسب والتدبيرات المختلفة التي يقصد بها أساليب تعامل الله مع البشر مما يرتبط بالزمن كما يرتبط أيضًا بالأشخاص. ويرى التدبيرون أن الله تعامل ويتعامل مع البشر من منطلق تدبيرات سبعة. والتدبيرات لها جانب زمني ولها جانب موضوعي (عصور مختلفة وتعاملات مختلفة).

- حالة البراءة «عهد الأعمال» من خلق آدم إلى السقوط.
- عهد «حكم» الضمير على أساس معرفة الخير والشر. من السقوط إلى الطوفان.
- عهد «السلطة الحكومية الحكومات». من الطوفان إلى جبل سيناء.
- عهد الناموس «الشريعة» من سيناء إلى يوم الخمسين.
- عهد النعمة من يوم الخمسين إلى المجيء الثاني.
- عهد المُلك الألفي «السعيد».
- عهد الأبدية.

ويُلاحظ أن التدبيريين يعتبرون تعامل الله مع الإنسان فشل في كل التدبيرات بما فيها المُلك الألفي الذى تعقبه دينونة الأحياء الأشرار[٩٠]. ويبني التدبيريون رأيهم هذا على سفر الرؤيا، في الرسائل السبع، ورؤى الأختام السبع والأبواق السبع والجامات (الكؤوس) السبع، ويرون فيها تسلسلاً تاريخيًا يشير إلى العهود والتدبيرات. لكن هذه الرؤى، بالإضافة إلى الصور الأخرى تتشابه وتتوازى معًا، لأن السبعة أختام والأبواق والجامات مع الرسائل والأجزاء الأخرى تقدم في كل مرة نفس الرسالة التي ترفع نظرنا من الأرض والظروف إلى السماء وإلى يسوع صاحب السلطان الجالس على العرش. ولكن في كل مرة بصورة أو بشكل أو بأسلوب مختلف. فسفر الرؤيا يهتم بالحقيقة خلف الرمز لذلك يقول: **«إعلان يسوع المسيح، الذي أعطاه الله، ليُري عبيده ما لابد أن يكون عن قريب، وبيَّنه مُرسِلاً بيد ملاكه لعبده يوحنا»** (رؤ ١: ١). فالمهم ليس الشكل الخارجي أو الأسلوب بل المعنى العميق والرسالة[٩١].

٤- أسابيـع دانيـآل

(دا ٩: ٢-٢٤) ليست سبعين سنة كالتي انقضت على الشعب في السبي، بل سبعون سبع سنين، لا سبعون سنة مرة واحدة، كالتي انتهت، بل سبعون سنة سبع مرات أو بعبارة أُخرى لا ٧٠×١ بل ٧٠×٧ أو ٧ ×٧٠ فالأسبوع هو سبع سنين. ويقولون إن الملاك بيّن لدانيآل أن السبعين أسبوعًا التي تمر على شعب دانيآل، تمر عليهم حال كونهم محسوبين شعب الله، وعلى مدينتهم حال كونها محسوبة أنها مدينة الله المقدسة (أورشليم)، هذه الأسابيع تنقسم إلى ثلاث مُدد: المدة الأولى: سبعة أسابيع، ٤٩ سنة تجددت فيها أورشليم وبنيت، وبني فيها سوق وخليج (نح ٤: ٨-٢٣، ٦: ١٥). والمدة الثانية: ٦٢ أسبوع = ٤٣٤ سنة تنتهي بمجيء المسيح. إذ يقول: «**وبعد اثنين وستين أسبوعًا يُقطع المسيح وليس له..**» (**دا ٩: ٢٦**) **يُقطع أي يموت** (قارن إش ٥٣: ٨). و«ليس له» أي ليس له المُلك. لأنه دخل أورشليم متواضعًا (يو ١٢: ١٥). وكانت النتيجة أن مملكته رفضته بغضًا في البر والتواضع وحبًا في الشر والعظمة (يو ١٩: ١٥-١٦). لذلك رفضهم المسيح كمملكته (يو ١٨: ٣٦) وبعد قيامته تركهم أيضًا غاضًا الطرف عنهم وعاد إلى أبيه وجلس في عرشه (مز ١١٠)[٩٢]. ويقول د. زكريا استاورو: بالرجوع إلى أسابيع دانيآل (دا ٩: ١٤-٢٧) نجد أن هناك أسبوع سنين تبقى إلى المستقبل يتعامل فيه الله مع شعبه الأرضي القديم، ويسميه أسبوع الضيقة بعد اختطاف الكنيسة[٩٣]. فهم يرون أن التسعة وستين أسبوعًا انتهت بصلب المسيح، حيث توقفت عقارب الساعة، إلى اختطاف الكنيسة. أي أن عصر الكنيسة عصر اعتراضي، وبعد اختطاف الكنيسة تبدأ عقارب الساعة تتحرك من جديد في الأسبوع السبعين، فنحن نعيش في الفاصل الزمني بين الأسبوع التاسع والستين والأسبوع السبعين. وهم يشبهون خطة الله لشعبه القديم (اليهود) بالقطار البطيء الذي كان يسير، إلا أنه توقف ليُفسح الطريق للقطار السريع الذي بدأ بمجيء المسيح الأول وعصر الكنيسة، وسيتوقف القطار السريع باختطاف الكنيسة ليعاود القطار البطيء سيره من حيث قد توقف، من جديد.

إلا أن هذا التفسير التدبيري لسفر دانيآل، تفسير حرفي يوقعنا في مشاكل عدة، فالأرقام في الكتاب المقدس ولا سيما الكتابات الرؤوية، لا تؤخذ بحرفيتها، وإليك بعض الأمثلة:

(أ) بناء الهيكل: «**وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر، في السنة الرابعة لمُلك سليمان على إسرائيل، في شهر زيو وهو الشهر الثاني، أنه بنى البيت للرب**» (١مل ٦: ١). بينما يقدم سفر الأعمال حسابًا آخر: «**نحو مدة أربعين سنة، احتمل عوائدهم في البرية... وبعد ذلك في نحو أربعمئة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي. ومن ثم طلبوا ملكًا، فأعطاهم الله شاول بن قيس، رجلاً من سبط بنيامين، أربعين سنة. ثم عزله وأقام لهم داود ملكًا..**» (أع ١٣: ١٨-٢٢). فبحسب بيان سفر الملوك بني الهيكل سنة ٤٨٠ بعد الخروج، وبحسب بيان سفر الأعمال مضت ٥٣٠ سنة ولم يكن قد جاء داود ولا سليمان.

(ب) مدة السبي: بحسب (إر ٢٥: ١٢، ٢٩: ١٠، زك ١ : ١٢، ٧: ٥) هي٧٠ سنة. لكن بحسب (حز ٤: ٦) أربعين سنة. والتاريخ يقول إن السبي وقع سنة ٥٨٦ ق. م والعودة كانت سنة ٥٣٦ ق. م أي أن مدة السبي ٥٠ سنة. فهي

ليست ٧٠ سنة ولا ٤٠ سنة ، وحتى المرحلة الأخيرة أيام نحميا لم تكمل الـ ٧٠ سنة. فهذه الأرقام تصويرية وليست حرفية، وربما الـ ٧٠ سنة أو الـ ٤٠ سنة تعبر عن الجيل الذي يأتي وينتهي. فالكتاب المقدس ليس هدفه الأرقام في ذاتها لكن المغزى من وراء الأرقام[٩٤].

(جـ) يتحدث سفر الرؤيا (رؤ ٧) عن عدد (١٤٤٠٠٠) يراهم التدبيرون أنهم الذين سيؤمنون من اليهود في زمن الضيقة العظيمة بعد اختطاف الكنيسة. بينما يقول شهود يهوه أنهم هم شهود يهوه الحقيقيون وعندما يكتمل عددهم يأتي المسيح. بينما التفسير الروحي المنطقي لهذا العدد هو أن العدد ١٤٤ هو حاصل ضرب ١٢ (المؤمنون من زمن العهد القديم من الأسباط الاثني عشر) × ١٢ (المؤمنون من زمن العهد الجديد) × ١٠٠٠ (رمز الكثرة العددية أو أكبر عدد كان معروفًا حتى زمن يوحنا) = ١٤٤٠٠٠ وهو عدد رمزي يمثل كل الكنيسة في زمن العهدين القديم والجديد.

نعود الآن وفي عجالة إلى أسابيع (دا ٩) فدانيآل في بداية الأصحاح كان يصلي ويقدم التوبة بالنيابة عن شعبه، وكانت تشغل فكره السبعون سنة التي تنبأ عنها إرميا. وفي نهاية الأصحاح فسّر الله الأمر لدانيآل، أن سبعين أسبوع سنين = ٤٩٠ سنة فيها يكتمل خلاص شعبه. والحقيقة أن السبعين أسبوع تنتهي بنهاية خدمة الرب يسوع على الأرض، وبنهايتها تتم ست نتائج هي: «تكميل المعصية» أي إنهاء المعصية. و«تتميم الخطايا» أي إنهاء الخطايا و «كفارة الإثم». والثلاث نتائج تسير معًا وقد تحققت بموت المسيح الذي أبطل الخطية وكفر عن الإثم. والنتيجة الرابعة هي «يؤتى بالبر الأبدي» أي أن نصير نحن بر الله في المسيح (٢كو ٥: ٢١). والخامسة «ختم الرؤيا» وهو ختم النبوة وقد اكتملت في المسيح الذي هو هدف وموضوع النبوات وقمة ونهاية الإعلان الإلهي (عب ١: ١-٣). والنتيجة السادسة «لمسح قدوس القديسين» وهي تحققت أيضًا في المسيح (أع ١٠: ٣٨). فالسبعين أسبوع انتهت بموت المسيح، فلا يوجد مبرر للقول أننا وصلنا للأسبوع التاسع والستين وباقي الأسبوع السبعين ونحن نعيش في مرحلة انتقالية. وكما أنه لا يوجد فاصل زمني بين السبعة أسابيع الأولى والاثنين والستين أسبوع هكذا لا يوجد فاصل زمني بين الأسبوع التاسع والستين والأسبوع السبعين. واستخدام الرقم سبعة أو سبعين له دلالة على أنها وحدة متكاملة وليس الهدف حساب زمني. هذا ونذكرك عزيزي القارئ أننا سنتوسع في دراسة هذا النص في دراستنا لنبوات دانيآل.

٥- تسلسل الحوادث

(أ) أحداث هامة تدل على قرب النهاية

العلامة الأولى هي: عودة الإمبراطورية الرومانية للحياة. والعلامة الثانية هي: شجرة التين (مت ٢٤: ٣٢-٣٣) ويقولون إن شجرة التين ترمز إلى أمة إسرائيل، والمقصود بإفراخها هو انتعاش ونهضة هذا الشعب، ويشيرون إلى عودة اليهود واستيطانهم في فلسطين، وسعيهم الدؤوب لجعل أورشليم القدس عاصمة لإسرائيل، لكي يتم جميع ما هو مكتوب عنها في النبوات. ويلاحظ أن الرب يذكر إخراج الأوراق وليس إخراج الثمار. وهذا يشير إلى أن اليهود في رجوعهم السياسي اللاديني في هذه المرة، سيكون في عدم إيمان بشخصه كمخلص، ويبنون الهيكل بهذه الروح

ويمارسون طقوسهم الناموسية معتمدين على برهم الذاتي، ولكن بعد اختطاف الكنيسة، سيبدأ الله بعمله فيهم للحياة الجديدة والعبادة القلبية. والعلامة الثالثة: هي حالة كنيسة لاودكية أي روح الاكتفاء بالذات والتعظم والانتفاخ الديني الذي نهايته الرفض من الرب، وهو المظهر الأخير للمعترفين كذبًا بأنهم الكنيسة على الأرض[٩٥].

(ب) الاختطاف

إذ سيأتي الرب على السحب في الهواء (١تس ٤: ١٥-١٧) ليخطف المؤمنين الحقيقيين المرموز إليهم بالعذارى الحكيمات (مت ٢٥: ١-١٣). وسيكون الاختطاف (سرًا) غير مسموع وغير منظور من العالم، حتى من المسيحيين بالاسم المرموز إليهم بالعذارى الجاهلات. أو بعبارة أخرى لا يرى غير المؤمنين المسيح في نزوله ولا المؤمنين في صعودهم، لكنهم سيعلمون بما حصل من غياب المؤمنين المفاجئ، ومما سيصيب مرافق الحياة من خلل وارتباك وشل حركة مرافق الحياة التي يديرها المؤمنون، وفجأة تركوها بلا سابق إنذار. وقبل الاختطاف يقوم المؤمنون الراقدون ويلبسون أجسادًا روحانية خالدة، ويسمي التدبيريون هذه القيامة (القيامة الأولى) وهي خاصة بالمؤمنين فقط، ثم يجتمع كل المؤمنين سواء الراقدين أو الأحياء مع المسيح في الهواء، ويدخلون إلى عشاء عرس الحمل. وتظهر الكنيسة ممثلة في الأربعة وعشرين شيخًا الجالسين على العروش بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب ومع كل واحد قيثارات وهم يترنمون (رؤ ٤: ٤، ٥: ٩).

(جـ) أسبوع الضيقة

يقول د. زكريا استاور: بالرجوع إلى أسابيع دانيآل (دا ٩: ٢٤-٢٧) نجد أن هناك أسبوع سنين تبقى إلى المستقبل يتعامل الرب فيه مع شعبه الأرضي القديم، ويذكر الوحي تعبير (وسط الأسبوع) (دا ٩: ٢٧). فالنصف الأول من هذا الأسبوع أُطلق عليه اسم «مبتدأ الأوجاع» (مت ٢٤: ٧-٨). والنصف الثاني أسماه «الضيقة العظيمة» (مت ٢٤: ٢١) وكل نصف أسبوع مذكور بالسنين زمان وزمانين ونصف زمان (رؤ ١٢: ١٤) وبالشهور ٤٢ شهرًا (رؤ ١٣: ٥، ١١: ٢) وبالأيام (١٢٦٠ يومًا) (رؤ ١٢: ٦، ١١: ٣)[٩٦].

وفي أسبوع الضيقة لا تكون الكنيسة على الأرض لأنها تكون قد اُختطفت وسيؤمن المختارون من أسباط إسرائيل الاثنى عشر بيسوع أنه المسيح، وهذا بعمل روح الله فيهم للتوبة إليه والإيمان به،كما حصل مع اخوتهم يوم الخمسين (أع ٢: ٣٧-٤١). ولكن من أول أسبوع الضيقة سينضم للرب (١٤٤٠٠٠) أي (١٢٠٠٠) من كل سبط. وهذا عدد رمزي معناه خلاص جميع المختارين من بني إسرائيل، وهذا هو معنى «سيخلص جميع إسرائيل» (رو ١١: ٢٥-٢٦). والقديسون الذين سيمرون في الضيقة هم أولاً: مختارو إسرائيل من كل الأسباط للمُلك على الأرض (رؤ ٧: ٢-٤) والمختارون للمُلك الألفي من الأمم، وهم الذين سيعولون إسرائيل في زمان هروبه من الوحش (رؤ ٧: ٩-١٤)، هؤلاء الذين سيعانون أهوال الاضطهادات والضيقات بسبب تمسكهم بالله بعد اختطاف الكنيسة في حين يكونون محفوظين من ضربات الله التي سيصبها على الأحياء الأشرار لإبادتهم عن وجه الأرض. ففي أسبوع سنين الضيقة تنزل الويلات

على الأرض سبعة ختوم (رؤ ٦: ١-٨: ٥) وسبعة أبواق (رؤ ٨: ٦-١١: ١٩) وسبعة جامات (رؤ ١٦). القسم الأول من الضيقة (مبتدأ الأوجاع) يطابق فتح الختوم والأبواق الأول إلى الرابع. والقسم الثاني (الضيقة العظيمة) يطابق الأبواق الخامس إلى السابع حيث الجامات السبعة. في هذه الفترة تعم أوربا الغربية الفوضى والفساد الأدبي وشلل الحركات التجارية واحتراق وتلاشي البشر في الإمبراطورية الرومانية. ثم حدوث رجسة الخراب، وطرح الشيطان في الأرض وخروج جنوده من الهاوية ليضربوا الناس ، وتسلُّط الثالوث النجس إبليس والوحش (وهو إمبراطور غربي مركزه روما) والنبي الكذاب (وهو أثيم يهودي مركزه أورشليم) على العالم بقسوة، ثم في نهاية هذه الفترة يُكرز ببشارة الملكوت في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى. والعجيب أن كل هذه الدينونات المروعة لا تقود الناس إلى التوبة بل بالعكس[٩٧].

(د) كرسي المسيح

حيث يقف المؤمنون للمكافآت والأكاليل (رو ١٠: ١٠، ٢كو ٥: ١٠، ١كو ٣: ١٤-١٥، مت ٢٥: ١٩-٢١، ٢٤: ٤٥-٤٧، لو١٢: ٤٢-٤٤، ١كو ٩: ٢٥، ١٥: ٥٨، ٢تي ٤: ٧-٨).

(هـ) عرس الخروف

بعد الوقوف أمام كرسي المسيح (رؤ ١٩: ٧-٨) وهو الوقت السعيد حيث فرح العريس الرب يسوع بالعروس الكنيسة.

(و) الظهور

فيه يظهر المسيح مع جميع المؤمنين بعد سنين الضيقة، ويجب عدم الخلط بين الاختطاف والظهور. فالأول مجيء المسيح لأجل قديسيه (لاختطافهم) أما الثاني فهو مجيء المسيح مع قديسيه (للمُلك الألفي). وبينهما سبع سنوات.

(ز) إبادة أعداء الرب من الأرض عند ظهوره (رؤ ١٩: ١٧).

(ح) دينونة الأحياء

وهناك دينونتان: الأولى دينونة الأحياء (مت ٢٥: ٣١-٤٥) وهي خاصة بمن قبلوا اخوته الأصاغر من الخراف ومَنْ لم يقبلهم (الجداء) أثناء الضيقة. والثانية دينونة الأموات أي الوقوف أمام العرش العظيم الأبيض (رؤ ٢٠: ١١-١٢).

(ط) القبض على إبليس وتقييده وطرحه في الهاوية

والفترة بين ظهور المسيح وملكه هي ٧٥ يومًا وهي الفترة الزمنية بين (رؤ ١١: ٣، ١٢: ٦ وبين دا ١٢: ٢٢).

(ي) مُلك المسيح الألفي (رؤ ٢٠: ٢-٧، ٥: ١٠)

حيث يكون الإنسان تحت حكم المسيح الشخصي لمدة ألف سنة. ففي نهاية السبع سنوات سيظهر المؤمنون أمام

كرسي المسيح للمجازاة وهو منظر غير مرئي لسكان الأرض، ثم يظهر المسيح ومعه قديسوه جميعًا للدينونة والمُلك. وسينزل على جبل الزيتون، ويجلس على كرسي مجده (زك ١٤: ٤، أع ١: ١١). ويقول ثيسن: عندما يأتي المسيح سينجي إسرائيل أولاً من أعدائه الأرضيين (إر ٣٠: ٧، زك ١٤: ١-٣) ولكنه لن يتوقف عند هذه النجاة، بل يعود فيجمع ثانية كل إسرائيل ويوحِّد بيت إسرائيل وبيت يهوذا (إش ١١: ١١-١٤، زك ١٢: ١٠) ويضيف قائلاً: ثم يعود الهيكل وتعود إليه عبادته الطقسية (حز ٣٧: ٢٦-٢٨، زك ١٤: ١٦-١٧) وتقام دولة إسرائيل في فلسطين، وتقسم إسرائيل بين الأسباط (حز ٤٧ -٤٨) لتصبح ملكًا لإسرائيل إلى الأبد (حز ٣٤: ٢٨، ٣٧: ٣٥).

أما عن أوصاف المُلك الألفي فهو يتكون من أخوة الملك الأصاغر المشار إليهم بالمختارين الهاربين والمحروسين من الضلال والمجموعين من الشتات (مت ٢٤: ٢٢، ٢٤، ٣١) والأمم الأبرار الذين قبلوا الهاربين وقبلوا بشارتهم (مت ٢٥: ٣١-٤٠). علاوة على هؤلاء الذين سيكونون أمامه على الأرض، سيكون حوله في المحيط الجوي الكنيسة التي سبق واختطفها (حز ٣٧: ٢٧، رؤ٧: ١٥). وسيكون المُلك مُلك بر وسلام، ولكن قد يخطئ أحد نسل هؤلاء الأبرار في مدة المُلك، ولكن لن تحسب عليه الخطية إلا متى بلغ سن المسؤلية، وهي في الملك الألفي سن المائة (إش ٦٥: ٢٠). ومَنْ يخطئ يموت في الحال وترسل روحه إلى هاوية العذاب، ويقوم بعد الملك الألفي مع غيره من الأشرار ليدانوا ويطرحوا في بحيرة النار (رؤ ٢٠: ١١-١٥). وسيكون نور القمر كنور الشمس، ونور الشمس يكون سبعة أضعاف (إش ٣٠: ٢٦). وفي تلك الأيام ستقطر الجبال عصيرًا والتلال تفيض لبنًا (يؤ ٣: ١٨). ولا يمرض ساكن (إش ٢٣: ٢٤) ويسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، وصبي صغير يسوقها، ويلعب الرضيع على سرب الصل، ويمد الفطيم يده على جحر الافعوان (إش ١١: ٦-٩).

(ك) حلّ الشيطان من سجنه (في نهاية الألف سنة) زمانًا يسيرًا (رؤ ٢: ٧) فيهيج الأمم ضد أورشليم فيحاصرونها، ويجتمع المرتدون ضد الملك، ثم معركة هرمجدون الفاصلة حيث يدمر المسيح الجيوش الروسية والأوربية والإيرانية والعربية والصينية والأفريقية التي ستغزو إسرائيل ويعود العالم إلى حالة بدائية.

(ل) احتراق السموات والأرض (٢بط ٣: ١٠-١٣).

(م) الدينونة: دينونة الأموات والوقوف أمام العرش العظيم الأبيض (رؤ٢٠: ١١-١٢).

(و) الحالة الأبدية (رؤ ٢١ : ١-٥). حيث السماء الجديدة والأرض الجديدة، وبعد ذلك النهاية حيث يخضع الابن نفسه للذي أخضع له الكل لكي يكون الله الكل في الكل.

ملحوظات هامة:

لنا بعض التعليقات والمآخذ على هذه النظرية:

١- يفصل التدبيريون فصلاً تامًا بين إسرائيل القديم والكنيسة، وبين تعاملات الله (يهوه) مع شعبه القديم من ناحية

وعلاقة المسيح بالكنيسة من ناحية أخرى. وقد أشرنا إلى رأيهم هذا سابقًا. لكن الكتاب المقدس يؤكد على حقائق هامة تخالف فكر التدبيرين هذا:

(أ) وحدة شعب الله في العهدين القديم والجديد (أف ٢: ١١-٢٢). فإن كانت الخطية قد فصلت بين الإنسان عن الله من ناحية، وقسمت بين الإنسان والإنسان من ناحية أخرى، إلا أن المسيح بالصليب أبطل العداوة التي كانت بين الله والإنسان من جهة، وبين اليهود والأمم من جهة أخرى. والفعل «صالح» (عدد ١٦) يعني يُحضرهما ويربطهما معًا ثانية كالزوجين المتخاصمين عندما يصطلحان معًا وتعود إليهما وحدتهما. فالمسيح على الصليب جعل الاثنين واحدًا، وخلقهما معًا خليقة الله الجديدة الكنيسة كل فرد يؤمن بالمسيح يُطعم في هذه الخليقة الجديدة ويصير عضوًا في جسد المسيح الواحد. فبعد أن انقسمت الخليقة الأولى بالسقوط أعاد المسيح خلقنا وصنع سلامًا وحطم كل حاجز، وصالح الاثنين في جسد واحد. وقد قدم الرسول في هذه الآيات ثلاث صور لوحدة شعب الرب هذه، فهم رعايا ملكوت واحد (رعية مع القديسين) وعائلة الله الواحدة (أهل بيت الله) وهيكل الله الواحد.

(ب) طريق الخلاص واحد للجميع (رو ١٠: ١٢-١٣، أع ٢: ١٢). المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص. فلا يمكن أن تختطف الكنيسة ويعود نوع آخر من التدبير فيه يعود اليهود إلى الذبائح مرة أخرى.

(جـ) مصير وانتظار جميع المؤمنين واحد (عب ١٢: ٢٥-٢٩). جميع المؤمنين من اليهود والأمم لهم نفس المصير، ليسا انتظارين ولا مصيرين مختلفين، ولا مجال للقول أن هناك سماء جديدة للكنيسة وأرض جديدة لليهود.

(د) إسرائيل العهد القديم وإسرائيل العهد الجديد واحد هو (إسرائيل الله الروحي) (غل ٦: ١٦، رو ٩: ٦-٨، غل ٣: ٢٧-٢٩). كما أن العهد الجديد يستخدم للكنيسة صورًا استخدمها العهد القديم عن شعب الله. وقد أشرنا إلى ذلك في الجدول الوارد في الفصل الأخير من الباب الثاني.

٢- يخلط التدبيرون بين النبوات والأحداث السياسية المتغيرة، وقد كشفت الأيام عن عدم صحة هذا الاتجاه. وإليك بعض الأمثلة:

(أ) سوق الدول الأوربية المشتركة

يقولون إن قول دانيآل: «**أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها**» (دا ٧: ٢٣) يشير إلى الإمبراطورية الرومانية الأولى. أما الآية التالية: «**والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك**» تشير إلى الشكل الجديد لروما المملكة الرابعة والتي سيكون لها «عشر ممالك أو أمم» والتي ستتحد معًا.. وفي سنة ١٩٥٧م ولدت سوق الدول الأوربية المشتركة في روما تحقيقًا للنبوة الواردة في (رؤ ١٧: ٩، ١٨). حيث تكون روما عاصمة لاتحاد الدول العشر، والآن وبعد انضمام اليونان كعضو والمصادقة على عضويته في ١/ ١/ ١٩٨١ فقد اكتمل تحقيق النبوة. ويواصل H.LINDSEY

قوله: وكان برلمان الاتحاد الأوربي قد تأسس في ١٧/ ٧/ ١٩٧٩، وتم اختيار ٤١٠ عضوًا بالانتخاب المباشر. وأنا أؤمن أن هذا البرلمان حاليًا له قوة محدودة، لكنه سينمو في قوته السياسية عندما يرأسه ضد المسيح. وأنا أعتقد أن ذلك الرئيس (ضد المسيح) موجود الآن في مكان ما في أوربا وربما يكون حاليًا عضو في برلمان الاتحاد الأوربي[٩٨]. ويقول الأخ ناشد حنا في تفسيره لسفر دانيآل صفحة ١٦٥: «لكن سفر الرؤيا يخبرنا عما سيحدث في المستقبل فالوحش الذي كان وليس الآن (لأنه جرح جرحًا مميتًا) سيشفى ويعود إليه السلطان وتتعجب كل الأرض وراء الوحش. وسيحدث هذا بعد اختطاف الكنيسة. يكون ظهور تلك المملكة لا في شكل إمبراطورية بل كما يرى في تمثال نبوخذ نصر في شكل أصابع القدمين، أي في شكل تحالف فيدرالي من عشرة ملوك في أوربا. ويرى بعض المؤمنين في الوقت الحاضر في الدول المشتركة في السوق الأوربية بداءة لذلك التحالف حتى أننا قرأنا في الصحف هذا التعبير«أوربا العشرة» أو «الولايات المتحدة الأوربية». فالوحش هو الزعيم الأكبر للسلطة المكونة من عشرة ملوك مشار إليهم هنا بعشرة قرون.

لكن بعد انضمام اليونان سنة ١٩٨١م، تقدم للانضمام كل من أسبانيا والبرتغال، وقُبلا فعلاً سنة ١٩٨٦م، ثم توالى انضمام الدول إلى أن احتفل الاتحاد الأوربي في شهر آذار (مارس) سنة ٢٠٠٤م بانضمام عشر دول إلى عضويته ليصل العدد إلى خمس وعشرين دولة. وبذلك تخطى كثيرًا العدد عشرة الذي يعوِّل عليه التدبيرون كثيرًا في تفسيرهم. ونحن هنا نؤكد إيماننا بسلطان الله على الأمم، والملوك وأنه هو رب التاريخ يجريه لتحقيق مقاصده، لكننا نرفض ربط النبوات بكيانات أو أحداث سياسية أو اقتصادية متغيرة، مما يشكك البسطاء حين تخيب هذه الحسابات.

(ب) الاتحاد السوفيتي والنفوذ الشيوعي

فسر التدبيرون ملك الشمال (حز ٣٨، ٣٩) أنه هو ملك روسيا الذي سيغزو إسرائيل، ولديهم تصورات أخرى عن موقع الاتحاد السوفيتي أو روسيا بخصوص أحداث المجيء الثاني، فيقولون: «إن أعظم فوز تم لسياسية روسيا الشيوعية، هو اعتناق الصين للمذهب الشيوعي وعقد معاهدة بين الدولتين ستظهر الأيام نتائجها الخطيرة». والاتحاد السوفيتي لا يدخر وسعًا لإنشاء ثلاث مناطق للنفوذ الشيوعي في آسيا جنوبي سيبْريا، المنطقة الأولى تشمل القطاعات الواقعة عند حدود منشوريا. والمنطقة الثانية هي بلاد الصين، والمنطقة الثالثة بلاد آسيا الجنوبية الشرقية. وتشمل الهند الصينية وبورما وسيام والملايو». «وهكذا نرى أن روسيا تتهيأ بقواتها الجبارة وثرواتها الطبيعية ومبادئها الجارفة، لكي تمثل الدور المعين لها في الأيام الأخيرة، وموضح بالنبوات تحت عنوانات «ملك الشمال الأقصى» و«جوج وماجوج» و«السوط الجارف» و«الأشوري المستقبل» و «الملوك الآتين من مشرق الشمس». «ويواصل حليم أرسناوي قوله: «فإذًا بعد اختطاف الكنيسة سوف لا تكون استعانة دولة إسرائيل بواشنطن في أمريكا، بل بروما في إيطاليا مركزًا وخطًا أماميًا.. ومن قول الكتاب عن ذلك الإمبراطور أنه «يثبت عهدًا مع كثيرين» يبدو أنه هو الذي سيسعى بعد اختطاف الكنيسة، لعقد المعاهدة مع إسرائيل ليجعل من هذه الدولة الفتية، خط الدفاع الجنوبي في وجه الشيوعية التي سيكون قد امتد نفوذها إلى الحد الشمالي القديم لإسرائيل فستصبح متاخمة له من الشمال، ومن ثم تكون بمقتضى هذه المعاهدة إيطاليا شمالاً وإسرائيل جنوبًا، هما طرفا خط الدفاع الأوربي في وجه الخط الأحمر» (أي الشيوعية)[٩٩].

إلا أن رأي أرسناوي وغيره من التدبيريين يصطدم بما حدث للاتحاد السوفيتي من تفتت وتفكك، منذ أن نادى جورباتشوف (١٩٨٥-١٩٩١م) بالبروسترويكا، فانتهى الحكم الشيوعي في روسيا نفسها، واستقلت عدد من الجمهوريات التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي السابق مثل إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وجورجيا وغيرها. بل وأصاب الانهيار ليس فقط الاتحاد السوفيتي، بل أيضًا الدول الشيوعية المجاورة مثل بولندا، وتشيكوسلوفاكيا، وألمانيا الشرقية، ورومانيا وبلغاريا، ولم يفز أي حزب شيوعي في أي من هذه الدول حتى الآن.

إن إنهيار الشيوعية في العالم التي كانت عائقًا لنشر رسالة الإنجيل في هذه الدول، فتح الباب أمام الكنيسة والبشارة بالإنجيل فيها. لكننا نرفض ربط النبوات الكتابية بأحداث واتجاهات سياسية متغيرة. ونلفت نظر القارئ الكريم إلى ضعف قوة روسيا عسكريا واقتصاديًا، مما يؤكد بُطْل تفسير التدبيرين هذا.

٣- اضطر التدبيرون للقول أن هناك أكثر من دينونة واحدة، وعندما بدأوا يرتبون حوادث هذه الدينونات المتكررة، واجهتهم مشكلات صعبة عجزوا عن حلها، وهذا يفتح على المفسرين أبوابًا من المشاكل والنظريات لا تنتهي.

٤- اختلف التدبيرون حول فكرة مُلك المسيح الألفي السعيد على الأرض. بين من يقول إن المسيح سينزل إلى الأرض هو وكل المؤمنين الذين سبق أن اختطفهم قبل الضيقة العظيمة، وسيملكون معه بأجساد ممجدة بينما يكون معهم اليهود الذين آمنوا في زمن الضيقة بأجسادهم العادية. وأصحاب هذا الرأي يقولون أن المسيح حيث أُهين لابد أن يُرد له اعتباره (على الأرض). فلابد أن يأتي وتقف قدماه على جبل الزيتون، ويفسرون زكريا ١٤: ٤ تفسيرًا حرفيًا، ويملك المسيح مع المؤمنين حرفيًا على الأرض. وهذا في الحقيقة أمر غريب فكيف يملك المسيح والكنيسة بأجساد ممجدة على الأرض بينما يعيش معهم اليهود الذين آمنوا بأجسادهم العادية لمدة ألف سنة؟ ويقول أصحاب الرأي الآخر من التدبيرين: إن المسيح لا يملك "On" على الأرض حرفيًا، بل "Upon" بمعنى أن المسيح لا ينزل حرفيًا إلى الأرض، بل يكون هو والكنيسة في المحيط الجوي، بينما يكون اليهود على الأرض، بينما يتمكن اليهود أن يروه وهو يراهم. ويعيشون عصر بر وسلام لمدة ألف سنة.

٥- يفرق التدبيرون بين كرسي المسيح والعرش العظيم الأبيض، فيقولون إن كرسي المسيح ليس للحساب والدينونة بل لمكافآت المؤمنين. إلا أن الرسول بولس يؤكد أننا أمام كرسي المسيح سيعطي كل منا حسابًا عن نفسه، المؤمنون والأشرار الكل سيقفون أمام كرسي المسيح، لمكافأة المؤمنين ولدينونة الأشرار (رو ١٤: ١٠-١٢، ٢كو ٥: ١٠). ففي نفس اليوم الذي فيه يعلن الرب كامل غضبه على الأشرار، يعلن أيضًا مكافأة شعبه.

٦- فسّر التدبيرون نبوات العهد القديم تفسيرًا حرفيًا أخرجها عن مضمونها، مثال ذلك تفسيرهم لنبوات (حز ٣٧) بأنها نبوة عن عودة اليهود إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل وإعادة الذبيحة، بينما الحقيقة أن حزقيال تنبأ وهو في السبي البابلي، وتنبأ عن عودة اليهود من السبي. وقد تحققت النبوة بالعودة سنة ٥٣٦ ق. م. وتتحقق في بعدها الروحي باستمرار في عودة الأمم روحيًا إلى الله.

ثالثًا: رافضو المُلك الألفي A Millennialism

يعتقد رافضو الألف أن مجيء المسيح الثاني هو إعلان نهاية العالم والدينونة، ويرون أن إبليس مقيد منذ المجيء الأول للمسيح من خلال العمل الذي عمله المسيح على الأرض (لو١١: ٢٠). ويكون امتداد عمل الله على الأرض مبنيًا على شعب الرب، وطوال الوقت الباب مفتوح لليهود والأمم معًا للإيمان بالمسيح، وقرب النهاية يُحَلُّ الشيطان ويعمل ضد المسيح (٢تس ٢: ١-٤). ثم يُهزم إبليس نهائيًا بمجيء المسيح الثاني ثم القيامة والدينونة فالمدينة الجديدة. وقد تبنى هذه النظرية نخبة من أبناء الكنيسة في العصر الأول مثل كليمنت وبوليكاربوس وتعاليم الاثني عشر وأوغسطينس ثم لوثر وكلفن، والاختلاف الأساسي بين لاحقي الألف ورافضي الألف هو رؤيتهم للمستقبل، فرافضو الملك الألفي يرفضون أي محاولة لتحديد موعد المجيء الثاني (مر١٣: ٣٢). وهم ينتظرون مجيء المسيح في أي وقت، وإن كان المسيح نفسه لا يعرف موعد المجيء، فالعلامة الوحيدة لمجيئه هي المجيء ذاته، لذلك لا توجد أي علامة تشير إلى المجيء وأصحاب هذه النظرية لا ينكرون أن هناك أحداثًا سوف تتحقق قبل المجيء الثاني، مثل ظهور إنسان، لكنهم يقولون أن هذه الأشياء لا يمكن أن تكون حادثة بالتدريج، وعندما تظهر سيكون الوقت متأخرًا جدًا لعمل أي شيء، فالمجيء الثاني سوف يأتي دون أي علامة مؤكدة. ونبوات العهد القديم تحققت في أحداث قريبة آنذاك، ولا علاقة لها بأحداث اليوم، والكتاب المقدس لم يتحدث مطلقًا عن عودة اليهود إلى فلسطين، ولا عن مُلك المسيح من أورشليم. فالحائط الذي كان يفصل اليهود والأمم قد أُذيل (أف ٢: ١٤-١٥). فلا يوجد فاصل بين اليهود والأمم أمام الله، وليس لليهود أي دور منفصل عن الأمم، وليس لديهم أي امتياز لدى الله، فلا معاملة خاصة لليهود من أي نوع، ولا وجود لهم كشعب الله، فقد ذابوا في الأمم وصاروا كأي شعب آخر يعود إلى الله.

هذا الرأي هو الذي تتبناه الكنيسة الإنجيلية المشيخية والكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية، وهو ما سنتوسع فيه في الفصل التالي.

الفصل الثالث: منظور إنجيلي مشيخي

في إطار استعراضنا للمنظور الإنجيلي المشيخي للإسخاتولوچي والمجيء الثاني للمسيح، نتوقف أمام تعليم المسيح عن الإسخاتولوچي في (مت ٢٤) وأمام سفر الرؤيا بصفة عامة والأصحاح العشرين بصفة خاصة. ومن هذه النصوص المحورية مع النصوص الأخرى الموازية لها، والتي لا تقل عنها أهمية في الكتاب المقدس نخرج بمنظورنا الإنجيلي المشيخي.

(إنجيل متى ٢٤)

إنجيل متى هو «كتاب التعليم». فهو يقدم، على سبيل المثال، تعاليم المسيح بشكل منظم، فيسجل عظة المسيح على الجبل (مت ٥-٧) وأمثال المسيح عن ملكوت الله (مت ١٣). ويقدم عظة هامة عن: مَنْ هو الأعظم في ملكوت السموات؟ (مت ١٨). كما سجل تعاليم المسيح ومحاوراته في الأسبوع الأخير (مت ٢١-٢٢). كما أنه بعد دخوله الانتصاري إلى مدينة أورشليم، والجموع تهتف له «**أوصنا مبارك الآتي باسم الرب**» وكأنهم يتوِّجون ملكًا أرضيًا، يحررهم من الرومان. نراه وسط الهتافات والجموع والسعوف، يبكي على أورشليم، وأجهش في البكاء، ورثاها بصوت عالٍ. بكى لأنهم تجاهلوا أزمنة الافتقاد الإلهي العديدة لهم، من خلال الأنبياء والمسيح نفسه، إذ نسمعه يقول: «**يا أورشليم، يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرت أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا! هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا**» (مت ٢٣: ٣٧-٣٨).

ويبدو أن التلاميذ صدموا لأنهم حتى ذلك الحين كانت كل آمالهم في المسيح سياسية أرضية كسائر اليهود. هذا بالإضافة إلى عظمة الهيكل كبناء بني في ست وأربعين سنة، ومكانته المركزية في فكرهم وحياتهم كأمة. لذلك تقدموا لُيروه أبنية الهيكل «**ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل، فتقدَّم تلاميذه لكي يُرُوه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع: «أما تنظرون جميع هذه؟ الحق أقول لكم: إنه لا يُترك ههنا حجر على حجر لا يُنقض!» وفيما هو جالس على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: «قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟**» (مت ٢٤: ١-٣). فقدم لهم المسيح تعليمًا عن المستقبل في (مت ٢٤، ٢٥).

واسم الإشارة «هذا» في سؤال التلاميذ للمسيح: **متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟** يشير إلى خراب أورشليم الذي تحدث عنه المسيح سابقًا «**هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا.. إنه لا يُترك ههنا حجر على حجر لا يُنقض!**». فسؤال التلاميذ من شقين: متى يكون (هذا) خراب أورشليم؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ وإجابة المسيح في متى ٢٤ هي إجابة على شقي السؤال. فالأصحاح الرابع والعشرون من بشارة متى لا يتحدث عن المجيء الثاني وسوابقه وعلاماته وأحداثه فقط، لكن يمكن تقسيمه كما يلي:[١٠٠]

(١) المدخل إلى نهاية العالم (بداية النهاية) (الآيات ٤-١٤).

* حال العالم قبل المجيء الثاني للمسيح (٤-٨).

*حال الكنيسة قبل المجيء الثاني للمسيح (٩-١٤).

(٢) خراب أورشليم وعلاقته بمجيء المسيح الثاني (١٥- ٢٠).

(٣) تفاصيل عن ضيق الأيام الأخيرة (٢١-٢٨).

(٤) مجيء المسيح الثاني (٢٩-٣١).

(٥) أمثلة تقدم دعوة للاستعداد والسهر للمجيء الثاني (٣٢- ٥١).

سفر الرؤيا

اعتبر البعض سفر الرؤيا نبوات مستقبلية غيبية (السفر المختوم). وحاول البعض الآخر أن يبحثوا فيه عن أحداث المستقبل وربط أحداثه بعجلة التاريخ حتى صارت صحة التفسير تُقاس بمدى قدرة المفسر على ربط السفر بالأحداث المعاصرة والمتوقعة مستقبلاً. لكن التفسير الصحيح يكون بالخضوع لمحتويات السفر وليس بإخضاعها لأحداث التاريخ والمستقبليات الغيبية.

وتكمن صعوبة فهم هذا السفر في أنه سفر رؤوي مليء بالرموز والألغاز كالوحوش والأنهار والجبال والنجوم والأشخاص الملائكية والمرأة الضخمة المتسربلة بالشمس... إلخ. وقد اضطر يوحنا أن يكتب بهذا الأسلوب الغامض على القارئ العصري وذلك على عكس القراء المسيحيين في القرون الأولى، الذين كانوا يعرفون مفاتيح هذه الرموز ويفهمون هذه اللغة الشفرية. اضطر يوحنا لذلك لأن الكنيسة كانت تعاني من مرارة الاضطهاد على يد الإمبراطور الروماني الشرس دومتيان، الذي جعل نفسه إلهًا معبودًا، وطالب كل سكان الإمبراطورية بعبادته. إلا أن المسيحيين رفضوا عبادته، ورفعوا شعارهم «يسوع رب» في مقابل الشعار الذي كان سائدًا آنذاك «قيصر رب» أو «دومتيان رب». فطُردوا من وظائفهم وأُلغيت تجارتهم وصودرت أراضيهم وأملاكهم. ويوحنا نفسه نُفي إلى جزيرة بطمس، وهي جزيرة صخرية صعبة التضاريس أبعادها حوالي ١٠ ميل × ٣٠ ميل. وكان طقسها شديد البرودة ليلاً وشمسها حارقة نهارًا. وكان عمره حين نفي يزيد عن التسعين عامًا، بالإضافة إلى عدم توافر الطعام والماء في الجزيرة، إذ كانت تأتي به سفينة للمنفيين مرة واحدة كل أسبوع. وكان عمل يوحنا كبقية المنفيين هو تكسير الحجارة لبناء المدن الجديدة. وعلى الرغم من كل ذلك كتب يوحنا للكنيسة المتألمة قائلا: «**أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره. كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله، ومن أجل شهادة يسوع المسيح. كنت في الروح في يوم الرب، وسمعت ورائي صوتًا عظيمًا كصوت بوق قائلاً** ..» (رؤ ١: ٩-١٠). إنه بحق رسول عملاق يحافظ على شركته مع الرب ويكون في الروح بالرغم من الظروف القاسية التي كان يعاني منها.

لهذه الأسباب كتب يوحنا بهذا الأسلوب الرؤوي الرمزي حتى يظل السفر مختومًا على الحراس الذين كانوا يحرسونه، ويقرأون كل ما يكتبه وعلى السلطات الرومانية أيضًا، لكنه أسلوب واضح ومعلن للكنيسة. فمثلاً يكتب يوحنا إلى ملاك كنيسة برغامس: «**أنا عارف أعمالك، وأين تسكن حيث كرسي الشيطان، وأنت متمسك باسمي..**» (رؤ ٢: ١٣). فلا يستطيع يوحنا أن يقول «مركز عبادة الإمبراطور» لذلك قال «كرسي الشيطان». وبدلاً من أن يقول «الإمبراطور الشرس» يقول «الوحش». وبدلاً من القول «روما الزانية» يقول «بابل الزانية».

بالإضافة إلى الاضطهاد الخارجي تعرضت الكنائس لحروب داخلية شيطانية ممثلة في البدع والتعاليم الكاذبة التي تأثر بها بعض المؤمنين البسطاء.

لذلك وبحسب الظاهر كانت قضية الإيمان المسيحي خاسرة، وهذا ما حفز يوحنا أن يكتب سفره الذي هو «إعلان يسوع المسيح» فيه تشجيع وتعزية ورجاء في نصرة قضية الإيمان، للكنيسة المضطهدة في القرن الأول وللكنيسة عبر الزمن، وفي كل المسكونة.

ويقول د. القس إكرام لمعي: إن النقطة المركزية التي بُني عليها سفر الرؤيا هي صراع الكنيسة مع إبليس وقوى الشر في العالم، لذلك يعبر السفر عن رسالة الكنيسة وفلسفة وجودها بقصة الإنجيل بداية من ولادة المسيح إلى آلامه وموته وقيامته وصعوده، ويعبر بإبليس عن القوى الدينية المضادة (اليهودية، الوثنية .. إلخ). ومعها القوى المدنية مثل الملوك والأباطرة الذين يضطهدون الكنيسة، وقد عبَّر عن هاتين القوتين بالنبي الكذاب والوحش، أما الصراع بين الكنيسة وهذه القوى فقد صوَّره كاتب السفر بست صور مختلفة بدءًا بالصراع في شكل فتح السفر المختوم، إلى صورة الأبواق، ثم الصراع بين المرأة والتنين، ثم الجامات، ثم صورة سقوط بابل الزانية، وأخيرًا سقوط إبليس. والعلة من تعدُّد هذه الصور إرسال القصة إلى كنائس متعددة ومتنوعة حتى يمكن فك رموزها وفهمها، ثم لكي تتطابق الصور معًا عندما يقرأها المؤمنون فيكتشفون أنها تتحدث عن شيء واحد هو الصراع الأبدي بين الكنيسة وقوى الشر، وتحاول كل كنيسة أن تطبقه على حالتها فتتشجع وتتقوى وتتأكد من الانتصار القادم مهما كانت درجة المعاناة[١٠١].

وقد توصل وليم هندركسن إلى تقسيم رائع للسفر[١٠٢] إذ يرى أن السفر يحتوي على سبعة أقسام متوازية يمتد كل منها على طول التدبير الجديد من المجيء الأول للمسيح إلى المجيء الثاني، فهو ينظر إلى نفس الفترة بعدة صور. والأقسام السبعة يمكن تقسيمها إلى مجموعتين، الأولى تشمل الأصحاحات (١-١١) وهي تتحدث عن الصراع بين الكنيسة والعالم، والكنيسة يُنتقم لها وتغلب. والمجموعة الثانية تشمل الأصحاحات (١٢-٢٢) وفيها يقدم صورة وخلفية أعمق للصراع الذي على الأرض، فهي المعركة بين المسيح والتنين. والجزءان الرئيسيان يكمل كل منهما الآخر، والأقسام السبعة تظهر فيها وحدة رائعة، فالسفر يعلن بالتدريج السيادة الإلهية على التاريخ.

أما الأقسام السبعة فهي كالتالي:

القسم الأول (١-٣): المسيح وسط المنابر الذهبية السبع

يسوع وسط المنابر الذهبية السبع، وهي الكنائس السبع. والعدد (٧) تكرر في السفر وهو يشير إلى الكمال. وهنا يشير إلى الكنيسة في كل زمان ومكان (في كل تاريخها إلى نهاية الدهر). وكما أشرنا في الفصل السابق أنه ليس كل كنيسة رمزًا لفترة زمنية من التاريخ (متوالية)، بل الكنائس السبع تُصَوِّر حالات تتكرر بصفة مستمرة في الحياة الفعلية لكل كنيسة (متوازية). وهذا القسم يمتد من المجيء الأول للمسيح (رؤ ١: ٥) إلى المجيء الثاني للدينونة (رؤ ١: ٧).

القسم الثاني (٤-٧): الجالس على العرش يفك ختوم السفر السبعة

يتحدث عن الجالس على العرش والساجدين له، وعلى يمينه سفر مختوم بسبعة ختوم (٥: ١)، هذا السفر يأخذه الخروف فيسجد له الذين حوله، ثم يفك الختوم السبعة الواحد بعد الآخر. بين الختم السادس والسابع نرى الـ (١٤٤٠٠٠) والجموع التي لا تُحصى الواقفين حول العرش. وأول إشارة للمسيح في هذا الجزء تصوره مذبوحًا وهو يملك في السماء (٥: ٥-٦) وهي إشارة إلى موت المسيح الفدائي الذي تم بمجيئه الأول. وباقتراب نهاية هذا الجزء تبدأ بوادر الدينونة الأخيرة، إذ يصور وقع المجيء الثاني على الأشرار (٦: ١٢- ١٧)، ووقع المجيء الثاني على الأبرار وهي صورة للكنيسة المنتصرة من كل الأمم. هذه الصورة المزدوجة لن تتحقق إلا في الاكتمال العظيم. وهذا القسم يشمل عصر الإنجيل من أوله إلى آخره، أي أنه يمتد على طول التدبير بين المجيئين الأول والثاني للمسيح.

القسم الثالث (٨- ١١): الأبواق السبعة

يتحدث عن نفس الفترة ما بين المجيئين من خلال صورة الأبواق السبعة التي تمس العالم. وفي الأصحاحين العاشر والحادي عشر يصف ما يحدث للكنيسة. وفي (١١: ١٥، ١٨) نجد إشارة صريحة إلى الدينونة الأخيرة.

القسم الرابع (١٢- ١٤): المرأة العظيمة وابنها الذكر واضطهاد التنين وأعوانه لهما

يبدأ هذا القسم بإشارة واضحة إلى ميلاد المخلص (١٢: ٥). ويهدد التنين (إبليس) بابتلاعه، فأُختطف الابن إلى الله وإلى عرشه، فيصب التنين غضبه على المرأة ويضطهدها (١٢: ١٣) مستخدمًا الوحش الطالع من البحر (١٣: ١-١٠) والوحش الصاعد من الأرض (١٣: ١١- ١٨) أداة له. ويستخدم بابل الزانية العظيمة (١٤: ٨). ويختم هذا القسم بوصف مثير لمجيء المسيح الثاني للدينونة (١٤: ١٤-٢٠). فهذا القسم إذن يمتد ما بين المجيء الأول والمجيء الثاني للمسيح.

القسم الخامس (١٥-١٦): جامات الغضب الإلهي السبعة

هذه الجامات (الكؤوس) هي الغضب الإلهي الذي يُصَّبُ على الأشرار مضطهدي الكنيسة والذين لا يتوبون من أصوات الأبواق التحذيرية. وهي تشمل كل فترة التدبير أيضًا.

القسم السادس (١٧-١٩): سقوط بابل ودينونة الوحش والنبي الكذاب

وبابل رمز للشهوة والإغراء، إلا أنها تسقط ويُدان أعداء الكنيسة الوحش والنبي الكذاب. ويختم هذا الجزء بصورة حية لمجيء المسيح الثاني (١٩: ١١- ٢١).

القسم السابع (٢٠-٢٢): سقوط إبليس والملك الألفي والأبدية

بمقارنة الأصحاح الثاني عشر بالأصحاح العشرين (التي سنتوسع فيها لاحقًا) نكتشف أنه في مطلع الأصحاح العشرين نقف في مستهل التدبير الجديد. وفي (١٢: ٩) بمناسبة صعود المسيح وتكليله يُطرح إبليس وهو ما يوازي (٢٠: ٢-٣) أن الشيطان يُقيد ألف سنة ويُطرح في الهاوية. وبعد الألف سنة يُحلّ من سجنه زمانًا يسيرًا (٢٠: ٧). ثم وصف لانقلابه النهائي عند مجيء المسيح ثانية للدينونة (٢٠: ١١-١٥). وعند هذا المجيء تهرب الأرض والسماء لتحل سماء جديدة وأرض جديدة وأورشليم الجديدة.

أدلة التوازي:

أولاً: توازي الأقسام (٨-١١) (١٢-١٤) (٢٠-٢٢):

الفترة الموصوفة في (٨-١١) ٤٢ شهرًا (١١: ٢) أو ١٢٦٠ يومًا (١١: ٣) هي نفس الفترة في (١٢-١٤) ١٢٦٠ يوما (١٢: ٦) أو زمان وزمانين ونصف زمان (ثلاث سنوات ونصف) (١٢: ١٤) وهي نفس مدة الألف سنة (٢٠: ٣-٧).

إذن التسميات الثلاث (٤٢ شهرًا) أو (١٢٦٠ يومًا) أو (زمان وزمانين ونصف زمان) متساوية تمامًا. أي أن (٨-١١) الأبواق يوازي القسم (١٢-١٤) حرب المسيح ضد التنين وأعوانه يوازي القسم (٢٠-٢٢) سقوط إبليس، وانتصار المسيح وملكه. وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة يعطينا وصفًا لعصر الإنجيل كله من المجيء الأول إلى المجيء الثاني.

ثانيًا: توازي القسم (٨-١١) الأبواق مع القسم (١٥-١٦) الجامات.

فالبوق الأول (٨: ٧) يمس الأرض يوازي الجام الأول (١٦: ٢). والبوق الثاني (٨: ٨) يمس البحر يوازي الجام الثاني (١٦: ٣). والبوق الثالث (٨: ١٠) يمس الأنهار يوازي الجام الثالث (١٦: ٤). والبوق الرابع (٨: ١٢) يتصل بالشمس ويوازي الجام الرابع (١٦: ٨). والبوق الخامس (٩: ١) يتصل ببئر الهاوية وعرش الوحش، ويوازي الجام الخامس (١٦: ١٠). والبوق السادس (٩: ١٣) يتصل بالفرات يوازي الجام السادس (١٦: ١٢). والبوق السابع (١١: ١٥) يتصل بالمجيء الثاني للدينونة ويوازي الجام السابع (١٦: ١٧).

ثالثًا: توازي (١٢-١٤) مع (١٧-١٩) مع (٢٠-٢٢).

يسرد القسم الرابع أعداء المسيح والكنيسة وهم التنين والوحشان وبابل الزانية. وهم جميعًا يطلعون معًا ويسقطون

معًا. التنين هو إبليس الحية القديمة (١٢: ٩) والذي يستخدم باقي معاونيه ضد المسيح والكنيسة. والوحش الطالع من البحر يمثل الاضطهاد الذي يثيره التنين بواسطة حكومات العالم المضادة للمسيح، والذي كان في أيام يوحنا ممثلاً في حكومة دومتيان. بينما الوحش الصاعد من الأرض يمثل كل الفلسفات والأفكار والأديان المضادة للمسيح، والتي تهدف إلى تضليل أذهان المؤمنين واستعباد إرادتهم. وكان أيام يوحنا يتمثل في الديانة الوثنية وعبادة الإمبراطور الروماني. وبابل العظيمة تمثل الإغراء الشيطاني بواسطة ضد المسيح لسلب قلوب المؤمنين وإفساد سلوكهم الأخلاقي. وكانت في أيام يوحنا تتمثل في مدينة روما.

هذه الأقسام تؤكد أنه عندما يسقط الشيطان يسقط معه الوحشان وبابل الزانية، فهم يطلعون معًا ويسقطون معًا (١٧-١٨) سقوط بابل يوازي (١٩) سقوط الوحشين، يوازي (٢٠-٢٢) هزيمة إبليس النهائية يوم الدينونة. فدينونتهم النهائية الموصوفة في الأماكن المستقلة تسير متوازية، وتمتد المعركة ما بين المجيء الأول إلى المعركة النهائية والدينونة الأخيرة في المجيء الثاني.

رابعًا: توازي الأقسام (١٥، ١٦) (١٧-١٩) (٢٠-٢٢).

فكل منها ينتهي بمعركة (١٦: ١٢-١٤) (١٩: ١٩) (٢٠: ٨). فالأقسام الثلاثة تصف أحداثًا تؤدي جميعًا إلى نفس الحرب (حرب الرب العظيمة) وانتصاره على أعدائه وأعداء كنيسته.

الوحدة الفكرية للسفر

يكشف سفر الرؤيا عن وحدة داخلية لا تتجزأ ويعلن السيادة الإلهية. ويقدم مبادئ أساسية تصلح لكل عصر كما يلي:

- حيثما توجد كنيسة فهي منارة النور التي تعلن المسيح الذي ينير فيها (١-٣).
- لابد للعالم أن يضطهد الكنيسة، لكن التجارب لخيرها فالله في عرشه ينتصر لها (الختوم ٤-٧).
- في كل اضطهاد يستجيب الله لصلوات الكنيسة المضطهدة، فيحذر العالم بأبواقه التحذيرية (٨-١١).
- هذا الصراع الظاهر بين الكنيسة والعالم يشير دائمًا إلى الصراع بين المسيح والتنين (١٢-١٤).
- تأتي جامات الغضب النهائي على الأشرار بعد رفضهم لصوت الأبواق التحذيري (١٥-١٦).
- يبدو ظاهريًا انتصار التنين وأعوانه على المسيح وكنيسته، لكنهم في الواقع مهزومون (١٧-١٩، ٢٠-٢٢).

من هنا نخلص أن السفر مترابط يقدم بصور مختلفة فلسفة الله وسيادته في إدارة التاريخ. فالكاتب يبدأ في كل قسم القصة بمجيء المسيح الأول بالجسد، ثم آلامه موته وقيامته، وصراع الكنيسة مع إبليس حيث يتصاعد هذا الصراع تدريجيًا، وتنتهي القصة بمجيء الرب للدينونة. ويكرر نفس القصة بصور مختلفة. وهذه الصورة تتصاعد فيها

الأحداث من واحدة إلى أُخرى حتى تصل إلى الذروة في الأصحاح العشرين. فالبرغم من توازي الأقسام إلا أن فيها درجة من التقدُّم، فكلما اقتربنا من نهاية السفر زاد وضوح الدينونة الأخيرة وما بعدها. فأقسام السفر مرتبة تصاعديًا نحو القمة، بمعنى أن أقسام السفر مرتبة تصاعديًا مع تقدُّم في التركيز على الأخرويات.

ويعقد د. القس إكرام لمعي مقارنة هامة بين (١٢-١٤) (٢٠)[١٠٢]

الأصحاحات (١٢- ١٤)	الأصحاح (٢٠)
(١) المجيء الأول للمسيح وتقييد الشيطان كنتيجة له. «وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة متسربلة بالشمس، والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبًا، وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد .. فولدت ابنها ذكرًا عتيدًا أن يرعى جميع الأمم بعصًا من حديد. واُختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه، .. فُطرح التنين العظيم، الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان، الذي يُضل العالم كله، طُرح إلى الأرض، وطُرحت معه ملائكته» (١٢: ١-٩). * وهنا بداية مُلك المسيح على الأرض من خلال الكنيسة، ووصول الرسالة إلى كل الأمم.	**نفس الحقيقة:** «ورأيت ملاكًا نازلاً من السماء معه مفاتيح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيَّده ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم في ما بعد، حتى تتم الألف السنة. وبعد ذلك لا بد أن يُحلَّ زمانًا يسيرًا» (رؤ٢٠: ١-٣). * وجملة (لكي لا يضل الأمم في ما بعد) إشارة إلى خروج الرسالة إلى الأمم الذي تم بولادة وموت وقيامة يسوع. وبداية ملك المسيح على الأرض من خلال كنيسته أو الصورة الأرضية لمُلك المسيح على الأرض.

(٢) فترة قوة وشهادة الكنيسة: «فأُعطيت المرأة جناحي النسر العظيم لكي تطير إلى البرية إلى موضعها، حيث تُعال زمانًا وزمانين ونصف زمان، من وجه الحية» (١٢: ١٤). * وهي فترة قوة الكنيسة وشهادتها على الأرض والتي تنتهي بالضيقة العظيمة قبل مجيء المسيح الثاني.	**نفس الفكرة:** «ورأيت عروشًا فجلسوا عليها، وأُعطوا حُكمًا. ورأيت نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. أما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة. هذه هي القيامة الأولى» (٢٠: ٤-٥). * وهي صورة الكنيسة في السماء في نفس المرحلة. فالذين يموتون على الأرض في مرحلة جهاد الكنيسة (ملك المسيح الألفي) ينتقلون إلى المُلك الألفي في السماء مع المسيح الذي ملك هناك بصعوده.
(٣) فترة اضطهاد وضيق للكنيسة: «فألقت الحية من فمها وراء المرأة ماءً كنهر لتجعلها تُحمل بالنهر. فأعانت الأرض المرأة، وفتحت فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه. فغضب التنين على المرأة، وذهب ليصنع حربًا مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله، وعندهم شهادة يسوع المسيح» (١٢: ١٥-١٧). * وهذه هي فترة حل الشيطان.	**نفس الفترة:** «ثم متى تمت الألف السنة يُحلُّ الشيطان من سجنه، ويخرج ليُضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض: جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر» (٢٠: ٧-٨). * وهذه هي فترة الضيقة العظيمة أو حل الشيطان.

(٤) المجيء الثاني للمسيح والدينونة:	(٤) المجيء الثاني للمسيح والدينونة:
«ثم نظرت وإذا سحابة بيضاء، وعلى السحابة جالس شبه ابن إنسان، وله على رأسه إكليل من ذهب، وفي يده منجل حاد... وخرج ملاك آخر من المذبح له سلطان على النار، وصرخ صراخًا عظيمًا إلى الذي معه المنجل الحاد، قائلاً: «أرسل منجلك الحاد واقطف عناقيد كرم الأرض، لأن عنبها قد نضج» (١٤: ١٤-١٨).	«فصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نارٌ من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس الذي كان يُضلهم طُرِحَ في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذَّاب. وسيُعذبون نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين. ثم رأيت عرشًا عظيمًا أبيض، والجالس عليه، الذي من وجهه هربت الأرض والسماء، ولم يوجد لهما موضع! ورأيت الأموات صغارًا وكبارًا واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودِينَ الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم. وسلَّم البحر الذين فيه، وسلَّم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما. ودِينوا كل واحد بحسب أعماله. وَطُرِحَ الموت والهاوية في بحيرة النار. هذا هو الموت الثاني. وكل مَنْ لم يوجد مكتوبًا في سفر الحياة طُرِحَ في بحيرة النار» (٢٠: ٩-١٥).

من هذا التقديم يمكننا صياغة منظورنا الإنجيلي المشيخي كما يلي:

أولاً: أورشليم القدس وخطة الله للمستقبل

نتناول هنا العلاقة بين خراب أورشليم الذي حدث سنة ٧٠م، وبين مجيء المسيح الثاني وانقضاء الدهر. فقد رسم المسيح بعين النبوة صورة دقيقة لما حدث لأورشليم من خراب شامل سنة ٧٠م، هذا من ناحية. ومن الناحية الأُخرى في حديثه عن خراب أورشليم قدَّم لنا نموذجًا مصغرًا لليوم الأخير ومجيء المسيح، إذ قال: **«فمتى رأيتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيآل النبي قائمة في المكان المقدس - ليفهم القارئ - فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئًا، والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للحبالى والمُرضعات في تلك الأيام! وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاءٍ ولا في يوم سبت»** (مت ٢٤: ١٥-٢٠). وسنشير أولاً لما حدث لأورشليم والهيكل من خراب، ثم نستعرض الأسباب التي جعلت المسيح يربط بين الحدثين.

لقد أراد المسيح أن يخلِّص اليهود، لكنهم لم يريدوا! سدُّوا آذانهم، وأغلقوا عيونهم، وازدروا بكل فرص الافتقاد الإلهي. وبسبب هذا الرفض المُتعَّمد والمستمر، كان هناك نتيجتان لا مفر من حدوثهما لهم:

النتيجة الأولى: خراب أورشليم

نتيجة إهمالهم المستمر لافتقاد الله قال لهم المسيح: «**هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا**» (مت ٢٣: ٣٨) والكلمة «بيتكم» يُقصد بها الهيكل ومدينة أورشليم وكلمة «خراب» تعني مُقفرًا مهجورًا. كانت هذه النبوة بخراب أورشليم سنة ٣٠ م في عيد الفصح، وتحققت بحذافيرها سنة ٧٠ م في عيد الفصح أيضًا، عندما أحاطت جيوش تيطس الروماني بمدينة أورشليم، واستمر الحصار ١٤٣ يومًا، فانقسمت الأحزاب الدينية اليهودية على بعضها البعض، وحدث جوع، واستشرت الأوبئة، فمات الكثيرون. ووقت الاحتفال بالفصح دخلت الجيوش الرومانية إلى المدينة، وهدمتها وأحرقتها. كان بالمدينة آنذاك مئات الآلاف المعيدين من سائر أنحاء إسرائيل، فقُتل منهم عشرات الآلاف وأُسر عشرات الآلاف.

بعد تيطس الروماني جاء بارخبا فدَّمر الجزء الباقي من أورشليم، فاندثرت معالمها تمامًا، ولم يبق منها إلا جزء صغير من السور الغربي. وبذلك تحققت نبوة المسيح لها: «فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسةٍ، ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة، ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجرًا على حجرٍ، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك» (لو ١٩: ٤٣-٤٤) لقد دُمرت المدينة وتُركت مهجورة مُقفرة، بسبب قساوة القلب والرفض والتعنت المستمر.

النتيجة الثانية: هُدِمَ الهيكل ولن يُعاد بناؤه

كان لنبوة المسيح عن خراب الهيكل، بعدان.

البُعد الروحي: أن الهيكل الذي يُمثل علاقة الله بالشعب، وحضور الله وسطهم، قد فارقه مجد الرب، ماداموا قد رفضوا الرب، ورفضوا افتقاده لهم، وبذلك نقضوا علاقتهم به.

البُعد المادي: الخراب المادي للهيكل كان العلامة الظاهرة على دينونة الله للهيكل والشعب.

وإن كانت الحركة الصهيونية تخطط لإعادة بناء هيكل أورشليم، وتُعد الأحجار وترصد الأموال وتجهز الرسومات الهندسية. ويؤمن التدبيريون أن اليهود سيرجعون إلى أرضهم، وأن أورشليم العاصمة التاريخية القديمة ستعود إلى مجدها السابق، ويُعاد بناء الهيكل في موقعه القديم. ويقولون إن أجزاء هذا الهيكل جاهزة الآن وموجودة في بعض الدول الأوربية والأميركية، وأنه عند سنوح الفرصة المناسبة سيقومون بنقل هذه المهمات وإقامة الهيكل في شهور معدودات، ثم بعد ذلك يمارسون فيه العبادة ويقدمون الذبائح حسب الناموس، وحينئذ يكمل كيانهم السياسي والديني مثل الأيام القديمة، إذ يأتي المسيح ليملك على الأرض ألف سنة يصبح فيها اليهود أمة تحكم كل الشعوب في عصر سلام وخيرات. وتوجد الآن في إسرائيل جماعات يهودية تعمل على إعداد الآنية التي يدَّعون أنها ستُستخدم في الهيكل الجديد، ويحاول بعض الحاخامات اليهود المتطرفين، جمع التفاصيل الخاصة بسلسلة الأنساب التي يظنون أنها تشمل اللاويين من نسل هارون، ويتوَّهم أحد هؤلاء الحاخامات أنه سيرى المسيا، الذي سيأتي سريعًا، وسوف يقدم له قائمة بأسماء وعناوين

الكهنة المؤهلين، للعمل في الهيكل الجديد. إلا أن الهيكل لن يُعاد بناؤه، لسببين هامين. لكنْ قبل الإشارة لهذين السببين، ما هي قصة الهيكل؟

كلمة «هيكل» كلمة سومرية تعني البيت الكبير، وقد أطلقه اليهود على هيكل سليمان. كان داود هو صاحب وصانع الرؤيا لبناء الهيكل. بعد أن اتسعت مملكته، وأصبحت أورشليم العاصمة السياسية لها، لكن الله رفض أن يعطي داود هذا الامتياز لأنه سافك دماء. إلا أن هذا لم يمنع داود من أن يقدم هباته بسخاء إعدادًا لبناء هذا البيت. وقد بدأ العمل في بناء الهيكل في السنة الرابعة لمُلك سليمان (١مل ٦: ١)، وأُنجز في سبع سنوات من العمل الدؤوب الجاد، سنة ٩٦٠- ٩٥٠ق. م. تقريبًا. وبناه سليمان على أعلى مستوى في فن العمارة، من حجارة لم تمسها مطرقة نحات، ومن خشب الأرز، وغشى كل شيء بالذهب والحجارة الكريمة، فصار الهيكل من عظائم الدنيا آنذاك. وظن اليهود أن الهيكل هو الضمان المطلق للحياة المطمئنة، ولعدم سقوط أورشليم، وكأن الله مضطر للدفاع عن الهيكل بأي ثمن، حتى ولو كان الشعب عاصيًا. لقد نسوا أن الضمان الحقيقي هو الإيمان الصادق بالله. لقد ارتكبوا كل الشرور والمفاسد، وتمسكوا بحوائط الهيكل. فقال لهم النبي إرميا :«لا تتكلوا على كلام الكذب قائلين: هيكل الرب هو». وتنبأ بخراب الهيكل. لذلك هجم نبوخذنصر ملك بابل على أورشليم سنة ٥٨٦ ق. م، وهدم الهيكل ونهب كل ما فيه وأخذ الشعب إلى السبي. وعندما عادوا من السبي بأمر كورش سنة ٥٣٦ ق. م. بدأوا في إعادة بناء الهيكل واكتمل سنة ٥١٦ ق. م، ثم نجسَّه أنتيوخس أبيفانس سنة ١٧٠-١٦٩ ق. م، إلا أن المكابيين طهروه وافتتحوه للعبادة سنة ١٦٤ق. م. وتهدَّم بفعل الزمن فأعاد هيرودس بناءه وتوسيعه إلى ضعف حجمه الأول، وزينه بالرخام والحجارة الثمينة والتحف واستغرقت عملية البناء والتجميل ٤٦ سنة (يو ٢: ٢٠) واكتمل سنة ١٩م. لكن السيد المسيح في دخوله إلى أورشليم تنبأ بخرابه، في الآيات المشار إليها سابقًا. **والآن ما هما السببان لعدم إعادة بناء الهيكل؟**

السبب الأول: هو أن الهيكل المادي ليس هو المسكن الأبدي لله. وقد قال السيد المسيح إن الهيكل الحقيقي هو جسده إذ قال لليهود: **«انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه». فقال اليهود: «في ست وأربعين سنة بُني الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تُقيمه؟» وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده. فلما قام من الأموات، تذكّر تلاميذه أنه قال هذا، فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع»** (يو ٢: ١٩-٢٢). **فقد حلَّ اللاهوت في ملئه في جسد المسيح : «لأنه فيه سُر أن يحلَّ كل الملء .. فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسديًا»** (كو ١: ١٩ ،٢ : ٩) فالمسيح هو الهيكل الحقيقي.

السبب الثاني: هو أن المسيح عندما مات على الصليب، انشق الحجاب الفاصل بين القدس وقدس الأقداس في الهيكل، من أعلى إلى أسفل، إعلانًا لنهاية العهد الموسوي، وبطلان الذبائح الحيوانية كطريق لغفران الخطايا والوصول إلى الله. لأن المسيح دخل إلى الأقداس السماوية بدم نفسه مرة واحدة، فوجد لنا فداءً أبديًا. (عب ٩: ١١- ١٤) فالرب يسوع على الصليب، أنهى عهد موسى معنىً ولاهوتًا، وبقي الهيكل كشكل مادي للعهد، وكان لابد أن يُهدم الهيكل حتى ينتهي شكلاً ما أنهاه المسيح موضوعًا على الصليب، فلم تعد علاقة الإنسان بالله تقوم على أساس الذبائح. والادعاء

بإعادة بناء الهيكل معناه عودة عهد موسى، ونظام الذبائح، وهذا يعني عدم كمال وكفاية عمل المسيح الفدائي على الصليب، وهذا بالطبع ليس فكرًا كتابيًا صائبًا، فالمسيح على الصليب صنع فداءً كاملاً وأكمل إلى الأبد المقدسين، ومن ثَمّ لن يُعاد بناء الهيكل.

فالهيكل بني لأول مرة سنة ٩٦٠-٩٥٠ ق. م تقريبًا، وهُدِمَ سنة ٥٨٦ ق. م، وأعاد العائدون من السبي بناءه سنة ٥١٦ ق. م. وتهدَّم بعامل الزمن، وأعاد هيرودس بناءه وأكتمل سنة ١٩م. ولن يُعد بناؤه.

الأسباب التي جعلت المسيح يربط بين خراب أورشليم ومجيئه الثاني:

(١) نهاية أورشليم هي مقدمة لنهاية العالم ودليل عليها

إذ في خراب أورشليم تم وضع نهاية للعهد الموسوي، أي انتهى شكلاً ما أنهاه المسيح موضوعًا ولاهوتًا على الصليب. كما أن حدث خراب أورشليم مقدمة لمجيء المسيح الثاني، فبين نهاية العهد الموسوي والمجيء الثاني تخرج الكنيسة للعالم (مت ٢٤: ١٤)، فخراب أورشليم كان انطلاقة للكنيسة إلى الأمم. ومن الناحية الأُخرى يمكننا القول إن تحقيق نبوة المسيح عن خراب أورشليم يؤكد حتمية تحقيق نبوته الثانية عن مجيئه الثاني.

(٢) لأن خراب أورشليم ونهاية العالم يُطلق عليهما «يوم الرب»

كما أشرنا في الفصل الأول من هذا الباب أن يوم الرب هو اليوم الذي يتدخل الله فيه مباشرة في التاريخ البشري، ليصيغ ويغير الأحداث. وخراب أورشليم يعني أن الرب قد تدَّخل في تدمير أورشليم حسب إرادته حتى يضع نهاية لاحتكار اليهود للرسالة الإلهية، وحتى تخرج الرسالة للأمم، وهكذا تبدأ الكنيسة. ومجيء المسيح الثاني للدينونة يعتبر «يوم الرب» الأخير وأعظم أيامه (٢بط ٣: ١٢).

(٣) لأن نموذج «رجسة الخراب» يظهر في اليومين كليهما

تنبأ دانيآل عن خراب أورشليم قائلاً: «**وتقوم منه أذرع وتُنجس المَقدِسَ الحصين، وتُنزع المُحرقة الدائمة، وتجعل الرجس المُخَرِّب**» (دا ١١: ٣١). وقد تحققت هذه النبوة في خراب أورشليم سنة ١٧٠ق. م على يد أنتيوخس أبيفانس ملك سورية، الذي قرر محو الديانة اليهودية، وأقام مذبحًا للإله زيوس في الهيكل وقدَّم خنزيرًا على المذبح، وحوَّل حجرات الهيكل إلى أماكن للفساد، فقام عليه يهوذا المكابي وأخوته بثورتهم الشهيرة (والتي أشرنا بالتفاصيل لها في الاسخاتولوچي في فترة ما بين العهدين) لأجل تحرير الهيكل وتطهيره. ويقول الرب يسوع إن رجسة الخراب ستعود ثانية، ليس بعد كثير، وقد تحققت كلمات الرب يسوع في خراب أورشليم في سنة ٧٠م. على يد تيطس الروماني.

وقبل مجيء المسيح ثانية سيتكرر المشهد ثانية (٢تس ٢: ٣-٤، ٨-١١). والمقصود برجسة الخراب في نهاية الأيام (٢تس٢) هو انتشار الشر والارتداد وظهور إنسان الخطية (وهو ما سنتوسع فيه لاحقًا).

(٤) لأن نموذج الضيق يتكرر في اليومين

فالضيق الذي حدث في أورشليم في أزمنة الحصار سنة ١٧٠ ق. م، وسنة ٧٠م. يشبه إلى حد بعيد ضيق الأيام الأخيرة مت (٢٤: ٩-١٢، ١٦-٢٢). وستختفي كل أواصر المحبة والأخوَّة، ولن يكون هناك مكان للمشاعر الإنسانية أو الحضارية التي توحد بين البشر.

ثانيًا: تقييد الشيطان

يقدُّم النص الكتابي الشهير (رؤ ٢٠: ١-٣) وصفًا لتقييد الشيطان وطرحه في الهاوية لمدة ألف سنة **«ورأيت ملاكًا نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيَّده ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم في ما بعد، حتى تتم الألف السنة. وبعد ذلك لابدَّ أن يُحَلَّ زمانًا يسيرًا»**. وفي الحقيقة أثار هذا النص عددًا من التساؤلات، نتعرض الآن لفكرة «تقييد الشيطان».

فمتى يُقيَّد الشيطان؟ ولماذا؟ وهل له سلطان على الكنيسة؟ وما علاقة الشيطان بالشر في العالم الآن؟

متى يُقيَّد الشيطان؟

يؤكد الكتاب المقدس أن الشيطان عدو مهزوم وساقط وهو الآن مقيَّد. ويمكننا أن نوضح ست مراحل لهزيمة الشيطان في الكتاب المقدس.

(١) مرحلة إعلان الهزيمة (الوعد النبوي)

تظهر هذه المرحلة في أول وعد نبوي، قاله الله للحية القديمة: **«وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه»** (تك٣: ١٥). والذي أفضنا في شرحه في الجزء الأول من هذه الدراسة الباب الثاني والفصل الأول بعنوان: «نسل المرأة – صراع مستمر وانتصار محقق» (ص ٧١-٧٨).

(٢) مرحلة بداية الهزيمة (مجيء المسيح الأول)

بدأت هذه المرحلة بالمجيء الأول للمسيح، واستمرت حتى الصليب. فالمجيء الأول حقبة وليس لحظة. ويصف لنا الرائي مرحلة المجيء الأول للمسيح وتقييد الشيطان في رؤيا ١٢و رؤيا ٢٠ ففي رؤيا ١٢ يتحدث عن المرأة العظيمة التي ولدت ابنها الذكر العتيد أن يرعى جميع الأمم (عدد٥). ومن هذا الوصف الذي يوازي مزمور ٢: ٩ **«تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم»**. وهو أحد مزامير المسيا الذي نسبه المسيح إلى نفسه (رؤ ٢: ٢٦-٢٧). وقد درسناه بالتفصيل في الجزء الأول من هذه الدراسة في الباب الرابع. يتضح أن الابن المولود هو المسيا (المسيح). والمرأة التي ولدته تمثل شعب الله المختار (القديم) من اليهود والكنيسة بعد مجيئه، حيث أن الكتاب المقدس يشبه العلاقة بين الله

وشعبه بعلاقة العروس بالعريس (إش ٥٤: ٥، هو ٢: ١٩-٢٠) قارن (رؤ ١٩: ٧، ٢١: ٩، ٢كو ١١: ٢). فالمرأة هنا تشير إلى الكنيسة شعب الله الواحد المختار في كلا التدبيرين، شعب الله الواحد، عروس الله الواحدة، نسل إبراهيم الروحي. فإن كانت الكنيسة على الأرض في موضع احتقار من العالم لكنها في السماء مجيدة كالمرأة المتسربلة بالشمس، والقمر تحت رجليها لأنها تمارس سلطانها، وعلى رأسها اثنى عشر إكليلاً فهي منتصرة. والتنين الذي يضطهد المرأة هو إبليس (رؤ ١٢: ٣، ٤، ٩) الذي يحاول يائسًا تعطيل خطة الله لفداء الإنسان، إذ يحاول أن يبتلع (يقتل) الطفل الوليد وهذا هو ما فشل في فعله من خلال هيرودس الملك الطاغية. فجَنَّد كل قواته ليضطهد المرأة (الكنيسة)، لكنه فشل أيضًا لأنها تُحفظ وتُعال من الله. وطُرِحَ التنين «**فطُرِحَ التنين العظيم، الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان، الذي يُضل العالم كله، طُرِحَ إلى الأرض، وطُرِحَت معه ملائكته**» (عدد ٩). وعن نفس الفترة الزمنية يتحدث (رؤ ٢٠ : ١-٦). ونلاحظ أن كل الأفعال المستخدمة ترد في صيغة الماضي «قبض وقيَّد وربط وطُرِحَ وأغلق وختم». مما يؤكد حدوث هذا الأمر في الماضي. فالمسيح لا ينتظر أبدًا حتى مجيئه الثاني لكي يربط الشيطان ليتمكن الناس أن يعيشوا عيشة صالحة، فلقد قيَّده في مجيئه الأول. ففي مستهل خدمته انتصر المسيح على الشيطان في تجربته له (مت ٤: ١-١١).

ومارس المسيح سلطانه على الشيطان في معجزات إخراج الشياطين. وعملية إخراج الشياطين لم تحدث قبل مجيء المسيح الأول، وقد كانت تؤكد في كل مرة أن الشيطان قد قُيِّدَ وأنه الآن تحت سلطان المسيح. وعندما زَعَم الفريسيون أن المسيح ببلعزول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين ردّ عليهم المسيح بمنطق أن كل مملكة تنقسم على ذاتها تُخرب. وبالتالي لا يمكن للشيطان أن يتحد مع عدوه المسيح لكي يُخَرِّب مملكته ويحطم قوة أتباعه الشياطين، فلابد إذن أن هناك قوة لها مطلق الحرية والسلطان في إخراج الشياطين، قوة تفوق مملكة الظلمة، هي قوة الله نفسه. لذلك قال لهم المسيح: «**ولكن إن كنت أنا بإصبع الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله**» (لو ١١: ١٤-٢٢، مت ١٢: ٢٢-٢٩، مر ٣: ٢٠-٣٠). فإن كان الشيطان عدوًا قويًا للإنسان، لكن المسيح هو الأقوى منه الذي دخل بيته وقيَّده ونهب أمتعته أي حرر الناس الذين كانوا في قبضته. والفعل «يربط» هو «δηση ديسي» وهو نفس الفعل الذي استخدمه يوحنا الرائي في (رؤ ٢٠: ٢) «قيَّده εσησεν» ألف سنة. فالمسيح قيَّد الشيطان بمجيئه الأول وبأعماله المعجزية العظيمة.

وبعد رجوع المرسلين السبعين بفرح من إرساليتهم (لو ١٠)، قالوا للمسيح: «**يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك!**» **فقال لهم:** «**رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء**» (عدد١٧-١٨). فقد ربط المسيح سقوط الشيطان كالبرق من السماء بنشاط المرسلين. ومملكة الشيطان تخضع للتلاميذ لأن الشيطان مُقيَّد بقوة المسيح.

وحين جاء الأمم (اليونانيون) ليروا يسوع (يو ١٢: ٢٠-٣٢) وعندما رآهم يسوع قال: «**قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان.. أيها الآب مَجِّد اسمك! فجاء صوت من السماء: «مجدت وأمجِّد أيضًا!». أجاب يسوع: «الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا**». فدخول الأمم إلى الإيمان دليل على تقييد الشيطان وتحقيق ملكوت الله. وقد وقعت هذه الحادثة قبل الفصح مباشرة وفيها أعلن المسيح عن ساعة موته وآلامه، وكأنه يؤكد أن موته وآلامه تقييد لإبليس وتمجيد لله. ونلاحظ أن الفعل «يُطرَح εβληθη» الذي استخدمه المسيح هنا هو نفس الفعل الوارد في (رؤ ١٢: ٩، ٢٠: ١-٣).

(٣) مرحلة تحقيق الهزيمة (الصليب)

تمت هذه المرحلة وتحقق انتصار المسيح على إبليس في الصليب «.. **إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارًا، ظافرًا بهم فيه**» (كو ٢: ١٣-١٥). فعلى الصليب انتصر المسيح على إبليس، والفعل «جرَّد» يعني جرَّدهم من أسلحتهم أو من رُتبهم وسلطانهم. وما قيمة القائد أو الجندي بدون سلطانه أو سلاحه؟! وقد انطلق الرسول بولس في هذه الآيات من خلفية القادة الرومان العسكريين الذين كانوا حين ينتصرون في معركة حربية، يعودون في موكب النصر يجوبون شوارع المدينة ومعهم غنائمهم ويجرون وراءهم الأسرى، وقد جُردوا من أسلحتهم ورتبهم وسلطانهم، يسيرون بهم في عار الهزيمة مفضوحين أمام الجميع. وهذا ما فعله المسيح بالصليب إذ حقق انتصارًا حاسمًا على إبليس (عب ٢: ١٤-١٥). فإن بدا الصليب ضعفًا لكنه هو قوة الله التي حطمت الشيطان وقيدته.

(٤) مرحلة تثبيت وإذاعة الهزيمة (قيامة المسيح)

قيامة المسيح هي آية الآيات ومعجزة المعجزات، وهي البرهان الدامغ الذي يؤكد ويثبت ويعلن هزيمة المسيح للشيطان، إذ قال بطرس لليهود: «**يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضًا تعلمون. هذا أخذتموه مُسَلَّمًا بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضًا أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكنًا أن يُمسَكَ منه**» (أع ٢: ٢٢-٢٤). ويقول أيضًا: «**الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السماء، وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له**» (١بط ٣: ٢٢). وقال الرسول بولس: «**حسب عمل شدة قوته (الله) الذي عَمِلَه في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماوات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضًا، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأسًا فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل**» (أف ١: ١٩-٢٣). فالقيامة هي برهان وتثبيت النصرة والغلبة اليقينية للمسيح على إبليس.

(٥) مرحلة امتداد الهزيمة (إرسالية الكنيسة)

كما أشرنا لإرسالية السبعين أنها كانت تقييدًا وسقوطًا للشيطان. وهكذا فإن إنطلاقة الكنيسة للكرازة بالإنجيل للعالم أجمع منذ يوم الخمسين هو تقييد وسقوط لإبليس. وكل امتداد للكنيسة وكل تقدُّم ونجاح في إرسالية الكنيسة يُعَد تقييدًا لإبليس وحدًا لسلطانه.

(٦) مرحلة كمال الهزيمة (مجيء المسيح الثاني)

في مجيء المسيح الثاني ستكتمل هزيمة إبليس، إذ ستجثو ليسوع كل ركبة ويعترف كل لسان أنه الرب لمجد الله الآب. وسيُطرح الشيطان في بحيرة النار مع الموت والهاوية، لأن آخر عدو يُبطل هو الموت. وهكذا عندما تُدَمَّر كل سلطة إبليس وقوته تدميرًا كاملاً، سيسلم الرب يسوع المُلك لله الآب، وسيكون هو الكل في الكل (١كو ١٥: ٢٤-٢٨، في ٢: ٩-١١، رؤ ٢: ١٠، ١٤).

لماذا قُيِّدَ الشيطان؟

من قول الرائي: «**لكي لا يُضل الأمم في ما بعد .. ويخرج ويضل الأمم**» (رؤ ٢٠: ٣، ٨). نفهم أن هدف تقييد إبليس «لكي لا يضل الأمم». فقبل مجيء المسيح الأول كانت مرحلة «التخصيصية» أي قصر الخلاص على اليهود فقط، وكان العالم كله باستثناء إسرائيل تحت حكم الشيطان إذ كان إعلان الله لإسرائيل وحدهم، فاستناروا وعرفوا معنى قداسة الله وعبادته، وعرفوا معنى خطاياهم وكيفية غفران الله لهم. واستؤمنوا على أقوال الله (رو ٣: ٢). وكان لديهم من المعرفة والاستنارة ما يميزهم عن سائر الأمم (تث ٥: ٣٢،٣٣، ١٠: ٢، ١٢: ١-٣). أما بقية الأمم فكانوا تحت خداع إبليس «**الذي في الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون في طرقهم**» (أع ١٤: ١٦). وسُميت هذه الأزمنة في تاريخ الأمم «بأزمنة الجهل» (أع ١٧: ٣٠) ما عدا حالات خاصة وقليلة جدًا دعاها الله من بين الأمم.

فقد كان للشيطان سلطان على الأمم أن يُضلهم (أف ٤: ١٧، ١٨). ولذلك كان لابد من تغيير عظيم ليحل حق الإنجيل محل كذب الشيطان، وكان لابد من تقييد الشيطان حتى لا يضل الأمم في ما بعد، وأن المسيح يجتذب ويخلص الأمم واليهود معًا. وهي ما نسميها مرحلة «شمولية الخلاص» لكل من يؤمن بالمسيح من كل الشعوب والأمم. أو ما يسميها الكتاب المقدس «أزمنة الأمم». وقد كانت إرسالية المسيح «**نور إعلان للأمم ومجد لشعب إسرائيل**» (لو ٢: ٣٠-٣٢). وبإرسالية المسيح تحققت النبوة (إش ٩: ١، ٢) (مت ٤: ١٣-١٦).

لقد كان العمل الأول للمسيح أن ينقض أعمال إبليس (١يو ٣: ٨). وفي نهاية حياته على الأرض أرسل المسيح بسلطانه الكامل تلاميذه إلى العالم أجمع ليكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ويتلمذوا جميع الأمم (مت ٢٨: ١٨-٢٠، مر ١٦: ١٥-١٦، أع ١: ٨).

فالشيطان مقيد منذ ميلاد المسيح، وقد طُرِحَ في الهاوية طوال ألف سنة (ليست حرفية) هي عصر الإنجيل الحاضر والذي يستمر ما بين المجيئين الأول والثاني للمسيح. فسلطان إبليس قد تقلّص في الأرض، وهو لا يستطيع أن يمنع الكنيسة من الامتداد بين الأمم. وعن طريق الكرازة ينتقل المختارون من الظلمة إلى النور ومن سلطان إبليس إلى ملكوت الله، ويتأثر بالإنجيل ليس فقط الأشخاص بل التنظيمات والقوانين أيضًا، وتنتشر المسيحية ويُسمع صوت الإنجيل في أقاصي الأرض، وهذا ما نراه اليوم واضحًا من خلال النشاط الكبير للكنيسة واستخدامها للفضائيات لتوصيل رسالة الإنجيل وترجمة الكتاب المقدس لكل لغات ولهجات العالم، ألا يُعَدُّ هذا هزيمة للشيطان!

مُقيَّد لكن غير مُقضَى عليه

لعل السبب الرئيسي في انتشار الشر في العالم، ومحاولات إبليس أن يشن حرب استنزاف خاسرة ضد الكنيسة اليوم، يرجع هذا السبب إلى أن المسيح لم يقض تمامًا على الشيطان، لكنه قيَّده حتى لا يضل الأمم في ما بعد. أي قيَّد إبليس عن الإضرار بالكنيسة ولم يقض عليه قضاءً مُبرمًا. فالمسيح قيد سلطان إبليس، ولم يقيد طبيعته، قيده ولم يقتله

ولذلك أصبح محدودًا ومهزومًا، تأثيره يتقلص ويضعف. والفعل «قيَّدَ» والصورة التي قدمها الرائي أن إبليس قد رُبِطَ بسلسلة مثل تقييد أسد أو كلب أو وحش مفترس، فتكون حريته بقدر ما تعطيه السلسلة من حركة. ولعل القول: «**نعلم أن كل مَنْ وُلِدَ من الله لا يُخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه، والشرير لا يمسه**» (١يو ٥: ١٨). يوضح الفكرة فالفعل «يمس» هنا لا يعني يمس بمعناها العام، لكن تعني الاستحواذ والسيطرة، أي أن المولود من الله لا يمتلكه الشرير ولا يسيطر عليه، وطالما أن المؤمن يحفظ نفسه خارج نطاق سلسلة الشيطان المقيد، فإن الشرير لا يمس المؤمن.

إن الشيطان يحاول يائسًا أن يضل ولو أمكن المختارين أيضًا، لكنه لا يستطيع ولا يقدر أن يُهلك الكنيسة كتنظيم مُرسلي قوي ينادي بالإنجيل لكل الأمم حتى تتم الألف سنة.

فالشيطان يحارب الكنيسة لكن الكنيسة تنتصر عليه، وتنطلق في كرازتها فالشيطان مقيد من جهة الكنيسة وليس له سلطان عليها. إنه يحاربها ولن يقوى عليها، لقد حاول قتل يسوع من خلال الطاغية هيرودس، لكن هيرودس مات ونجى يسوع لتستمر خطة الله للخلاص. وحاول الشيطان أن يبيد الكنيسة في القرن الأول من خلال الإمبراطور الشرس دومتيان، لكنه فشل. وفي عصر الإصلاح دبَّ الفساد في داخل الكنيسة لهدمها من الداخل، لكن الله أقام المصلحين لتقويم وإصلاح الكنيسة. ثم صارعت الكنيسة مع الشيوعية التي سقطت وانتصرت الكنيسة، ودخلت رسالة الإنجيل إلى كل الدول الشيوعية.

نعم لقد عاشت الكنيسة ومازالت تعيش في صراع عبر الزمن مع إبليس وجنوده، لكن صمدت وتقدمت وستستمر منتصرة لأن الشيطان مُقيَّد.

ثالثًا: المُلك الألفي

تقوم فكرة الألف سنة على النص الكتابي الشهير: «**ورأيت ملاكًا نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده على يده. فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيَّده ألف سنة، وطرحه في الهاوية وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم في ما بعد، حتى تتم الألف السنة. وبعد ذلك لابدَّ أن يُحَلّ زمانًا يسيرًا. ورأيت عُروشًا فجلسوا عليها، وأُعطوا حُكمًا. ورأيت نفوس الذين قُتِلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يقبلوا السِّمة على جباههم وعلى أيديهم، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة. هذه هي القيامة الأولى. مُبارك ومقدس مَنْ له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة**» (رؤ ٢٠: ١-٦).

«الألف سنة» هي مدة طويلة فيها يملك المسيح مُلكًا روحيًا على القلوب، من وقت مجيئه الأول بالجسد في الأيام الأخيرة (عب ١: ١-٣) حتى مجيئه الثاني. هي إذن ليست فترة حرفية محددة، لكن العدد «ألف» هو رمز الكثرة العددية وهو أكبر الأرقام التي كانت معروفة حتى أيام يوحنا الرسول. فحين يتحدث الكتاب المقدس عن اختلاف مقاييس الله

للزمن عن مقاييسنا البشرية، يقول موسى رجل الله في صلاته: «**لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عَبَرَ، وكهزيع من الليل**» (مز ٩٠: ٤). ويقول الرسول بطرس: «**أن يومًا واحدًا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد**» (٢بط ٣: ٨). وهناك أمثلة كتابية أُخرى تؤكد هذه الحقيقة:

يقول موسى لبني إسرائيل: «**الرب إلهكم قد كثّركم. وهوذا أنتم اليوم كنجوم السَماء في الكثرة. الرب إله آبائكم يزيد عليكم مثلكم ألف مرة، ويباركم كما كلمكم**» (تث ١: ١٠-١١). فتعبير «ألف مرة» يعني عدد لانهائي كنجوم السماء في الكثرة» ويقول لهم أيضًا: «**فأعلم أن الرب إلهك هو الله، الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل**» (تث ٧: ٩). ويقول كاتب سفر الأخبار الأول: «**اذكروا إلى الأبد عهده، والكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل**» (١أخ ١٦: ١٥). فتعبير «ألف جيل» يُقصد به أجيال لا حصر لها. ادرس أيضًا (مز ١٠٥: ٨، تث ٣٢: ٣٠، يش ٢٣: ١٠، ٢صم ١٨: ١٢، مز ٨٣: ١٠، جا ٦: ٦، نش ٤: ٤، إش٣٠: ١٧، ٦٠: ٢٢).

وبالإضافة إلى هذه الأمثلة الكتابية هناك أمثلة وأقوال شعبية، فيبدو أن الرقم «ألف» كان ولا يزال عند الشرقيين عدد هائل، إذ تجد الواحد يقول للآخر: «أنا قلت لك ألف مرة». وفي مراسلاتنا نقول «سلامي إلى.. ألف مرة». ونقول للمريض «ألف سلامة». ويقول السوريون «يعطيك ألف عافية». ونقول للناجح «ألف مبروك». ونقول في المناسبات السعيدة «عقبال ألف سنة».

فالألف سنة في رؤيا ٢٠ ليست حرفية، لكنها فترة زمنية طويلة لا نعرف نهايتها، لكن الله وحده يعرف ذلك. فهي الفترة الممتدة ما بين المجيء الأول والثاني (الأيام الأخيرة). في هذه الفترة بدأ المسيح عمله، وأقام كنيسته، كما تنهض المبادئ المسيحية، وينتشر الإنجيل وتمتد الكنيسة إلى كل بقاع الأرض، ويُقيَّد فيها الشيطان كما شرحنا. «فالألف سنة» تعبير مجازي جاء في سفر رؤوي رمزي، ولا يُفسر حرفيًا.

ولقد أدرك آباء الكنيسة الأُول والمصلحون ومعظم اللاهوتيين عبر العصور هذه الحقيقة، كما أوضحنا في الفصل السابق. وقد استعرض القس عزت شاكر في كتابه «المُلك الألفي» أقوال مجموعة من اللاهوتيين:

يقول الأنبا غريغوريوس: «إن ما ورد في سفر الرؤيا بخصوص الألف سنة (رؤ ٢٠: ١-٦) لم يتكرر بلفظه أو معناه في أي موضع آخر في سفر الرؤيا، ولا في غيره من أسفار الكتاب المقدس. مما يدل على المعنى الخاص لهذا النص المقدس. وعلى أنه ينبغي أن يُفهم بمفهوم معين، خصوصًا وأن سفر الرؤيا مليء بالرموز. ولم يرد في أقوال المسيح مرة واحدة أنه تحدَّث عن الحكم الألفي، ولم يرد شيء من هذا القبيل في جميع الأناجيل وجميع الرسائل، بما فيها رسائل القديس يوحنا نفسه، كاتب سفر الرؤيا».

ويقول د. توري: «من العبث أن نُفَسِّر نصوصًا كتابية واضحة في ضوء آية رمزية غامضة، فالأجدر بنا أن الواضح الظاهر يفسر الغامض الذي يحتمل الشك والتأويل وليس العكس».

ويقول الأب متى المسكين: «نحن نعيش الآن الألف سنة وهي المُعبَّر عنها في موضع آخر بـ «ملكوت ابن محبته» أي ملكوت المسيح، الذي فيه الآن جميع القديسين يملكون مع المسيح، ونحن أيضًا نشاركهم في هذا الملكوت. أما الوجهة المستقبلية للملكوت تتم في المجيء الثاني للمسيح».

ويرى د. القس غبريال رزق الله: في كتابه «الألف سنة» أن المُلك الألفي «حديث خرافة يهودي». ويقول: «هذا حديث خرافة يهودي، فيه يطلبون ملكوتًا يكمل بالجسد ما بدأوا به بالجسد، إذ كانوا يطلبون " كرسيًا في أورشليم الحاضرة» أو «كرسي داود» ليملك على بيت يعقوب حرفيًا إلى الأبد. ويتابع قائلاً: كانوا يطلبون ملكوت الله ليس بوصفه «برًا وسلامًا وفرحًا في الروح القدس» بل باعتباره أكلاً وشربًا (يو ٦: ٣١-٣٤، رو ١٤: ١٧). حديث خرافة يهودي صار عقيدة متغلغلة في قلب وفكر إسرائيل، أعمت عيونهم عن أن يروا المسيح المُرسَل من السماء فلم يقبلوه، بل قتلوه وخضبوا أيديهم الآثمة بدمه البريء (مت ٢٧: ٢٥) فانتحروا روحيًا وأُنتُزِعَ منهم ملكوت الله (مت ٢١: ٣-٤). حديث الخرافة هذا تسلل إليهم من الكتابات اليهودية في فترة ما بين العهدين".

في الحقيقة تكمن مشكلة سوء فهم أولئك الحرفيين للمُلك الألفي، لبعض نبوات العهد القديم التي تصف ملكوت المسيا بأوصاف تبدو لأول وهلة أنها بعيدة عن التصديق مثل: «**فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل والمُسمَّن معًا، وصبي صغير يسوقها. ويلعب الرضيع على سرب الصِّل، ويَمُد الفطيم يده على جُحر الأفعوان**» (إش ١١: ٦، ٨) «**لأني هأنذا خالق سماوات وأرضًا جديدة، فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال ... لا يكون بعد هناك طفل أيام، ولا شيخ لم يُكمل أيامه، لأن الصبي يموت ابن مئة سنة، والخاطئ يُلعن ابن مئة سنة**» (إش ٦٥ : ١٧، ٢٠). وغيرها. فقد كان اليهود ولازالوا يترقبون المسيا ملكًا منتقمًا لإسرائيل من الأمم، ويوسِّع تخومهم ويحل لهم المشاكل الاقتصادية، فيعيشون في رفاهية ورخاء، ويسحق ويُذل أعداءهم تحت أقدامهم، فيعيشون في أمان. أي أنهم ينتظرون مُلكًا سياسيًا عسكريًا واقتصاديًا. إلا أننا قد شرحنا باستفاضة أن ملكوت الله روحي لا مادي ولا أرضي، هو ملكوت بلا حدود جغرافية ولا قومية ولا زمنية.

ويؤكد العهد الجديد تحقيق هذه النبوات بصورة روحية سامية. ألم يقل الرب يسوع: «**ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب**» (لو١٠: ٣). فالمؤمنون حملان يعيشون وسط الأشرار الذئاب، بل وتستطيع الحملان بواسطة قوة إنجيل المسيح أن تُحوِّل الذئاب إلى حملان. ألم يُغيِّر المسيح والإنجيل الطبائع الشرسة إلى طبائع وديعة هادئة، وبولس نفسه خير دليل على ذلك، إذ كان ينفث (كثعبان الكُبرى) تهددًا وقتلاً ضد المؤمنين والكنيسة (أع ٩). وألَم يعترف أنه كان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويُتلفها (غل ١: ١٣). وأنه يصف نفسه قبل الإيمان قائلا: «**كنت مُجدِّفًا ومُضطَهِدًا ومفتريًا، لكني رُحمت**» (اتي ١: ١٢-١٤). وتحوَّل إلى خادم للإنجيل، كالحمل الوديع الذي صارع وحوشًا في أفسس، وكان مستعدًا أن يُضطَّهد ويُجلد ويُرجَّم من أجل المسيح.

ومن النبوات التي لا تُفسر حرفيًا، بل تحققت روحيًا في العهد الجديد قول إشعياء النبي: «**فتستقون مياهً بفرح من**

ينابيع الخلاص» (إش ١٢: ٣). وقد أعلن المسيح تحقيق هذه النبوة روحيا فيه حينما قال: «ولكن مَنْ يشرب من الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو ٤: ١٤) «**وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليقبل إليَّ ويشرب، مَنْ آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي**» (يو ٧: ٣٧-٣٨).

إن مُلك المسيح مُلك روحي، وكل البركات التي كان ينتظرها العهد القديم وإن تحققت حرفيًا للشعب قديمًا، إلا أنها بركات روحية تحققت في المسيح والعهد الجديد. لكن مشكلتنا نحن أننا أرضيون وجسديون لذلك تستهوينا التفسيرات المادية والمحسوسة للنبوات. لذلك لنطلب من الرب أن يُنير عقولنا، وعيون أذهاننا لنفهم. ويعطينا حكمة روحية لنفهم حقيقة مقاصده السامية ونرتقي في مفهومنا ونظرنا إلى النبوات بعين الروح. ويهبنا فطنة روحية حتى نطبق مقاصده الصالحة الروحية في حياتنا.

تفسير (رؤ ٢٠: ١-٦)

من بديهيات علم التفسير أن نفسر الآية أو النص الكتابي في ضوء القرينة المباشرة وغير المباشرة (السياق) بل وفي الإطار العام للكتاب المقدس كله. وفي الإطار التاريخي الذي كُتِبَ فيه النص، وهو ما نسميه «الخلفية التاريخية». فالنص الكتابي كُتِبَ لأناس كانوا يعيشون في ظروف تاريخية وحضارية ويتكلمون بلغة تختلف عن لغة اليوم، ولكي نفهم رسالة الكتاب المقدس لنا اليوم نحتاج أن ندرس تلك الظروف والخلفيات والقرائن «آنذاك وهناك» ونعبر بالمعنى إلى عالمنا المعاصر «الآن وهنا». أي أن نربط بين المعنى الأصلي للنص الذي قصده النبي وفهمه السامعون آنذاك، وبين رسالته المعاصرة لنا نحن هنا والآن. وأن نأخذ المعنى الأصلي الذي فهمه السامع آنذاك للنبوة أو للنص ونطبقه على واقعنا المعاصر. فلابد إذًا أن نبني القنطرة أو الجسر بين الكتاب المقدس (العالم الكتابي) وبين المجتمع (العالم المعاصر) الذي نحن فيه الآن بكل تحدياته ومتغيراته.

كما أننا لا نفسِّر النصوص الرؤوية الرمزية بأسلوب حرفي، فمثلاً يقول التدبيرون إن «المفتاح» و«السلسلة» والفعل «قيدَّه» كلها رموز، ولكن عبارة «الألف سنة» يفسرونها بصورة حرفية، وهذا تناقض في التفسير. كما لا يصح مطلقًا أن نبني عقيدة على آية أو أجزاء من بضعة آيات، ونحاول أن نجمع لها ما يبدو أنه يؤيدها من آيات أُخرى، فننزعها من سياقها (قرينتها) فيختلف معناها تمامًا عن المعنى الذي قصده الكاتب.

وهنا الآية الوحيدة التي تتحدث عن «الألف سنة» جاءت في سفر رؤوي رمزي غامض، كتبه يوحنا الرائي سنة ٩٨م. تقريبًا، في عصر من أعنف عصور الاضطهاد ضد الكنيسة، كما شرحنا في المقدمة عن سفر الرؤيا في بداية هذا الفصل. وكأن يوحنا أراد أن يشجع الكنيسة المتألمة أننا إن كنا الآن نتألم مع المسيح ولأجله، فإن آلامنا هي عربون تمجيدنا وأفراحنا معه. فكلنا نجتاز في الضيق (رؤ ١: ٩) وقد يُقتل البعض بسبب الشهادة للإنجيل (رؤ ٦: ٩). إلا أن الذين يموتون لأجل الإنجيل ليسوا أمواتًا بل هم يعيشون ويملكون مع المسيح في السماء.

وهذه الآيات الست تُبرز وجهين لمُلك المسيح الروحي. فالآيات (١-٣) تتحدث عن مُلك المسيح الروجي على قلوب

الناس المؤمنين على الأرض، وهو الذي يُقيَّد فيه الشيطان عن الكنيسة، ويملك المسيح على عروش قلوب الذين يؤمنون به كالمخلص والفادي والملك والرب، ومن خلال هؤلاء يمتد ملكوت الله في الأرض بكرازتهم بالإنجيل في كل المسكونة.

والآيات (٤-٦) تصف الوجه السماوي لمُلك المسيح، مع القديسين الراحلين إلى السماء. فمنهم نفوس كثيرة عُذِّبت على الأرض وتألمت لكنها تملك مع المسيح في السماء.

لم يقل يوحنا ولم يُشر أن هذه الآيات تتحدث عن المجيء الثاني، أو أنها ستتحقق في المستقبل. بل إن الأفعال المستخدمة هنا ترد في صيغة الماضي «قبض، قيَّده، طرحه، أغلق، ختم» مما يؤكد أن هذا الأمر (تقييد الشيطان وبدء مُلك المسيح) بدأ في الماضي، فالمسيح قيَّدَ الشيطان منذ ألفي عام. ونحن لا ننتظر المسيح يأتي ليملك لأنه هو الآن يملك على عروش قلوب المؤمنين به، فمنذ أن يقبله الإنسان مخلِّصًا يقبله أيضًا ملكًا وربًا. فالمسيح يملك الآن على الأرض ليس على عروش مادية بل على قلوب البشر المؤمنين به، وهو ينشر ملكوته من خلالهم، وهو يملك الآن أيضًا في السماء. وهذا يتضح من دراسة القرينة المباشرة (السياق) لهذه الآيات، ففي الأصحاح التاسع عشر نجد المسيح في السماء: «**ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أمينًا وصادقًا، وبالعدل يحكم**» (عدد١١). فهو في السماء بالعدل يملك ويحكم ويمارس سلطانه. وواضح من الأصحاح أن الأمم تمارس حياتها اليومية المعتادة، وتضل أحيانًا عن الحق، لذلك فهو يرعاهم بقضيب من حديد.

وفي (رؤ ١٩: ١٩-٢١) يتحدَّث يوحنا عن حرب ضارية دامية يقودها الوحش ويتحالف معه النبي الكذاب وملوك الأرض الأشرار يشنون حربًا ضد المسيح، إلا أن المسيح ينتصر عليهم ويقبض عليهما ويطرحهما في بحيرة النار. لذلك فالآيات (رؤ ١٩: ١-٢٠: ٦) كلها تختص بالحياة الحاضرة لعالمنا ما بين المجيئين، حيث يحكم المسيح ويحارب ويرعى ويؤدب ولو بصورة غير مرئية.

لقد قصد يوحنا من كل سفره عمومًا، ومن هذه الآيات بصفة خاصة أن يؤكد للكنيسة عبر الزمن سلطان المسيح على أعداء المسيح والكنيسة. وإن اُضطُهِدَت الكنيسة وإن حوربت من داخلها أو خارجها إلا أن المسيح في السماء بالعدل يحكم ويحارب أعداء الكنيسة وينتصر عليهم. فالشيطان وأعوانه (الوحشان وبابل الزانية) كلهم أعداء مهزومون ومحدودون (رؤ ١٥: ٢، ١٨: ٢، ١٩: ٢٠، ٢٠: ١). والمسيح هو الملك المنتصر الحي الذي يملك لا ألف سنة محددة، بل إلى أبد الآبدين (رؤ ١: ١٨،٥: ١٤،١١: ١٥،٢٢: ٥). إنه الألف والياء، البداية والنهاية (رؤ ١: ٨). هو الأسد الغالب (رؤ٥:٥) وهو الجالس على العرش غالبًا ومالكًا (رؤ ٦: ٢)، وهو ملك ورب التاريخ الذي يسود على الشعوب والأمم والممالك. وكل ما يفعله الشيطان الآن هو مجرد حرب استنزاف خاسرة، حرب مَنْ يدرك هزيمته فيحاول يائسًا أن يضرب هنا وهناك، لكنه مُقيَّد لا سلطان مطلق له، بل سلطانه محدود بحدود قيوده.

ثلاثة أسئلة هامة:

(١) أين يملك المسيح؟

يصف النص الكتابي (رؤ ٢٠: ١-٦) مُلك المسيح أنه في السماء، وهناك أربعة أدلة على ذلك:

(أ) يملك حيث توجد عروش

يقول الرائي: «**ورأيت عُروشًا فجلسوا عليها**». إن الدراسة المتعمقة لسفر الرؤيا تؤكد أن كلمة «عرش» أو «عروش» أو مكان العروش دائمًا في السماء (رؤ ١: ٤،٣: ٤، ٢١: ٢-٦،٩،٥،٦،٣، ١٠،٥: ٦،١٣،١١،٧،٦: ١٦،٧: ٩،٢٠: ٤). فالكلمة «عرش أو عروش» أُستخدمت ٤٧ مرة في سفر الرؤيا، وتُذكر دائمًا مرتبطة بالسماء. ولم ترد على الأرض إلا عن «كرسي الشيطان» (٢: ١٣) ويُقصد به عرش روما آنذاك، و«عرش الوحش» (١٣: ٢، ١٦: ١٠).

(ب) يملك حيث توجد نفوس.

على العروش رأى يوحنا «**نفوس الذين قُتلوا من أجل الشهادة**» وليس أجسادًا. لأن الأجساد كانت قد دُفنت أو أكلتها الوحوش الضارية (كوسيلة للاضطهاد والتعذيب) أو أُلقيت في النار. فالرائي لم يرَ أجسادًا مُقامة بل نفوسًا عاشت. هذه النفوس تملك إلى أبد الآبدين (٢٢: ٥).

(جـ) يملك حيث يحيا المسيح.

«**فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة**». إن المسيح حيٌّ إلى الأبد في السماء، ويملك ومَنْ معه إلى الأبد في السماء.

(د) الفعل «عاشوا».

الرسول يوحنا لا يتحدث عن قيامة أجساد، فلم يقل «قاموا» بل «عاشوا وملكوا مع المسيح». فالفعل «قام» يعني قيامة الجسد من الموت. أما الفعل «عاش» يعني الحياة الروحية لنفوس المؤمنين في السماء. وسنُفرق بالتفضيل بين القيامة الروحية والقيامة العامة لاحقًا.

(٢)ما هي خصائص المُلك؟

(أ) هو حكم وملك مع المسيح

يقول الرائي: «**مَنْ يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضًا وجلست مع أبي في عرشه**» (رؤ ٣: ٢١). «**ثم نظرت وإذا خروف واقف على جبل صهيون، ومعه مئة وأربعة وأربعون ألفًا، لهم اسم أبيه مكتوبًا على جباههم.. وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات والشيوخ. ولم يستطع أحد أن يتعلم الترنيمة إلا المئة والأربعة والأربعون ألفًا الذين أُشتُروا من الأرض**» (رؤ ١٤: ١ ،٣). «**وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله، وترنيمة**

الخروف قائلين: «**عظيمة وعجيبة هي أعمالك يا ملك القديسين!**» (رؤ ١٥: ٣). فملكوت الله هو ملكوت فرح وسلام وترنيم دائم. ومن يملك المسيح الآن على قلبه وهو في الجسد، سيملك مع المسيح في السماء. ومن يرنم للرب هنا من قلبه، يكون ترنيمه هنا بمثابة عربون لاشتراكه في التسبيح والتمجيد الدائم في السماء.

(ب) حياة مع المسيح

يقول: «**فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة**». يا لها من مُتعة بالحياة الأبدية، هذه الحياة التي بدأت في الأرض بالولادة الثانية وتستمر إلى الأبد.

(جـ) مشاركة في مجد ملوكي مع المسيح

حيث تحتفل النفوس بنصر المسيح وبنصرهم الممنوح لهم من المسيح، ويملكون مع المسيح إلى ما لا نهاية.

(٣) مَنْ يشترك في هذا المُلك؟

يشترك في هذا الملك كل المؤمنين: الراقدون منهم والذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع (رؤ ٦: ٩، ١١)، والمؤمنون الأحياء المعترفون بإيمانهم والذين يتمسكون بأمانة بالإيمان، ولا يسجدون للوحش ولا لصورته، ولا يقبلون سمته على جباههم وعلى أيديهم، وتمسكوا بإيمانهم رغم قسوة الظروف. أولئك «الذين رقدوا» يملكون الآن في السماء وهو الوجه السماوي للمُلك، وهؤلاء الأحياء يملك المسيح على قلوبهم.

ملحوظة هامة:

نؤكد أن ملكوت المسيح روحي، ولا يمكن أن يكون ماديًا أرضيًا. وفكرة الألف سنة كما أوضحنا سابقًا هي فكرة يهودية سادت في فترة ما بين العهدين نظرًا للضغوط التي عاناها اليهود من مستعمريهم. إلا أن كُتَّاب العهد الجديد أخذوا نفس التعبيرات اليهودية وعبَّروا بها عن معاني روحية. مثل «إسرائيل» الذي كان يُقصد به في العهد القديم شعب إسرائيل، رآه العهد الجديد أنه «إسرائيل الله» أي الكنيسة أو نسل إبراهيم الروحي، وكل من يسلك في خُطى إبراهيم المؤمن. وبالتالي لا يمكننا استخدام تعبير «الألف سنة» بصورة حرفية.

إن فكرة المُلك الألفي الحرفي فكرة يهودية إلا أن هذا الفكر لا يَمُت للمسيحية بصلة. «**لأن ملكوت الله هو بر وسلام وفرح في الروح القدس**» (رو١٤: ١٧). لذا لنترفع عن الأرضيات، ولنسمو بأفكارنا عن الماديات ولنشخص نحو السماء حيث المجد الأسنى الذي تعجز اللغة البشرية عن وصفه.

رابعًا: حَلُّ الشيطان ونهايته

«**ثم متى تمت الألف السنة يُحلُّ الشيطان من سجنه، ويخرج ليُضل الأُمم الذين في أربع زوايا الأرض: جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمُعسكر القديسين**

وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عند الله وأكلتهم. وإبليس الذي كان يُضلهم طُرِحَ في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذاب. وسيُعذَّبون نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين» (رؤ٢٠: ٧-١٠).

يتحدث يوحنا في هذه الآيات عن حل الشيطان ومعركته الأخيرة ضد المسيح وكنيسته، وإبادة المسيح النهائية له. ويقول ليون موريس: «إن يوحنا يعود إلى موضوع سبق أن ذكره عدة مرات ليعالجه هنا باختصار، ألا وهو: تجمع كل قوات الشر في نهاية الأيام ليصنعوا حربًا مع الله. وهو يعالج هذا الأمر هنا بمنتهى الاختصار. فغلبة الشيطان سريعة ومؤكدة[١٠٤].

ومن يدرس هذه الشواهد يتضح له المعنى (حز ٣٨-٣٩، رؤ ١١: ٧-١١، ١٢: ١٣-١٧، ١٦: ١٣-١٦، ١٩: ١٩-٢٠، رؤ ٢٠: ٧-١٠). ويرى ولكوك: أن الألف سنة التي حكم القديسون خلالها، وتم تقييد الشيطان، سوف تعقبها حرب رهيبة. وإن اختلفت الأسماء والأماكن، إلا أن هناك اتفاق حول قيام معركة واحدة فقط، هذه المعركة، ستكون شاملة وفاصلة، مثل هذه، وهذه بعينها «هرمجدون» (١٦: ١٤-١٦)[١٠٥].

تأتي هذه الحقبة والمعركة في نهاية المُلك الألفي وقبل مجيء المسيح الثاني للدينونة مباشرة. والعبارة «متى تمت الألف السنة» تشير إلى أي وقت تتم فيه الألف السنة، أي أنها غير محددة. وفور نهاية الألف السنة يُحلُّ الشيطان من سجنه ويستأنف أعماله المُضللة، على نطاق واسع جدًا إذ تتجمع كل أجناد الشر معًا في هجمة ضارية أخيرة أي «المعركة الأخيرة».

(١) هدف المعركة

إن السمة المميزة للشيطان أنه المُضِّل، وهدفه الدائم هو أن «**يُضل الأمم**» (قارن رؤ ١٣: ١٤). ويحاول أن يُضل ولو أمكن المختارين أيضًا. وإن كان قد قُبِضَ عليه وقُيِّدَ في بداية المُلك الألفي «**لكي لا يضل الأمم في ما بعد**» لكنه «**لابدَّ أن يُحَلَّ زمانًا يسيرًا**». وفور حلّه وإطلاقه يستأنف أعماله المضللة على نطاق أوسع «**يخرج ليُضل الأُمم الذين في أربع زوايا الأرض: جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر**». إذ سيحدث الانفجار النهائي لقوى الشر ويجمع إبليس كل أعوانه: الوحش (السلطات المدنية المضادة للمسيح والكنيسة) والنبي الكذاب (السلطات الدينية والفلسفات والأفكار المضادة للمسيح والكنيسة) فهو يخدع ويضلل الأمم بالأفكار المُضللة. إلا أن إبليس سيهُزم ويُسحق ويُطرح بصفة نهائية في بحيرة النار والكبريت «**وإبليس الذي كان يُضلهم طُرِحَ في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذاب. وسيُعذَّبون نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين**». مع الوحش والنبي الكذاب (١٩: ٢٠).

(٢) قادة المعركة

«**ثم متى تمت الألف السنة يُحَلُّ الشيطان من سجنه، ويخرج ليُضل الأُمم الذين في أربع زوايا الأرض: جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر**». سنشرح بالتفصيل «المعركة الأخيرة» في (علامات المجيء الثاني – الارتداد وظهور إنسان الخطية) (٢تس ٢: ١-٨). حيث أنه بعد ارتفاع الحاجز الذي يحجز إنسان الخطية

وقوى الشر من الانفجار النهائي، تبدأ المعركة الأخيرة إذ يحدث الانفجار النهائي لقوى الشر، وتُترك الكنيسة لبطش أعدائها من الأنبياء الكذبة والقوى المُعادية لها إذ يحاول إبليس بكل قواه أن يُضل الأمم.

ويذكر يوحنا الرائي أن أعوان إبليس هم «جوج وماجوج» والذين سيكون أتباعهم مثل رمل البحر. وقد يعني هذا التعبير كل الناس. وكلمة «جوج» مذكورة في الكتاب المقدس في سلسلة أنساب (١أخ ٥: ٤) وفي نبوة حزقيال (٣٨-٣٩) وفي (رؤ ٢٠: ٨). أما «ماجوج» فهو اسم أحد أبناء يافث (تك ١٠: ٢، ١أخ ١: ٥) وفي (حز ٣٨-٣٩، رؤ ٢٠: ٨).

ويرى التدبيرون أن «روش» الواردة في (حز ٣٨: ٢): **«يا ابن آدم، اجعل وجهك على جوج، أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال، وتنبأ عليه»**. هي روسيا وماشك هي موسكو وتوبال هي توبالسك (وقد أشرنا لذلك في رأي التدبيرين في الفصل السابق). إلا أن معاني هذه المفردات تُبيِّن أن «روش» تعني رأس فهي لا تشير إلى أرض أو موقع جغرافي. و"جوج" تعني رئيس وهو رئيس أرض ماجوج (حز ٣٨: ٢). وبهذا يكون المعنى أن «جوج» هو رئيس الرؤساء أو الحاكم الأعظم أو ملك ملوك الأرض ماجوج (بحسب تعبير تلك الأيام). كما كان يُشار إلى نبوخذنصر ملك بابل أنه ملك ملوك (دا ٢: ٣٧). أما «ماشك وتوبال» فهي جزء من إقليم آسيا الصُغرى، وكانت تقع في شمال سوريا أو على الحدود ما بين سوريا وتركيا، وبذلك يكون «جوج» هو أنتيوخس أبيفانس سنة ١٧٠ق. م. تقريبًا. وبالتالي فإن «روش» ليست روسيا لأنها بعيدة عنها تمامًا.

وفي الكتابات الرؤوية، كان «جوج وماجوج» يرمزان إلى قوات الشر. أما بالنسبة ليوحنا فإنهما طريقة مختلفة للإشارة إلى جيوش الشر، لأن ما في ذهنه الآن هو الهجمة الكبيرة والأخيرة للشرير على كل ما لله. فالشيطان سيحشد كل جيوشه، أكبر عدد منهم لمقاومة الله وهم «مثل رمل البحر في الكثرة». وهذه هي اللحظة الحاسمة والمعركة النهائية (قارن رؤ ١٧: ١٤، ١٩: ١٩). ويرى ولكوك أن هذه المعركة لابد أن تكون بين الملوك الذين تمثلهم القرون العشرة التي للوحش الطالع من البحر، وبين الحمل الذي هو ملك الملوك (١٧: ١٤). وهي نفس المعركة التي سبق وصفها (١٩: ١٩-٢١). وفي كل حالة من هذه الحالات، تكون الهزيمة كاملة ساحقة في هذه الفصول، مما لا يترك مجالاً إلا للنظر إليها بأنها أوصاف مختلفة لنفس الحادث، أو المعركة الأخيرة في التاريخ. فالشواهد المختلفة (رؤ ١٦: ١٢-١٦ هرمجدون، ١٧: ١٤، ١٩: ١٩-٢١، ٢٠: ٧-١٠) تصف معركة واحدة وقتالاً واحدًا يَشِنُّه إبليس وأعوانه ضد معسكر القديسين أي الكنيسة.

«هرمجدون» هي جبل مجدو أو مرج بن عامر، فالكلمة مشتقة من الكلمة العبرية حار مجدو أي جبل مجدو. وهو يقع على الحافة الجنوبية الغربية لوادي يزرعيل. وهو موقع معارك هامة في تاريخ شعب الله (قض ٤-٦). والموقع الذي قتل فيه ملاك الرب عشرات الآلاف من جيوش سنحاريب (٢مل ١٩: ٣٥-٣٧). وهي رمز لكل حرب تشتد فيها الحاجة إلى عون إلهي، إذ يكون شعب الله على وشك الهزيمة فيتدَّخل الله بقوة لنصرة شعبه (قارن رؤ ١١: ١١، ١٦: ١٥، ١٩: ٢٠، ٢٠: ٩).

وحين يذكر الرائي «جوج وماجوج» (رؤ ٢٠: ٧-١٠) يشير بذلك إلى تجمُّع قوى الشر لمحاربة الكنيسة (شعب الله)

كما حدث من قبل تحقيقًا لنبوة حزقيال حيث اجتمعت هذه القوى لمحاربة شعب الرب القديم، حين هاجم أنتيوخس أبيفانس أورشليم وحاصرها، ونكَّل بأهلها ونجَّس الهيكل إذ ذبح خنزيرًا على المذبح سنة ١٦٩ ق. م.

فنبوة حزقيال (٣٨-٣٩) كانت إشارة نبوية إلى الاضطهاد المُخيف الذي أثاره أنتيوخس أبيفانس على أورشليم وشعب الله.

ومَن يقارن (حز ٣٨-٣٩) مع (رؤ ٢٠: ٧-١٠) يكتشف أكثر من وجه شبه بين الحادثتين:

- فبينما حدثت المعركة الأولى قبل مجيء المسيح الأول سنة ١٧٠-١٦٩ق. م، ستكون المعركة الثانية قبل المجيء الثاني للمسيح.

- هجوم جوج وماجوج (جيوش سوريا بقيادة أنتيوخس أبيفانس) كان آخر اضطهاد عظيم تعرَّض له شعب الله في التدبير القديم، وهو رمز مناسب للهجوم الأخير للقوات المضادة للمسيح على الكنيسة في التدبير الجديد.

- كانت جيوش جوج وماجوج كثيرة العدد، لذلك فهي رمز مناسب لاتساع المقاومة ضد الكنيسة (كرمل البحر) في الأيام الأخيرة التي تسبق المجيء الثاني للمسيح.

- كانت الضيقة في المعركة الأولى شديدة لكنها قصيرة الأمد، وهي توازي الضيقة الأخيرة التي ستكون أشد لكنها أيضًا قصيرة «زمانًا يسيرًا».

- في المعركة الأولى حدثت رجسة الخراب التي تنبأ عنها دانيآل النبي، وستتكرر قبل مجيء المسيح (وهو ما أشرنا إليه في أورشليم القدس وخطة الله للمستقبل).

- في الموقعة الأولى كانت هزيمة جيوش «جوج وماجوج» حاسمة وغير متوقعة، فهي عمل الله الذي تدَّخل لإنقاذ شعبه، وهذا الهجوم الضاري ضد إسرائيل يرمز إلى صراع إبليس الأخير مع الكنيسة لكن هزيمة إبليس حتمية وسريعة وحاسمة وساحقة.

إذن (رؤ ٢٠: ٧-١٠) لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى هجوم من أمم خارجية مثل روسيا والصين والهند والحبشة على أمم أوربا وإسرائيل كما يرى التدبيريون. فالعهد الجديد ليس فيه نبوات سياسية ولا علاقة له بالسياسة، ولا يمكن تطبيق نبواته على الأحداث السياسية المتغيرة، أو على صراعات محلية إنما يتحدَّث بوضوح عن الصراع الدائم بين إبليس والكنيسة، وبين ملكوت الله وإبليس، وهذه هي النقطة المحورية في كلمة الله. ولا يمكن أن يصف العهد الجديد معركة بين أمم متحضرة وأُخرى غير متحضرة ولكنه يصف هجوم قوات الشر ضد الكنيسة، لكن هذه القوات تُدحض وتُمحى وتُهزم.

(٣) نطاق المعركة.

يقول الرائي: «**فصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمُعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة**». إن «جوج وماجوج» في سفر الرؤيا ليسوا مجرد قوة معينة أو مجموعة من القوى بل هم «الأمم الذين في أربع زوايا الأرض» الذين عددهم مثل رمل البحر. والمعنى هنا أن كل العالم الشرير سيضطهد الكنيسة، وتعاني الكنيسة من مقاومة على نطاق عالمي. والمكان هنا «عرض الأرض» فهو ليس مكانًا محددًا، بل هجوم سيكون عامًا وشاملاً وحيث توجد الكنيسة.

هذه الجيوش العظيمة تحيط بـ «معسكر القديسين» الذي تترجمه NIV شعب الله و المدينة المحبوبة. ويبدو أن كلاً من التعبيرين «معسكر القديسين» و«المدينة المحبوبة» يعنيان «شعب الله». وكلمة "معسكر" تُظهر القديسين كما لو كانوا «جنود الله». وبالرجوع إلى الصورة التي رسمها العهد القديم عن الكنيسة، نجد الخيمة «المعسكر» والهيكل. والصورتان تعبران عن الكنيسة في ارتحالها «خيمة» ثم في استقرارها «كالمدينة المحبوبة أو الهيكل»، وتعبران عن الله الساكن وسط شعبه للعبادة، والمرتحل أمامهم لقيادتهم. فعبارة «المدينة المحبوبة» تقف في مقابل «المدينة العظيمة» التي تعني البشر في مجتمعاتهم المُنظمة ضد الله أو بعيدًا عن الله. وعلى ذلك فإن «المدينة المحبوبة» تشير إلى الكنيسة الشعب الروحي. وما يقصد يوحنا أن يقوله هنا أنه حيثما وُجِدت الكنيسة وبأي شكل كانت، معسكرًا أو مدينة فإنها سوف تُهاجم من إبليس. ومعنى هذا أن انتشار الرسالة سوف يتوقف بسبب ضربات إبليس القوية والمؤثرة ضد الكنيسة قبل المجيء الثاني مباشرة. ففي هذه المرحلة ينحسر دور الكنيسة، وشهادة الكنيسة كتنظيم قوي لن تستمر إلى النهاية. إلا أننا نشكر الرب لأن هذه الفترة قصيرة جدًا إذ يُحلُّ الشيطان زمانًا يسيرًا.

(٤) نتيجة المعركة

يتدَّخل الله بصورة مفاجئة وحاسمة إذ يقول الرائي: «**فنزلت نار من عند الله وأكلتهم. وإبليس الذي كان يُضلهم طُرِحَ في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذاب. وسيُعذَّبون نهارًا وليلاً إلى أبد الآبدين**» وهذا هو العقاب النهائي للشيطان إلى أبد الآبدين، وهكذا ينتهي إبليس تمامًا. وهذا هو الفرق بين تقييد إبليس ونهايته، فتقييده كما شرحنا لا يعني نهايته، لكن في المعركة النهائية ينتهي إبليس وأعوانه إلى الأبد.

لقد ظن أنه بإمكانه أن يهزم المسيح والكنيسة، لكنه طُرِحَ في بحيرة النار هو وأعوانه ليُعذبوا ليلاً ونهارًا إلى أبد الآبدين. ثم يأتي المسيح ليُنهي التاريخ مُعلنًا النُصرة الحاسمة له ولملكوته ولكنيسته.

خامسًا: الضيقة العظيمة

هل ستجتاز الكنيسة الضيقة العظيمة أم أنها ستُخطف فتنجو منها بينما يجتازها اليهود والمسيحيون بالاسم والوثنيون؟ وما هي الضيقة العظيمة؟ وما مدتها، أي متى تبدأ ومتى تنتهي؟

يؤمن التدبيرون أن المسيح سيأتي أولاً لاختطاف الكنيسة «مجيء لأجل قديسيه» ثم تقع أحداث الضيقة العظيمة لمدة

سبع سنوات، وهي فترة اضطرابات عظيمة تسود الأرض كلها تكون فيها حروب ومجاعات وزلازل. ويُقسمها البعض إلى قسمين: ثلاث سنوات ونصف (مبتدأ الأوجاع) والثلاث السنوات والنصف الأخيرة (الضيقة العظيمة). ثم يأتي المسيح ثانية «مجيء مع قديسيه» ليملك على الأرض ألف سنة. وسنتعرض لاحقًا لفكرة المجيئين، لكننا نركز هنا على الضيقة العظيمة. وينادي التدبيريون أن الكنيسة مثل أخنوخ الذي نقله الله إلى السماء قبل وقوع الطوفان على الأرض.

أدلة التدبيريين أن الكنيسة لا تجتاز الضيقة العظيمة

(١) أحفظك من ساعة التجربة

يقول المسيح لملاك كنيسة فيلادلفيا: «**لأنك حفظت كلمة صبري، أنا أيضًا سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله لتُجرِّب الساكنين على الأرض**» (رؤ ٣: ١٠). ويقولون إن المقصود بـ «ساعة التجربة» هي «زمن الضيقة العظيمة» عند نهاية هذا الدهر. ويقولون إن الحفظ من ساعة التجربة هو الاختطاف من العالم.

إلا أن هذا التفسير يُجَرِّد كنيسة فيلادلفيا في القرن الأول من التمتع بهذا الوعد بالحفظ من التجربة. فقد كانت الكنيسة كغيرها تجتاز في ضيقات قاسية، لكن الرب حفظها، إلا أن هذا لم يكن يعني اختطافًا. فالله أنجز وعده لهم بالحفظ، فإن ساعة التجربة أيًا كان معناها في هذا التعبير، فإنها حتمًا ترتبط بهم وبأيامهم. وبالتالي نحن لا نرى هنا دليلاً على اختطاف سرِّي للنجاة من الضيقة العظيمة.

يؤمن التدبيرون أن كنائس آسيا السبع تمثل سبعة عصور متتالية للكنيسة، تمتد من القرن الأول وحتى الاختطاف! فإذا صح ذلك فتكون الرسالة إلى كنيسة فيلادلفيا لا تشير إلى الاختطاف، حيث إنها كانت الكنيسة السادسة وليست السابعة والأخيرة. وإذا كانت الرسالة إلى فيلادلفيا تؤيد فكرة الاختطاف السري فإن عصور الكنيسة ينبغي أن تشمل فقط الرسائل الست الأولى فقط!!

إننا نؤمن أن المؤمنين يُحفظون من ساعة التجربة - في أي عصر كان - دون أن يُخطفوا من العالم. ويمكننا أن نرى تأكيدًا لهذه الحقيقة، بمقارنة «**لأنك حفظت كلمة صبري، أنا أيضًا سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله لتُجرِّب الساكنين على الأرض**» (رؤ ٣: ١٠). مع صلاة المسيح: «**أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك .. لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير**» (يو ١٧: ٦، ١٥). نلاحظ أن المؤمنين قد حفظوا الكلمة، ولأنهم حفظوا الكلمة فإن الله سيحفظهم من «ساعة التجربة» أو من «الشرير». وهذان المصطلحان يعبران عن شيء واحد، وكما ورد في الصلاة الربانية «لا تُدخلنا في تجربة، بل نجنا من الشرير» (مت ٦: ١٣). فإذا كان الله يحفظ المؤمنين من الشرير وهم في العالم دون أن يؤخذوا منه (يو ١٧: ١٥) فمن المؤكد أنهم لن يُختطفوا لكي يُحفظوا من التجربة في النص الآخر.

إذًا فالنص (رؤ ٣: ١٠) له معنى خاص بكنيسة فيلادلفيا، وقد تحقق لها في القرن الأول الميلادي. ولكنه أيضًا وعد

بقوة الله الحافظة لكل المؤمنين، في أية ساعة للتجربة، في أي قرن، أو في أي سنة أو أي يوم وليس فقط آخر سبع سنوات من هذا الدهر.

ادرس الشواهد (١كو ١٠: ١٢-١٣، ٢بط ٢: ٩، ١أخ ٤: ١٠، ١بط ١: ٥، يه ٢٤). فقوة الله تحفظنا وتنجينا من التجربة، ويستطيع الله أن يفعل ذلك دون اختطاف سري![١٠٦]

ولنا ملحوظات أُخرى على (رؤ ٣: ١٠)

(أ) إن التجربة قصيرة «ساعة التجربة» وكلمة «ساعة» تعني فترة قصيرة ومحددة ولابد أن تنتهي. وقد قال الرسول بولس: «**لأن خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئُ لنا أكثر فأكثر ثِقَلَ مَجدٍ أبديًا. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى، بل إلى الأشياء التي لا تُرى، لأن التي تُرى وقتية، وأما التي لا تُرى فأبدية**» (٢كو ٤: ١٧، ١٨). فالضيقة «وقتية» بينما المجد «أبدي».

(ب) الله يحفظنا في التجربة، أي يحفظ عقولنا من الضياع في التجارب المُحيِّرة، ويحفظ إيماننا فلا يخور في التجربة (لو ٢٢: ٣١-٣٢). بل إن الله يتوحد معنا فلا نضيع. فلا يمكن أن يكون موقفه هو موقف المتفرج، بل المتوحد بنا والمشجع والمثبت لنا إذ يقول: «**هوذا على كفيَّ نقشتك. أسوارك أمامي دائمًا**» (إش ٤٩: ١٦) «**في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم. بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة**» (إش ٦٣: ٩).

(جـ) هناك مسؤولية بشرية علينا إذ يقول: «**لأنك حفظت كلمة صبري، أنا أيضًا سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله لتُجرِّب الساكنين على الأرض**» (رؤ٣: ١٠). فإذا كنا نحفظ كلمته يحفظنا من التجربة، فالرب يحفظ مَنْ يحفظ نفسه من الشر، ويحفظ مَنْ يحفظ كلمته. فإذا أردنا أن يحفظنا الرب علينا مسؤولية أن نحفظ تعليمه ونتخذه مثالاً لنا في الصبر (نحفظ كلمة صبره) فنصبر كما صبر هو بشكر[١٠٧].

(٢) لكي تحسبوا أهلاً للنجاة.

يستند التدبيريون على قول المسيح: «**اسهروا إذًا وتضرعوا في كل حين، لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المُزمع أن يكون، وتقفوا قدام ابن الإنسان**» (لو ٢١: ٣٦). ويرون أن الكنيسة يجب أن تُخطف لكي تختبر هذه النجاة.

إلا أن قرينة هذه الآية «**السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول. فاحترزوا لأنفسكم لئلا تَثقُل قلوبكم في خُمارٍ وسُكر وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة. لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على الأرض. اسهروا إذًا وتضرعوا في كل حين، لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المُزمع أن يكون، وتقفوا قدام ابن الإنسان**» (لو ٢١: ٣٣-٣٦). تشير إلى يوم مجيء المسيح الثاني «ذلك اليوم» حيث يجتمع المؤمنون معًا لملاقاة الرب في الهواء وتحل الدينونة بهذا العالم. فإن لم يكن المؤمنون في الأرض، وقد اُختطفوا قبل النهاية «ذلك اليوم» بسبع سنوات، كيف يمكن أن يصادفهم «ذلك اليوم بغتة»؟!

لقد وعد الرب بالنجاة، أولئك الذين يسهرون ويصلّون ولا يرتبكون بهموم الحياة، من دينونة «ذلك اليوم». لذلك فالآية (٣٦) هي دعوة للصلاة لأجل «النجاة» ولا ذكر فيها أن الكنيسة ينبغي أن تُخطف من العالم لكي تختبر هذه النجاة. كما أن كلمة «النجاة» لا ترتبط بفترة زمنية محددة – سبع سنوات الضيقة – بل هي وعد إلهي بالنجاة من الدينونة لمَنْ لهم علاقة حية وشركة وثيقة مع الله في المسيح.

(٣) يُؤخَذ الواحد ويُترك الآخر

كثيرًا ما نسمع عظات عن الاختطاف السري، وبالتحديد حول قول المسيح: «**حينئذ يكون اثنان في الحقل، يُؤخذ الواحد ويُترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى، تُؤخذ الواحدة وتُترك الأُخرى**» (مت٢٤: ٤٠–٤١). ويقول أولئك الوعاظ أن المؤمنين يؤخذون إلى السماء بالاختطاف، بينما يُترك الأشرار يجتازون فترة الضيقة العظيمة. إلا أن قرينة هاتين الآيتين تبين أن الذين يؤخذون هنا ليسوا المؤمنين إلى السماء، بل هم الأشرار الذين يأخذهم الهلاك، تماما كما أُخِذَ غير المؤمنين بهلاك الطوفان المفاجئ (مت ٢٤: ٣٧– ٤٢). كما أن الفعل «يُؤخذ» أو «تُؤخذ» لا يعني أن هناك فارق زمني بين أخذ هذا وذاك، أي لا يُقصد به أن المؤمنين يُؤخذون ويُترك الأشرار لفترة الضيقة، لكن الفعل يعني الاختلاف في المكان. فالمكان الذي يُؤخذ إليه المؤمنون هو السماء، بينما يمضي الأشرار إلى عذاب أبدي، وعملية الأخذ لهؤلاء وأولئك تتم في وقت واحد.

(٤) مكانة خاصة لليهود في زمن الضيقة

يعطي التدبيرون لليهود مكانة خاصة باعتبارهم الشعب المختار الذين قال عنهم المسيح: «**لأجل المختارين تُقصَّرُ تلك الأيام**» (مت ٢٤: ٢٢). إلا أن شعب الله المختار في المسيح غير قاصر على اليهود فقط بل هو كل من يؤمن بالمسيح من كل الأمم والشعوب والألسنة. ولا يوجد هنا دليل أن المختارين هم اليهود فقط. وحتى وإن كان متى قد كتب إنجيله لليهود، إلا أن نفس هذه الكلمات وردت في مرقس ١٣: ٢٠ وإنجيل مرقس لم يُكتب لليهود بل للرومان. ويرى البعض أن متى هنا لم يكن يقصد أن يكتب عن الكنيسة، بل عن الأمة اليهودية، وقد نسي هؤلاء الأخوة أن كلمة كنيسة وردت في إنجيله ثلاث مرات (مت ١٦: ١٨، ١٨: ١٧).

أدلة كتابية أن الكنيسة تجتاز الضيقة العظيمة

بعد استعراضنا لأدلة التدبيريين (بالإضافة إلى ما شرحناه في الفصل السابق) نستعرض الآن التعليم الكتابي عن الضيقة العظيمة.

(١) المسيح المتألم

عانى المسيح نفسه أثناء حياته الأرضية من ضيقات وآلام وتجارب، لقد قال عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «**لأنه في ما هو قد تألم مُجربًا يقدر أن يعين المُجربين**» (عب ٢: ١٨). «**لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا،**

بل مُجَرَّب في كل شئ مثلنا، بلا خطية» (عب ٤: ١٥). لذلك قال لتلاميذه: **«احذروا من الناس، لأنهم سيُسلمونكم إلى مجالس، وفي مجامعهم يجلدونكم. وتُساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم ... وتكونون مُبغَضين من الجميع من أجل اسمي. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. ومتى طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى.. ليس التلميذ أفضل من المعلم، ولا العبد أفضل من سيده. يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه، والعبد كسيده. إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول، فكم بالحري أهل بيته!»** (مت ٢٤: ١٧-١٨،٢٢-٢٥). قارن (يو ١٥: ١٨-١٩).

(٢) وعد المسيح للمؤمنين بالحفظ والغلبة في الضيق

إن المسيح لم يعد المؤمنين به بحياة وردية صافية هانئة تخلو من التجارب، بل وعدهم بالحفظ في ساعة التجربة وقلب الأزمة، فقال مُشجعًا ومُحصِّنًا ضد متاعب المستقبل: **«قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا: أنا قد غلبت العالم»** (يو ١٦: ٣٣). وصلى للآب في صلاته الشفاعية قائلاً: **«لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير»** (يو ١٧: ١٥). ولم يُصَلِّ من أجل تلاميذه فقط بل أيضًا من أجل كل المؤمنين في كل العصور والأجيال في ربوع المسكونة، إذ قال: **«ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضًا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم»** (يو ١٧: ٢٠). ومن الملاحظ أن حرف الجر «من ɛK» المستخدم في (يو ١٧: ١٥) هو الذي استخدمه يوحنا أيضًا في (رؤ ٣: ١٠) **«سأحفظك من ساعة التجربة»**. كما يلاحظ أن النصين هما كلمات الرب يسوع، وقد كتبهما يوحنا الرسول. ومؤدى النصين أن المسيح لا يريد أن يأخذ الكنيسة من العالم، بل أن تعيش وسط العالم تؤدي رسالتها وتتفاعل مع مقتضيات عصرها حتى النهاية «ذلك اليوم».

(٣) التكليف بالمأمورية العُظمى

كلَّف المسيح تلاميذه بالمأمورية العُظمى قائلاً: **«فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»** (مت ٢٨: ١٩-٢٠). فالكنيسة يجب أن تظل في العالم تحقق الهدف من إرساليتها «إلى انقضاء الدهر». ولو أن الكنيسة اُختطِفت قبل النهاية بسبع سنوات يصبح وعد الرب بالمعية وعدًا غريبًا، فهو وعد دائم خاص بالكنيسة الكارزة بالإنجيل إلى انقضاء الدهر.

(٤) أمثال الملكوت

في أمثال الملكوت (مت ١٣) أكدَّ المسيح أكثر من مرة أن يوم دينونة الأشرار هو بذاته يوم مكافأة الأبرار، وهو يوم نهاية العالم.

- ففي مثل الحنطة والزوان (مت ١٣: ٢٤-٣٠) قال المسيح: **«دعوهما ينميان كلاهما معًا إلى وقت الحصاد، وفي وقت الحصاد أقول للحصَّادين: اجمعوا أولاً الزوان واحزموه حُزمًا ليُحرَق، وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني»**. وقد

شرح الرب لنا هذا المثل: فالزرع الجيد (الحنطة) قد زرعه «ابن الإنسان» يسوع المسيح، أما الزوان (أبناء الشرير) فقد زرعه «العدو» الشيطان. وقد زُرعا في حقل واحد هو العالم، حيث ينميان معًا إلى وقت الحصاد، والحصاد هو نهاية العالم (٣٧-٣٩). ويتابع المسيح قوله: «**فكما يُجمع الزوان ويُحرق بالنار، هكذا يكون في انقضاء هذا العالم: يُرسلُ ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم. مَنْ له أُذنان للسمع، فليسمع**» (٤٠-٤٣). وواضح هنا أن وقت الفصل بين فاعلي الإثم والأبرار هو النهاية.

وفي مثل الشبكة المطروحة في البحر (مت ١٣: ٤٧-٥٠) التي تجمع سمكًا من كل نوع، بعضه جيد والآخر رديء، وفي النهاية جمعوا السمك الجيد إلى أوعية والسمك الرديء طرحوه خارجًا. ويشير المسيح أن الفصل بين الاثنين سيحدث عند انقضاء العالم، إذ «**يخرج الملائكة ويُفرزون الأشرار من بين الأبرار، ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان**».

(٥) المجيء الثاني والطوفان

تحدَّث المسيح عن مجيئه الثاني مُشبِّهًا إياه باليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، وجاء الطوفان وأهلك الجميع. كما شبهَّه بيوم خروج لوط من سدوم فأمطر الرب عليها نارًا وكبريتًا من السماء فأهلك الجميع (لو ١٧: ٢٧-٣٠). وكان اليومان مفاجئين للناس، وهكذا يكون مجيء المسيح مفاجئًا في وقت غير متوقع، ليكافئ الأبرار ويهلك الأشرار الذين لم يؤمنوا به، فمجيئه غير محدد بسبع سنوات الضيقة.

(٦) الضيقات برهان عدالة الله

أكدَّ الرسول بولس حقيقة تعرُّض الكنيسة للاضطهاد (٢تس ١: ٣-٥). فقد كانت كنيسة تسالونيكي تتعرض لاضطهاد وضيق خارجي وانتشار معلمين كذبة بداخلها. إلا أن الرسول يشكر الله لأجل نموهم في الإيمان والرجاء والمحبة، فاستطاعوا أن يتغلبوا على التجربة وحولوها إلى نجاح. كما أنه يؤكد لهم أن هذه الضيقات «بيِّنَة» أو يقين وبرهان على عدالة الله. فإن كان المؤمنون يعانون الآن ضيقًا فإن الله سيكافئهم بالمجد والملكوت، بينما سيُعاقب الأشرار الذين يضايقون المؤمنين بهلاك وضيق أبدي. فالكنيسة تجتاز ضيقًا عظيمًا، ومرات نرى الصورة في الواقع مقلوبة وغير واضحة، إذ نرى الظُلم والألم والمعاناة لأبناء الله، فنتألم ونتساءل في حيرة لماذا؟! لكن الحقيقة نحن نرى سطح الصورة أو جانبًا واحدًا منها فنتساءل أين الله؟ والحل هو أن ندخل إلى مقادس الله، ونحاول أن نرى الصورة كاملة بعين الله (مز٧٣). فالله يتدَّخل مستخدمًا الألم ليؤهل المؤمنين لمجده وملكوته الأبدي. وفي نفس الوقت يقود الأشرار إلى الدينونة الأبدية، وهذا هو يقين عدالة الله (٢تس ١: ٤-١٠).

(٧) البلوى المُحرِقة

يشير الرسول بطرس إلى الضيقة ويسميها «البلوى المُحرقة» مؤكدًا أنها أمر متوقع، وليس غريبًا على المؤمنين في عصره وفي كل عصر (١بط ٤: ١٢-١٩).

(٨) الضيقة في سفر الرؤيا

نعود الآن إلى سفر الرؤيا، ونسمع الرائي يقول: «**أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره. كنت في الجزيرة التي تُدعى بطمس من أجل كلمة الله، ومن أجل شهادة يسوع المسيح**» (رؤ ١: ٩). فهو يؤكد منذ القرن الأول أنه شريك في الضيقة. والكلمة «ضيقة» هنا تعني الضغط بحجر ثقيل على صدر الإنسان. وبالطبع كان يوحنا يشير إلى ضغط الظروف والاضطهاد المرير الذي كان يعانيه مع الكنيسة أيام دومتيان الشرس.

وفي (رؤ ٧: ٩-١٧) يتحدَّث يوحنا عن «المجد بعد الضيقة». فبعد وصف الضيقة العظيمة التي تجتازها الكنيسة، رأي يوحنا جمهورًا لا يستطيع أحد أن يعده، هم عبيد إلهنا الحي، أي الكنيسة بمؤمنيها في التدبيرين، وهي منتصرة وهي في الأبدية، في حضرة الله وعرشه دائمًا، عددهم لا يعرفه أحد إلا الله وحده، فهم من كل القبائل في كل زمان ومكان، وهو يراهم واقفين أمام العرش والخروف الجالس على العرش، إنهم يتمتعون بالشركة مع الخروف ويخدمونه ويشاركونه في الكرامة. متسربلين بثياب بيض رمز النُصرة والطهارة والسعادة، وفي أيديهم سعف النخل لتحية قائدهم الملك المنتصر والذي وهبهم النصر، ويهتفون أمامه هتاف المنتصرين قائلين: **الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف**» (١٠). وفي الآيتين (١٣-١٤)» وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لي: «**هؤلاء المُتسربلون بالثياب البيض، مَنْ هم ومن أين أتوا؟» فقلت له: «يا سيد، أنت تعلم». فقال لي: «هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسَّلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف**». في هذا الحوار الرائع بين أحد الشيوخ ويوحنا سأل الشيخ يوحنا: «**هؤلاء المُتسربلون بالثياب البيض، مَنْ هم ومن أين أتوا؟**» وسؤاله كان يقصد منه أن يُلفت انتباه يوحنا إلى هذا الجمع وإلى معجزة تغييرهم وتبريرهم وتقديسهم. وإجابة يوحنا: «**يا سيد، أنت تعلم**». تُظهر رغبته في أن يسمع تفسيرًا من الشيخ. فأجاب الشيخ قائلاً: «**هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسَّلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف**». وكأنه يقول إن هؤلاء هم الكنيسة التي اجتازت الضيقة، هم كل المسيحيين الحقيقيين الذين غسَّلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف. والصفة «عظيمة» التي وصف بها الضيقة لأنها تصف كل الاضطهادات والتجارب والآلام والمعاناة التي تواجهها الكنيسة «كأفراد وككنيسة» لأجل المسيح في كل زمان ومكان، ما بين المجيئين الأول والثاني للمسيح. فالضيقة عظيمة من حيث طول الزمن (آلاف السنين) ومن حيث نوع ودرجة الضيق الشديد. إلا أن الكنيسة وهي تجتاز محمية وهي في قلب الأزمات والضيقات لأنه يوجد الرب المعزي والمشجع الذي «**في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلَّصهم. بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة**» (إش ٦٣: ٩).

(٩) تعليم آباء الكنيسة الأُول

أكدَّ آباء الكنيسة الأُول أن الكنيسة ستعاني من «ضد المسيح». فالديداكي Didache أو «تعاليم الاثني عشر رسولاً» وهي أقدم وثيقة مسيحية بعد العهد الجديد تُبَيِّن عقيدة الكنيسة الأولى، ورد فيها أن ضد المسيح سوف يأتي وبمجيئه سيضل كثيرون، إلا أن قيامة الأبرار سوف تعقب تلك الفترة العصيبة.

وقال يوستينوس الشهيد (سنة ١١٠-١٦٥م): سوف يأتي المسيح في مجد من السماء، عندما يظهر إنسان الخطية ويتكلم بأمور غريبة ضد العلي، ويتجاسر بالقيام بأعمال شريرة على الأرض ضد المؤمنين.

وقال إيريناوس (سنة ١٣٠-٢٠٢م): إن قيامة الأبرار ستعقب مجيء ضد المسيح، وعندما يظهر ضد المسيح هذا ويحطم كل شيء في العالم حينئذ يأتي الرب من السماء على السحاب بمجد الآب.

وترتليانوس (سنة ١٦٠-٢٤٠م) وهيبوليتس (سنة١٧٠-٢٣٦م): كانا يؤمنان أن ضد المسيح سيُجَرِّب المؤمنين ويضطهد الكنيسة.

وكيرلس الأورشليمي (سنة ٣٠٥-٣٨٦م): كان يؤمن أيضًا أن ضد المسيح سيأتي ويضطهد الكنيسة قبل مجيء الرب ثانية.

ومعظم رجال الله من المصلحين واللاهوتيين أمثال: چون ويكلف وچون هس ومارتن لوثر وفليب ميلانكتون ووليم تندل وچون نوكس وچون وسلي وسبرچن ومودي وچون ستوت وغيرهم. رفضوا فكرة اختطاف الكنيسة قبل الضيقة.

• إذن الكنيسة تجتاز الضيقة العظيمة، بل هي تصارع عبر الزمن مع أنواع مختلفة من الاضطهادات (سنشير إليها في علامات المجيء الثاني). والله يستخدم هذا الضيق لتنقية وتقويم الكنيسة وصقلها، والله يحفظ كنيسته في ساعة التجربة لتظل شاهدة أمينة برسالة الملكوت إلى انقضاء الدهر.

لقد وُهب للكنيسة أن تتألم من أجل المسيح **«لأنه قد وُهِبَ لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضًا أن تتألموا لأجله»** (في ١: ٢٩). **«إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه. فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا»** (رو ٨: ١٧ب-١٨).

سادسًا: علامات المجيء الثاني

وضع المسيح ست علامات لمجيئه الثاني، ثلاث منها تخص العالم ككل بما فيه الكنيسة، وثلاث أُخرى تخص الكنيسة. والجدير بالملاحظة أن هذه العلامات ليست علامات (مُحَدِّدة) أي لا تحدد المجيء، لكنها علامات (مُحَتِّمة) أو مؤَكِّدَة أي أنها تؤكد حتمية المجيء.

أولاً: العلامات التي تخص العالم بما فيه الكنيسة

(١) عدم وجود علامة شاذة

بينما يعيش الناس الحياة اليومية العادية، فجأة يأتي المسيح **«وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا، لا ترتاعوا. لأنه لابد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن. ولكن هذه كلها مُبتدأ الأوجاع .. وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويُزَوِّجون، إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان»** (مت ٢٤: ٦–٨، ٣٧–٣٩). كأن المسيح يقول ستحدث أمور وأحداث كثيرة (حروب ومجاعات وأوبئة وكوارث) لكن هذه ليست علامات تحدد مجيء المسيح بتوقيت محدد، فهي ليست إشارات مُحَدِّدة للمجيء، لأنها علامات وأحداث تعوَّد الإنسان على التعايش معها في كل العصور. فقبل مجيء المسيح الثاني لن يحدث شيء غير عادي، مُلفت للنظر. ففي أيام نوح كانت الحياة عادية رتيبة (عدد٣٧–٣٨)، وهكذا نحن اليوم نسمع بحروب وأخبار حروب، لكن ليس المُنتهى بعد. هذه العلامات ليست مُحَدِّدة للمجيء، لأن المجيء الثاني مفاجئ، سيحدث في وقت لا نعرفه ولا نحدده بعلامة.

(٢) زيادة مُعدَّل الشر والألم في العالم

بعدما تحدَّث المسيح عن حروب ومجاعات وأوبئة وكوارث أردف قائلاً: **«وهذه كلها مبتدأ الأوجاع»** أو «بداية الأوجاع». هذا يعني أن الأوجاع والشرور والآلام سوف تتكاثر وتتزايد. هذا ما نجده في كل جيل وعصر، فرغم التقدم التكنولوچي وزيادة رفاهية الحياة، إلا أن نسبة المجاعات قد ارتفعت، والأمراض التي لم يُكتشف لها علاج انتشرت بصورة مزعجة، وأخطار البيئة والتلوث وثُقب الأوزون يؤثر سلبًا على كوكب الأرض .. إلخ. لكن هذه كلها هي المبتدأ، وليست دليلاً على النهاية، إنها ليست علامة مُحَدِّدة للنهاية لأن النهاية غير معروفة، بل إن النهاية حتمية ومفاجئة.

(٣) ظهور أنبياء كذبة

يقول المسيح: **«لأنه سيقوم مُسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويُعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضًا»** (مت ٢٤: ٢٤). هدف هؤلاء الأنبياء الكذبة كهدف قائدهم «الشيطان»، ألا وهو التضليل بل أنهم يحاولون أن يضلوا ولو أمكن المختارين أيضًا، إنهم يقودون الناس بعيدًا عن الله، يُزينون تعليمهم الكاذب بكلام ملق. شكل تعليمهم من الخارج أخلاقي جذاب، لكنهم يدسون السم في العسل، ويخدعون البسطاء بتعاليمهم المملوءة نجاسة وشر. ويشوهون حقائق الإيمان والكتب المقدسة ويشككون المؤمنين في صحتها، وفي عصرنا الحاضر مئات الجماعات من هذه النوعية. وهم يأتون إليك في ثياب الحملان لكنهم من داخل ذئاب خاطفة (مت ٧: ١٥). وهم يغيرون شكلهم إلى شبه رُسل المسيح كما أن قائدهم الشيطان يُغَيِّر شكله إلى شبه ملاك نور (٢كو ١١: ١٣–١٥).

إن هذه النوعية من مدعي النبوة موجودة منذ وجود الإنسان على الأرض، فقد ظهر الأنبياء الكذبة منذ العصور الأولى للعهد القديم (وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل في الجزء الأول – الباب الأول). وهذه النوعية تتزايد باستمرار في كل العالم.

ثانيًا: العلامات التي تخص الكنيسة وحدها

(١) الضيق والاضطهاد

قال الرب يسوع: «**حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم، وتكونون مُبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي، وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضًا ويبغضون بعضهم بعضًا**» (مت ٢٤: ٩–١٠). إنه ضيق عظيم تجتاز فيه الكنيسة من جميع الأمم، فأمم كثيرة تضطهد الكنيسة الأمينة، حتى الأمم التي تقول أنه مسيحية. فالكنيسة ستعاني من ضيق شامل في كل اتجاه:

ضيق فكري وعقائدي: حيث ستُهاجم من وسائل الإعلام، وتظهر بدع وهرطقات كثيرة.

ضيق جسدي ومادي: يتمثل في الاعتداء على الأشخاص والممتلكات.

ضيق سيــاســـــي: من حكومات وقوى مضادة للمسيح والكنيسة.

والسبب الحقيقي للضيق هو أن الكنيسة الأمينة تمارس دورها النبوي وتكون ضميرًا للمجتمع، وتقدم مقياسًا ساميًا للأخلاق، وتوبخ الشر وتقف ضد الفساد. وهو ما توسعنا فيه عند حديثنا عن الضيقة العظيمة، وحل الشيطان.

(٢) الارتداد وظهور إنسان الخطية (ضد المسيح)

تحدث المسيح عن الارتداد الذي يحدث في الأيام الأخيرة فقال: «**حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم، وتكونون مُبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي، وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضًا ويبغضون بعضهم بعضًا. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين. ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين**» (مت ٢٤: ٩–١٢).

وفي هذه الآيات يشير المسيح إلى ثلاثة أنواع من الارتداد:

(١) ارتداد بسبب الأنبياء الكذبة الذين يضلون كثيرين.

(٢) ارتداد بسبب العثرة: فالكثيرون يقولون إن كان الله مع الكنيسة، فلماذا تعاني في مواجهة الاضطهادات الأليمة؟ عندئذ يعثر كثيرون ويسلّمون بعضهم بعضًا.

(٣) ارتداد بسبب كثرة الخطية والإثم: وتظهر الخطية في برود المحبة لله الذين يظهر في الانشغال عنه، وعن عبادته وخدمته. وبرود المحبة للآخرين الذي يظهر في المشاكل الأسرية والتفكك الأسري والطلاق، وانحراف الأولاد والبنات، ومحبتهم لأنفسهم فقط دون محبة وطاعة للوالدين.

إلا أن علامة الارتداد لا يمكن تحديدها، أي لا يمكن القول أنها علامة جازمة تؤكد سرعة مجيء المسيح، لأنها علامة متكررة في كل جيل. ففي القرن الأول الميلادي عانت الكنيسة من المعلمين الكذبة الذين شوشوا فكر البسطاء. فقد عانت كنيسة تسالونيكي من المقاومين والمضطهدين، وهي الفئة التي تحدث عنها الرسول في الأصحاح الأول من الرسالة الثانية إلى تسالونيكي مؤكدًا للكنيسة أن الله العادل سيجازي المؤمنين راحة ومجدًا، ويجازي المقاومين ضيقًا وهلاكًا أبديًا. كما عانت الكنيسة من فئة المعلمين الكذبة الذين بتعاليمهم المضلة أحدثوا تشويشًا لأفكار المؤمنين، وهذه هي الفئة التي يواجهها الرسول في الأصحاح الثاني من الرسالة: «**ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه، أن لا تتزعزعوا سريعًا عن ذهنكم، ولا ترتاعوا، لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا: أي أن يوم المسيح قد حضر. لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً، ويُستعلن إنسان الخطية، ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا، حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله، مُظهرًا نفسه أنه إله. أما تذكرون أني وأنا بعد عندكم، كنت أقول لكم هذا؟ والآن تعلمون ما يحجز حتى يُستعلن في وقته. لأن سر الإثم الآن يعمل فقط، إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن، وحينئذ سيُستعلن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه. الذي مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم، في الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا. ولأجل هذا سيُرسل إليهم الله عمل الضلال، حتى يصدقوا الكذب، لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سروا بالإثم**» (٢تس ٢: ١-١٢).

(١-٣أ) تحذير ضد المعلمين الكذبة

(٣ب-١٢) الارتداد وظهور إنسان الخطية

(١-٣أ) تحذير ضد المعلمين الكذبة

في الآيات الثلاث الأولى يحذر الرسول من التشويش الذي يسببه المعلمون الكذبة لأذهان المؤمنين، بخصوص مجيء المسيح الثاني: أنه قد جاء، أو قد حان، أو سيأتي حالاً في أيامهم. هذا التشويش له تأثير سلبي، إذ يستخدم الرسول لوصفه فعلين، الأول: «**تتزعزعوا عن ذهنكم**» والعبارة تشير إلى حالة عدم الاستقرار والاضطراب الفكري، وهي تصف حالة السفن تحت ضغط العواصف، أو الزلازل التي تزعزع أساسات المباني (أع ١٦: ٢٦).

الثاني: «ترتاعوا» أي ترتعبوا أو تفزعوا. والكلمة تصف حالة القلق المستمرة بسبب تعاليم المعلمين الكذبة.

ثم يأتي في العدد الثالث ليوضح الأمر للمؤمنين، فيقول لهم: «**لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً، ويُستعلن إنسان الخطية**». فهو يحذر المؤمنين ألا يخدعهم أحد بأي شكل من الأشكال، وألا يصدقوا أفكار المعلمين الكذبة، أن يوم المسيح قد حضر، لأنه لا يأتي إن لم يحدث أمران: الارتداد عن الله أو التمرد والثورة الكبرى ضد الله. وظهور شخص «إنسان الخطية» أو «ضد المسيح» (١يو ٢: ١٨-٢٢، ٤: ٣، ٢يو ٧). فالارتداد بقيادة إنسان الخطية لابد أن يسبق مجيء المسيح الثاني.

(٣ب- ١٢) الارتداد وظهور إنسان الخطية

(٣ب -٥) قائد الارتداد

(٦-٨) الثورة والحاجز

(٩-١٢) خطة ثورة إنسان الخطية

أولاً: قائد الارتداد (٣ب -٥)

يذكر الرسول أربعة أسماء أو ألقاب لهذا القائد تُظهر توجهه:

١- «إنسان الخطية» أو الإنسان الذي بلا ناموس[١٠٨]. أو الذي يحمل العداء لقواعد ولوائح القانون أو الشريعة أو إنسان المعصية[١٠٩].

٢- «ابن الهلاك» وهو الوصف الذي أطلقه المسيح على يهوذا (يو ١٧: ١٢). والوصف يعني أن مصيره الهلاك والدمار.

٣- «المقاوم» أي العدو المقاوم لكل ما يدعى إلهًا أو معبودًا.

٤- «المرتفع» أي المتشامخ على كل ما يدعى إلهًا أو معبودًا.

هذه الألقاب الأربعة تدل على أن فجوره ليس فجورًا دينيًا فحسب، بل أيضًا فجور أخلاقي. فهو ضد القانون لأنه إنسان الخطية أو إنسان المعصية أو اللاقانوني، أو الأثيم (عدد ٨) فهو معادي للقانون الأدبي والأخلاقي، أعماله منافية لكل ناموس وأخلاق. ينادي بأنه لا توجد أخلاقيات مطلقة فهو ينادي بعمل أي شيء باسم الحرية.

وفي الآية الرابعة **«المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا، حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله، مُظهرًا نفسه أنه إله»**. يعلن أنه ضد الله، مُظهرًا نفسه أنه إله أو مدعيًا أنه إله. يحاول أن ينصب من نفسه إلهًا، وبالتالي يقلل من قدر الله وينال منه. فهو لا يكتفي برفض عبادة الله بل يسعى أن يكون هو معبودًا[١١٠]. فالتعبير «مُظهرًا نفسه أنه إله» يكشف تجديفه الكامل، فالفعل «يُظهر» يعني يعلن، وهو يستخدم في الإشارة إلى إعلان الحاكم أو السلطان لسيادته وعظمته، أي أن إنسان الخطية يطلب العبادة لنفسه التي مُنعت أن تُقدم إلا لله. وعبارة «هيكل الله» يرجح أنها تشير إلى الكنيسة. فتوجه ضد المسيح أو إنسان الخطية هو مقاومة الله والقانون، الدين والأخلاق اللذين يعملان على ترابط المجتمع.

من هو إنسان الخطية؟

الصراع بين ملكوت الله والقوى والاتجاهات التي تقاوم الله، له تاريخ طويل. بدايته الأولى في جنة عدن (تك ٣) في محاولة الشيطان الخبيثة والمتغطرسة في صراع الإنسان لمزاحمة الله.

ومن يدرس سفر دانيآل يجد هذا الصراع محتدمًا بين المسيح كابن الإنسان الذي سيأتي ويأخذ المملكة وبين هذا الشخص «ضد المسيح» أو القوة الشريرة (دا ٧: ٨ ، ٢٥، ١١: ٢٨-٣١، ٣٦، ١٢: ١١). وقد تحققت هذه النبوة في أنتيوخس أبيفانس أو أنتيوخس الرابع، ملك سوريا، الذي نجس الهيكل في أورشليم سنة ١٦٩ ق. م عندما دخل قدس الأقداس، وأقام تمثالاً لزيوس فوق مذبح المحرقة وقدّم خنزيرًا عليه، وكان هذا قمة القبح المرعب[١١١]. فأنتيوخس نجّس الهيكل (دا ١١: ٣١) وجعل من نفسه إلهًا متسلطًا. لكن هذه الرؤيا لا تشير إلى أنتيوخس فقط، بل إنها تشير أيضًا إلى ما سوف يحدث في المستقبل. لذلك اقتبسها المسيح في خطابه على جبل الزيتون وأشار بها إلى حدث آخر مقبل (مت ٢٤: ١٥، ١٦، مر١٣: ١٤). ففي سنة ٤٠ م. عندما شعر الإمبراطور كاليجولا بعدم ولاء اليهود له، أمر بوضع تمثال كبير أو صورة كبيرة له في الهيكل. إلا أنه بسبب هياج الشعب ضده، وضغط بيترونيوس حاكم سوريا، وهيرودس أغريباس الأول، فسحب كاليجولا أمره، ثم أُغتيل سنة ٤١م. وفي سنة ٦٣م غزا القائد الروماني بومبي الأمة اليهودية وأسر أورشليم ونجس الهيكل بدخوله إلى قدس الأقداس. ثم جاء تيطس الروماني سنة ٧٠ م وهدم المدينة والهيكل.

وهكذا نرى أن نبوة دانيال تحققت عدة مرات وأن حديث بولس في (٢تس ٢: ٤) «**المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا، حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله، مُظهرًا نفسه أنه إله**». لا يشير إلى هيكل أورشليم بالتحديد، لكن إلى تجديف متغطرس على الله بصفة عامة أو ربما يشير إلى ارتداد وتمرد عالمي كوني أكثر منه محليًا.

يتفق عدد كبير من اللاهوتيين أن «إنسان الخطية» هو «ضد المسيح» الذي تحدث عنه يوحنا الرسول: «**أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة. وكما سمعتم أن ضدَّ المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة. مَنْ هو الكذاب، إلا الذي يُنكرُ أن يسوع هو المسيح؟ هذا هو ضد المسيح، الذي ينكر الآب والابن.. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد، فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم ... لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون، لا يعترفون بيسوع المسيح آتيًا في الجسد**» (١يو ٢: ٢٢،١٨، ٤: ٣، ٢يو ٧). و أشار يوحنا أن ضد المسيح كان معاصرًا له وموجودًا في أيامه، وكان يشير إلى بدعة الغنوسيين التي أنكرت التجسد باعتبار أن الجسد شر، وأن الله لا يمكن أن يتواجد في جسد. واعتبر يوحنا أن هذا التعليم ضد قلب الإنجيل لأنه لو لم يكن للمسيح طبيعته البشرية الكاملة لما تم عمل الفداء، ونبقى نحن في خطايانا[١١٢]. لذلك أسماه «المُضل والضد للمسيح».

وضد المسيح هو فكر «روح ضد المسيح» وهو شخص (١يو ٢: ٢٢، ٢يو ٧) بل أشخاص «أضداد كثيرون - مضلون كثيرون». فهو يصف مجموعة من الأشخاص أو المسحاء الكذبة كانوا معاصرين له، لكنه لا يستبعد أنه سيظهر في المستقبل ضدٌ أو أضداد للمسيح.

فإنسان الخطية أو «**سر الإثم الذي يعمل الآن**» (٢تس ٢: ٨) هو قوة عظمى تغطي العالم وتعمل في العالم، آثارها ظاهرة ولكن يصعب تحديد هويتها، نتائج عملها هي محاربة الحق وجر الناس إلى الإثم والضلال ومقاومة عمل المسيح،

والإيمان المسيحي. وفي ذات الوقت هو شخص أو إنسان تتجسم فيه كل تلك الشرور والمفاسد العظيمة. فهو قوة منتشرة في العالم وفرد يجسم كل ما هو عدو لله ولإنجيل المسيح. وهذا يكشف لنا فكر الرسول بولس الجماعي، فكما أنه يرى في آدم شخصًا جماعيًا يمثل الخليقة القديمة البعيدة عن الله، ويتكلم عن المسيح كشخص جماعي يمثل الخليقة الجديدة (رو٥: ١٢-٢١)، هكذا يصور لنا هذا الشخص كممثل لكل ما هو ومَنْ هو عدو للإنجيل. إنه يمثل العداء والأعداء الذين في العالم لكل ما هو إلهي[١١٣]. هذه الأوصاف تجسدت في أشخاص أيام الرسل، وهو يظهر في مراحل مختلفة ليقاوم إنجيل المسيح.

إذن مَنْ هو؟

رآه البعض في الوسط الديني أو الكنسي، ورآه البعض الآخر في المجال السياسي.

ففي المجال الديني رأى البعض أن يهوذا الاسخريوطي هو ضد المسيح، وهو الذي أطلق عليه المسيح (ابن الهلاك) (يو ١٧: ١٢) قارن (٢تس ٢: ٣). بل وتطرف البعض وقالوا إن يهوذا سيعود ثانية إذ يقيمه الشيطان من الموت ليأخذ دور ضد المسيح. وفي بدايات العصور الوسطى - خاصة أيام الحروب الصليبية - رأت الكنيسة الغربية في الإسلام ضد المسيح، وفي أواخر العصور الوسطى رأى بعض الآباء الفرنسيسكان في فساد البابوات ضد المسيح. والمصلحون الأوائل أمثال جون ويكلف في إنجلترا، وجون هس في بوهيميا في إيطاليا، رأوا أن البابا هو ضد المسيح. ومصلحوا القرن السادس عشر أمثال مارتن لوثر وكلفن وزونجلي ونوكس في اسكتلندا، وكرانمر في إنجلترا رأوا البابوية كنظام هي نفسها ضد المسيح. وعلى العكس رأى قادة الكنيسة الكاثوليكية في لوثر ضد المسيح. وحتى آخر القرن السابع عشر وفي قانون الإيمان الوستمنستري سنة ١٦٤٦م نرى إعلانًا أن رأس الكنيسة هو المسيح، وأن البابا هو إنسان الخطية (فصل ٢٥: ٦).

أما في القرنين الماضيين فقد رأى البعض في القادة السياسيين ضد المسيح، فبعد الحرب العالمية الأولى اعتقد البعض أن قيصر روسيا سوف يظهر ويكون هو ضد المسيح، وبعد سنوات ظهر جوزيف ستالين ورآه البعض أنه تحقيق لهذا الشخص. ثم قيل إن هتلر وموسيليني ونيرون أو إمبراطور روماني أو الإمبراطورية كنظام. وأشار البعض إلى قادة سياسيين معاصرين كثيرين أنهم ضد المسيح.

من الواضح أن تاريخ الكنيسة مليء بالتوقعات والاتجاهات حول تحديد هوية إنسان الخطية. ويلاحظ أن الأوقات التي كانت الكنيسة تجتاز في ضيقات واضطهادات من الحكام كان البعض يشير إلى ضد المسيح من الوسط السياسي، والأوقات التي كانت تكثر فيها البدع والهرطقات داخل الكنيسة كانوا يعتبرون أن ضد المسيح سيخرج من الكنيسة.

ونحن في الحقيقة نرى أفواجًا متكررة من أنواع ضد المسيح، سواء في التعاليم الخاطئة المضلة أو في نماذج الحكام والقادة السياسيين أو أولئك المتمسحين برداء الدين والمعادين في نفس الوقت لله ولشعبه، وللقانون المدني والأخلاقي.

فينادون بالفوضى والفساد باسم الحرية، ويدوسون القيم والمبادئ في غطرسة وطغيان يهددان استقرار المجتمعات وتماسكها، ويقفون ضد الدين الصحيح والأخلاق الحميدة، ويرفضون سلطة الدولة والأسرة وأنوار العلم والفكر. بمعنى أن ضد المسيح يتكرر دائمًا في صور متعددة. فالنبوات تتحقق مرارًا ودائمًا، وطالما أننا مازلنا ننتظر مجيء المسيح، فلابد أن ننتظر مجيء ضد المسيح بصور متعددة.

ثانيًا: الثورة والحاجز (٦-٨)

«والآن تعلمون ما يَحجِزُ حتى يُستعلَن في وقته. لأن سر الإثم الآن يعمل فقط، إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن، وحينئذ سيستعلن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة فمه، ويُبطله بظهور مجيئه».

يقود «إنسان الخطية» ارتدادًا دينيًا أو ثورة ضد الله. ولأنه قوة تعمل ضد الله وضد القانون أو الشريعة، فهو يتسلل ويخترق الكنيسة الاسمية. وسيستعلن إنسان الخطية بصورة جلية في وقته، أي في الوقت المناسب، والرسول لم يعط توقيتًا محددًا لاستعلان إنسان الخطية، أو المجيء الثاني للمسيح، بل كأنه يقول: لا تنزعجوا، ولا تنشغلوا بالتوقيت، وسوف يتم كل شيء في وقته فليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه (أع ١: ٦-٧).

وإن كان إنسان الخطية يعمل الآن من خلال قوته الخفية «سر الإثم» بقوى خفية نراها في مجالات الفساد والتطرف والإلحاد والإرهاب، لكن سيأتي الوقت الذي فيه يُستعلن «إنسان الخطية» وينفجر الشر.

ويرتبط إعلان «إنسان الخطية» بالحاجز أو «الذي يحجز» فإن كانت القوى السرية والخفية لإنسان الخطية تعمل الآن بطريقة مختفية ومدمرة، فهناك أيضًا سلطة موجودة، تعمل الآن أيضًا، وتحجز هذه القوى الشريرة من أن تنفجر نهائيًا. ويمكن ترجمة النص: «أنتم تعلمون ما يعوقه إلى أن يظهر في أوانه. فسر المعصية يعمل الآن عمله، ولكن يكفي أن يُزال من الوسط ما يعوقه الآن»[١١٤]. أي أن السلطة التي «تحجز» أو تعوق القوى الشريرة من الانفجار النهائي، سوف ترفع في وقت ما وبطريقة ما. عندئذ ستصل القوى الشريرة (إنسان الخطية) إلى قمة انفجارها. والفعل «يحجز» يعني يُمسك بشدة (١تس ٥: ٢، ١كو ٥: ٢، ٢كو ٦: ١٧، كو ٢: ١٤).

ما هو الحاجز؟

يبدو من الصعوبة الإجابة على هذا السؤال، لأننا أمام أمر كان واضحًا للتسالونيكين إذ يقول لهم: «والآن تعلمون ما يَحجِزُ حتى يُستعلَن في وقته». فقد سبق أن أخبرهم بذلك «**أما تذكرون أني وأنا بعد عندكم، كنت أقول لكم هذا؟**» ولكن الأمر غامض بالنسبة لنا. لكننا سنحاول أن نستخرج من قرينة النص بعض الحقائق عن ما يحجز.

١- إن هذا الحاجز يعمل الآن بفاعلية في العالم لدرجة أنه يمنع قوى الشر من الانفجار النهائي والكامل.

٢- يأتي لفظ «الحاجز» في صيغة محايدة (اللاجنس أو التي لا تحدد جنسًا Nuter) أي أنه قوة أو سلطة ما«It»

(ما يحجز عدد ٦). ويأتي مرة أُخرى بصيغة المذكر، أي أنه شخص «He» (الذي يحجز). فهو شخص وقوة، أو أنه شخص يستخدم القوة.

٣- في الوقت المناسب والمحدد عند الله، سيرفع هذا الحاجز، وعندئذ يحدث الانفجار النهائي ويُستعلن إنسان الخطية ثم يأتي المسيح ثانية.

٤- يتحدث الرسول عن الحاجز بأسلوب غامض، ولابد أن هناك سببًا دفعه لذلك.

إذًا لابد أن يكون هذا الحاجز سلطة مؤثرة اجتماعيًا، معلنة بطريقة شخصية، وسُترفع أي أنها زائلة تاريخيًا، وحساسة حتى أن الحديث عنها تم بقدر من الغموض والتحفظ.

هنا نعود لسؤالنا: **ما هو الحاجز؟** وهناك أربعة آراء:

١- الروح القدس وعمل الكنيسة

الشخص هو الروح القدس He وعمل الكنيسة It. والرب يسوع علّم شعبه أن يكونوا كالملح في الطعام الذي يحجز الفساد لأنه يحفظ العالم من الفساد، وكالنور الذي يكشف الفساد (مت ٥: ١٣-١٦). أي أن يمارس شعب الرب قوة الحجز للفساد من المجتمع.

أوجه ضعف هذا الرأي:

أ- إذا كان يتحدث عن الروح القدس والكنيسة، لماذا يتحدث بهذا الغموض؟

ب- كيف يقول أن الحاجز سيُرفع والكنيسة ستلتقي مع المسيح وتجتمع إليه عند مجيئه؟

٢- الإنجيل والكارزون به

كان كالفن من أكثر المنادين بهذا الرأي. وقد رأى بعض أتباع هذا الرأي أن الرسول بولس نفسه هو الشخص، والقوة الحاجزة هي الإنجيل نفسه. فالإنجيل يجب أن يُنشر في كل العالم، وتُحجز القوى الشريرة حتى يتم تبشير العالم، وعندما يُبشر العالم سيأتي الأثيم.

أوجه ضعف هذا الرأي:

أ- الرسول لم يفكر في نفسه يومًا ما أنه هو الحاجز، ولم ير نفسه في مركز المرحلة المستقبلية وأنه لن يموت، لكن تحدث كثيرًا عن الرجاء للراقدين (١تس ٤: ١٣-١٨).

ب- يقول إن الحاجز سيرفع من الوسط، لكننا لا نجد في أي موضع في العهد الجديد أن الكرازة بالإنجيل تتوقف يومًا ما، ما دام التاريخ باقيًا.

٣- الدولة الرومانية وقوة الدولة

أصحاب هذا الرأي يقولون إن الحاجز هو الدولة الرومانية ممثلة في شخصية الإمبراطور، وليست روما وحدها، بل كل دولة على مر التاريخ تعمل على سيادة القانون وحفظ النظام، وصنع السلام، وإقامة العدل (رو ١٣: ١-٥).

ما يدعم هذا الرأي:

أ- الموقف الإيجابي الذي اتخذه الرسول بولس من الدولة الرومانية (رو١٣: ١-١٣، ١تي٢) وقد شجعته هذه النظرة إلى الدولة أن يرفع شكواه إلى قيصر، وأن يتمسك بالجنسية الرومانية لحمايته من الجلد والقتل (أع ١٦: ٣٧-٤٠، ٢٢: ٢٥، ٢٩).

ب- إن إنسان الخطية يشير إلى قوى ضد القانون والنظام، وأن روما في وقتها كانت القوة الحامية للقانون. لذلك يرى بلامر وآخرون أن هذا الرأي هو الأكثر إقناعًا. كما أن أي دولة صالحة على مر التاريخ هي القوة التي تحمي القانون وتنفذه.

جـ- هذا الرأي يفسر لماذا يأتي اللفظ في صيغة (المذكر) وصيغة (اللاجنس) فالقوة الحاجزة شخص وسلطة، الإمبراطورية والإمبراطور، العدالة والقاضي، القانون والمسؤول عن تنفيذه.

د- هذا الرأي يفسر عدم الوضوح في كلام الرسول، لأنه لا يبين الأسباب والزمن لرفع أو إزالة قوة الدولة من مسرح الحياة.

هـ- أن الدولة الصالحة هي التي تحمي حرية العبادة لله.

ويقول أصحاب هذا الرأي، ومن أبرزهم د. القس مكرم نجيب[١١٥] إن سر الإثم (القوة السرية لإنسان الخطية) يعمل الآن مع وجود قوة الدولة، وبرغم عدم الاستعلان الواضح لإنسان الخطية، لكنه يعمل ضد الله والقانون، بقوى خفية يمكن رصدها حولنا الآن، في موجات من الإلحاد، في طغيان أيدلوجيات التطرف لليمين ولليسار، في مادية المجتمع الاستهلاكي الذي يضع الأشياء في مكان الله، في الأفكار الغريبة والخاطئة التي تعلن امتهان القيم وموت الله، في الإرهاب والانقضاض على الحكم، في الاتجاهات التي تُفسد وتدمر الجمال السامي الذي خلقه الله في الأسرة والزواج والجنس وتجعل من كل هذا سلعة رخيصة، في المشكلات المتفاقمة في المجتمع، كالفقر والتلوث والانحراف والبطالة.

ويختم د. القس مكرم رأيه بالقول: «صحيح أن الكنيسة بالروح القدس، وبنشر الإنجيل، تحفظ العالم من الفساد كالملح، وتكشف الفساد كنور، لكنها لا تملك سلطة رادعة. والسلطة هنا هي سلطة العدالة التي تملكها الدولة الصالحة - أي دولة تعمل للعدل والإصلاح.

أما د. القس فهيم عزيز فيرى أوجه ضعف في هذا الرأي:

أ- أن هذا الرأي يدل على أن نبوة الرسول لم تتحقق.

ب- وصف الدولة كحاجز، لا يتفق والأوصاف التي نُسبت إلى ضد المسيح، الذي يُفسر في أغلب الأحيان على أنه نبي كذاب وليس حلاً سياسيًا أصيلاً يريد أن ينفرد بالسلطان السياسي. علاوة على ذلك أنه لم يُعرف عن الدولة الرومانية أنها كانت تقف إلى جانب عبادة الإله الحي، على العكس كان الرومانيون أقرب إلى ضد المسيح منهم إلى الذي يحجز.

٤- ما يقودنا لتكوين فكرة عن الحاجز هو أن ندرك أن هذه لغة رؤوية وليست تاريخية حرفية، وما علينا أن نعرفه هو أن سر الإثم يعمل الآن. هو موجود ولكنه يوما ما سيتجسم في إنسان الخطية ويفجر كل شر وكل إثم علنًا، فقوى الشر الشيطانية تعمل، وأن هناك ما يحجزها أو يخضعها حتى يحين الوقت. ففي دانيآل ١٠: ١٣، ١٢: ١ يظهر ميخائيل الرئيس القائم لشعب الله الذي يعينهم ضد قوة الشر الممثلة في رئيس فارس أو غيره، ويمنع شره عنهم. وفي قصة إخراج الشياطين من الرجل الذي كان به روح لجئون يقول البشير لوقا إن الأرواح النجسة طلبت من يسوع ألا يرسلها إلى الهاوية الآن، وهذا يدل على مدى سيطرته عليها (لو ٨: ٣١). وفي رؤيا ٢٠: ٢ يقبض على الحية القديمة، ويقيد ويمنع شره وفساده عن العالم.

هذا كله يبين أن الحاجز قد يكون هو الله نفسه أو قوة أخرى يقيمها هو أو حاكم يرسله معين من قبله، يحجز الإنسان الأثيم من إعلان نفسه[١١٦].

دورنا نحن المؤمنين أن نحترس من قوى الشر ومن كل ممارساتها ضد المسيح وملكوته. وأن نعمل ونساند السلطة الصالحة المترتبة من الله لكبح جماح الشر وأن نقوم بدورنا في إصلاح المجتمع ودعم القوى المعتدلة فيه.

المعركة الأخيرة

يتحدث الرسول في الآية الثامنة: «**وحينئذ سيستعلن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة فمه، ويُبطله بظهور مجيئه**». عن المعركة الأخيرة إذ سيجيء الوقت الذي فيه يتم الانفجار النهائي لقوى الشر، ولكن من رحمة إلهنا أنها فترة قصيرة جدًا وبعدها مباشرة يأتي الرب ثانية. إذ يبيده الرب بنفخة فمه أي بكلمة فمه (رؤ ١٩: ٢١). ويبطله بظهور مجيئه أي يُبطل قوته وعمله أو يحطمه ويلاشيه بضياء مجيئه. ونحن نشكر الله أنه لا توجد معركة طويلة بل سيأتي الانتصار حالاً. فالرب هو الضابط لكل الأشياء والأحداث، بيده مقاليد الأمور ومصائر الأشياء، هو المتحكم في الزمن والتاريخ، ونحن متيقنون أننا في يده وموضع رعايته، لذلك فلنثبت لأن انتصارنا النهائي مضمون ويقيني في الرب المنتصر.

ثالثًا: خطة ثورة إنسان الخطية (٩-١٢)

«الذي مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم، في الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا. ولأجل هذا سيُرسل إليهم الله عمل الضلال، حتى يصدقوا الكذب، لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سروا بالإثم».

لدى إنسان الخطية خطة محكمة لقيادة الثورة والارتداد عن الله. وكما أشرنا أن الصراع بين ملكوت الله وملكوت إبليس محتدم دائمًا، يعود الرسول هنا ويكتب عن طرفي الخطة: الشيطان (عدد ٩) والله (عدد ١٢). والطرفان يعملان في نفس الوقت بقوة. لذلك يستخدم الرسول كلمة «عمل» وينسبها إلى الشيطان وإلى الله، والكلمة في الأصل تعني «القوة في العمل» أو «العمل بقوة» Action Power in. ويتحدث الرسول عن خطة إنسان الخطية في قيادة الارتداد والتمرد والثورة ضد الله، ونتيجة هذا الارتداد على إنسان الخطية وعلى أتباعه.

١- عمل الشيطان

«الذي مجيئه بعمل الشيطان» مجيء ضد المسيح محاكاة متعمدة لمجيء المسيح الثاني. فالرسول يستخدم نفس الكلمات لوصف الاثنين:

- ففي تسالونيكي الأولى ٤: ١٥، تسالونيكي الثانية ٢: ١، ٨ يتحدث عن مجيء المسيح، ثم الحديث عن مجيء إنسان الخطية (٢تس ٢: ٩) يتبع الحديث عن مجيء المسيح الثاني مباشرة.

- في تسالونيكي الثانية ١: ٧ يتحدث عن استعلان الرب يسوع من السماء، وفي تسالونيكي الثانية ٢: ٣، ٦، ٨ يتحدث عن استعلان إنسان الخطية.

- سيأتي المسيح في قوة ومجد (٢تس ١: ٧، ٢: ٨) وكذلك سيكون استعلان إنسان الخطية مصحوبًا بكل قوة وبآيات وعجائب (٢تس ٢: ٩).

٢- هدف الشيطان

إنسان الخطية سيأخذ قوة وسلطانًا من الشيطان حتى أنه يقوم بعمل آيات وعجائب، وهي نفس الكلمات التي استخدمها الرسول بطرس في وصف معجزات المسيح حين قال لليهود في يوم الخمسين: «**أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم تعلمون**» (أع ٢: ٢٢). لكن شتان الفرق بين هذه وتلك، فالأولى بعمل الشيطان، أما الثانية فقد عملها الله بيده. الأولى هدفها هو التضليل والخداع «**بكل قوة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم، في الهالكين**» أما معجزات المسيح فكان هدفها إعلان الحق والتنوير وقيادة الناس للإيمان أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لنا حياة أبدية إن آمنا به (يو ٢٠: ٣٠-٣١). فآيات إنسان الخطية ملآنة كذبًا. والكذب لا يعود على الآيات والمعجزات في ذاتها فهي تحدث فعلاً، لكن الكذب يعود إلى المصدر والهدف: المصدر هو عمل الشيطان، والهدف هو التضليل وقيادة الناس إلى الهلاك. فإنسان الخطية جاء ليحارب ويناقض كل ما جاء المسيح لأجله. لذلك يضيف الرسول: «**وبكل خديعة الإثم، في الهالكين**». وفي ترجمة حديثة: «**بكل أنواع الإثم التي تخدع الهالكين**». فكلا المجيئين مجيء المسيح الثاني وظهور واستعلان إنسان الخطية، سيكونان بصورة شخصية مرئية مصحوبة بقوات وآيات وعجائب. وهنا سيؤخذ الكثيرون بخداع الشيطان أو بخديعة الإثم، أو الخديعة الشيطانية.

٣- سبب السقوط

يشير الرسول إلى سبب سقوط أتباع إنسان الخطية في خديعته فيقول: «**لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سيُرسل إليهم الله عمل الضلال، حتى يصدقوا الكذب**». ومحبة الحق هي حق الإنجيل (غل ٢: ١٤) أو كلمة حق الإنجيل (كو ١: ٥) ويسوع هو الطريق والحق والحياة (يو ١٤: ٦). والرسول يقول إن محبة الحق قُدمت لهم لكنهم رفضوها، ولأنهم رفضوا لن يخلصوا، لقد خُدعوا فرفضوا، لهذا السبب سيرسل الله إليهم عمل الضلال، حتى يصدقوا الكذب. والكذب هنا هو إنكار الحق الأساسي أن الله هو الله كما يقول F. F. Brucc[١١٧]. أو رفض ربوبية الله وسيادته على الحياة، وتصديق ضد المسيح الذي يُظهر نفسه أنه إله (عدد٤). لذلك «**سيُرسل إليهم الله عمل الضلال، حتى يصدقوا الكذب**». وفي ترجمة حديثة: «**لذلك يرسل الله إليهم ما يعمل على ضلالهم حتى يصدقوا قول الكذب**». لأنهم بإرادتهم الحرة المختارة أغلقوا عيونهم وعقولهم وقلوبهم عن محبة الحق ورفضوه. ويصور الرسول هذا الموقف في رسالته إلى أهل رومية فيقول: «**لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي.. لذلك أسلمهم الله أيضًا في شهوات قلوبهم.. الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان.. كما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق.. الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذي يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط، بل أيضًا يسرون بالذين يعملون**» (رو ١: ٢١، ٢٤-٢٦، ٢٨، ٣٢). فرفضهم عبادة الله وعبادة آلهة أُخرى هو قمة عمل الضلال، وخديعة الإثم. وهذا يرجع إلى خضوعهم لعمل إبليس، الذي أعمى أذهانهم، فكتم رسالة الإنجيل عنهم: «**إن كان إنجيلنا مكتومًا، فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله**» (٢كو ٤: ٣-٤).

٤- نتيجة السقوط

«**لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سروا بالإثم**». بدلاً من أن يصدقوا الحق فعلوا النقيض فسروا بالإثم، أي انتهكوا القيم الأخلاقية وامتهنوها. وبذلك يكونوا قد رفضوا ربوبية الله وعبادته، وانتهكوا قيم الحق، واستمتعوا بعمل الإثم والشر.

* رفضوا محبة الحق، فأرسل الله عليهم عمل الضلال.
* سُرّوا بالإثم، اختاروا الشر بحريتهم وسروا به. أو سرهم الإثم.
* رفضوا أن يصدّقوا الحق ويحبوا الحق، بل صدّقوا الكذب وهذا مسلك طبيعي لأنهم سروا بالإثم.
* رحبوا بالشيطان بينهم وفيهم فخدعهم، وأعمى أذهانهم.
* لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم، فأسلمهم الله لشهوات قلوبهم إلى النجاسة، فما أسلمهم الله إليه هو

ذات الطريق الذي اختاروه، وعكس ما أراده لهم. أي أن الله أسلمهم لاختيارهم..فأرسل عليهم عمل الضلال أو قوى الضلال الخادعة حتى يصدقوا الكذب. وبذلك هم مدانون وهالكون.

إنه تدرج طبيعي واضح، فالهبوط إلى القاع يبدأ بمحبة الشر، الذي يقود إلى رفض الحق، والاستمتاع بالإثم، والخداع من الشيطان، وبالتالي حكم الله عليهم وتسليمه إياهم لقساوة قلوبهم، والدينونة النهائية. كل هذا بحرية الإنسان واختياره.
ملخص

يرى چون ستوت أن الرسول بولس يقسم المشروع التاريخي إلى ثلاث مراحل:

- الآن عصر السلطة الحاجزة، فقوى الشر الخفية لإنسان الخطية تعمل ولكنها مراقبة ومحجوزة.
- ثم يأتي عصر الارتداد والتمرد، فيه تُرفع السلطة الحاجزة ويُستعلن إنسان الخطية، وتنفجر هذه القوة بلا حدود.
- أخيرًا عصر الجزاء والعقاب، فيه يأتي الرب يسوع ويحطم القوى التي تقف ضده: «**يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه**». ويدين الذين صدقوا الكذب، وسروا بالإثم، وتبعوا ضد المسيح.

وفي إطار حديث سفر الرؤيا عن الاضطهاد يشير إلى أربعة أعداء للكنيسة هم «التنين والوحش الصاعد من البحر والوحش الصاعد من الأرض وبابل الزانية». التنين هو إبليس نفسه، وهو الذي يقود ويحرِّك كل قوة تعمل ضد الله وملكوته في العالم. أما وحش البحر فصورته تشبه الوحوش الخارجة من البحر (دا ٧) وهو يمثل (السلطات المدنية المضادة للمسيح والكنيسة) وطلوعه من البحر يشير إلى ظهوره وسط اضطرابات دولية وفتن شعبية في العالم، لأن الكتاب المقدس يعبر عن الاضطرابات الهائجة بالبحر الهائج (مز ٤٦) (رؤ ١٧: ١٥) حيث يذكر أن المياه هي شعوب وجموع وأمم وألسنة، أما الرؤوس فتشير إلى ممالك متتالية.

أما وحش الأرض أو النبي الكذاب (رؤ ١٦: ١٣، ١٩: ٢٠، ٢٠: ١٠) له قرنان كخروف ولكنه يتكلم كتنين، ويستمد سلطانه من الوحش الأول، فيدفع الناس للسجود له أو أن يطبعوا سمته على أيديهم وجباههم. وهو يمثل (السلطات الدينية والفلسفات المادية والأفكار المضادة للمسيح والكنيسة).

ويشار إلى الوحش بالرقم (٦٦٦) والغالب أنه الرقم (٦) مكررًا ثلاث مرات. والرقم (٦) يشير إلى الفشل في الوصول إلى الكمال لأن العدد (٧) يشير إلى الكمال. وبذلك يكون الرقم (٦٦٦) يشير إلى فشل الوحشين المستمر في السيطرة على الكنيسة وغلبتها.

أما بابل الزانية فيشار بها إلى قوة الإغراء التي يستخدمها إبليس لإبعاد المؤمنين عن المسيح، ويحاول أن يخدعهم ويُسقطهم في الخطية.

الحقيقة الواضحة إذن هي أن النضال والصراع بين الله والشيطان، بين الإيمان وقوى الارتداد، بين الخير والشر، بين النور والظلمة باق، بل وسيتصاعد هذا الصراع إلى أن يأتي اليوم الذي فيه تكمل الكنيسة جهادها، ويتم نصرها بمجيء المسيح الثاني.

(٣) وصول الإنجيل إلى كل الأمم

قال الرب يسوع: «**ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى**» (مت ٢٤: ١٤). هذه علامة مُشجِّعة للكنيسة، ويمكن قياسها (أي أنها مُحَدَّدة) فرغم الضيق والاضطهاد الشامل للكنيسة، فإن الإنجيل سوف يمتد وينتشر، والكنيسة ستنمو وتنتشر، وتصل الرسالة إلى كل العالم. هذا لا يعني أن كل العالم سيؤمن بالمسيح بل إن الرسالة ستصل إلى كل بقعة في الأرض.

سيسير خطان متوازيان معا: زيادة معدل الشر والارتداد، وامتداد وانتشار رسالة الإنجيل وتقدُّم الكنيسة وزيادة المؤمنين. فالشر يتزايد يومًا فيومًا، الضلالات والبدع تظهر يوميًا، وكثيرون يرتدون عن الإيمان الصحيح، لكن رسالة الإنجيل تنمو والنور يتزايد ليصل إلى كل العالم، وعندما تصل الرسالة إلى كل العالم يأتي المسيح.

هذه العلامة مرتبطة بمدى أمانة وجدية الكنيسة في الكرازة والخدمة، فكلما اجتهدت الكنيسة ووسعت من دائرة خدمتها تُقَرِّب مجيء المسيح. كل نفس تربحها الكنيسة للمسيح تُقَرِّب مجيئه.

وكأن المسيح في حديثه عن العلامات يقول لنا: لا تنتظروا علامات مُحَدَّدة للمجيء وأنتم غافلون ولاهون عن الخدمة والحياة المقدسة، في مشاغلكم وأحوالكم. فإن كنتم تهتمون فعلاً بمجيء ثانية، قوموا بدوركم وواجبكم في الكرازة بالإنجيل. فوسط الارتداد قودوا الناس للخلاص، ووسط التعاليم المُضِلّة بيِّنوا حق الإنجيل، ووسط مغريات وملاهي العالم اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، ووسط تزايد الخطية والإثم اجعلوا محبتكم لله ولبعضكم صادقة.

سابعًا: أحداث المجيء

حدَّد الكتاب المقدس خمسة أحداث تصاحب مجيء المسيح الثاني، وجميعها أشار إليها المسيح.

وهو يميز بين مجيئه الأول ومجيئه الثاني، فالمجيء الأول كان محددًا بمكان وزمان معينين، إذ وُلِدَ يسوع كطفل صغير من العذراء مريم في قرية بيت لحم، منذ نحو ألفي عام. أما المجيء الثاني سيكون شاملاً وغير محدد «فوق حدود الزمان والمكان». وفي مجيئه الأول لم يكن ممكنًا أن يصل إليه أحد إلا بعد السؤال عنه والمجيء إليه، أما في مجيئه الثاني سيعرفه الجميع أصدقاء وأعداء دون سؤال لأنهم سيبصرونه آتيًا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير (مت ٢٤: ٣٠). فمجيئه الثاني علني وظاهر، مسموع ومرئي للكل. أما عن أحداث مجيئه الثاني فهي:

(١) اهتزاز وانقلاب الأرض والسماء

بعد الضيق الذي يشمل العالم والكنيسة (مت ٢٤: ٢٢) يقول الرب: «**للوقت بعد ضيق تلك الأيام تُظلم الشمس،**

والقمر لا يُعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع» (مت ٢٤: ٢٩). وهذه صورة رمزية للرعب في يوم مجيء المسيح الثاني للدينونة، قارن (عا ٨: ٨). ونجد نفس الصورة في حديث إشعياء عن خراب أدوم (إش ١٣) وحديث حزقيال عن دينونة مصر (حز ٣٢: ٧،٨) ونبوة يوئيل عن نهاية الشر في العالم (يؤ ٢: ٣١). والمقصود بكل هذا أن الطبيعة ستهتز وتنقلب لمجيء المسيح، وسوف ينتشر الخوف والهلع في الأرض بسبب المجد والقوة والسلطان الذي سيظهر به الرب الديّان.

(٢) ظهور علامة ابن الإنسان

قال يسوع: «**وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء**» (مت ٢٤: ٣٠أ). وعلامة ابن الإنسان ليست البوق الذي ينزل من السماء (١تس ٤: ١٦). وذلك لأن الكلمة «علامة» تعني شكل أو صورة متجسدة يمكن رؤيتها. ونجد شرحًا لها في قول دانيآل: «**كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه. فأُعطِي سُلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض**» (دا ٧: ١٣-١٤). والكلمة التي استعملها دانيآل «مثل» هنا تعني «علامة». ولأن العلامة دائمًا تميِّز صاحبها، وهي ستظهر في السماء قبل ظهور يسوع، فالمرجح أن تكون هذه العلامة هي «الصليب». فالصليب الذي هو رمز الفداء وعنوان محبة الله الآن، سيكون رمز الدينونة في مجيء المسيح الثاني. فمن يرفضه كوسيلة للفداء والخلاص سيكون له رمزًا للدينونة في يوم الدينونة الإلهية العادلة. ولذلك فإن البشير متى يربط بين ظهور هذه العلامة وبين نواح جميع أمم الأرض والذين طعنوه.

(٣) ندم ونواح قبائل الأرض

قال يسوع: «**وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب المجد بقوة ومجد عظيم**» (مت٢٤: ٣٠ب). فبعدما تظهر علامة ابن الإنسان في الأُفق، تنوح عليه جميع أمم الأرض في حالة من الندم والحسرة، ثم يبصرونه آتيًا بمجد وقوة.

هذا النواح ليس لليهود فقط (الذين طعنوه) لكن لليهود ولغيرهم على السواء: «**هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه، وتنوح عليه جميع قبائل الأرض. نعم آمين**» (رؤ ١: ٧). وعندها لن يكون هناك مجال للتوبة على الإطلاق، لا لليهود ولا لغير اليهود.

ويصوِّر لنا الرائي هذا الحدث: «**ها أنا آتي كلصٍّ طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عريانًا فيروا عُريته». فجمعهم إلى الموضع الذي يُدعى بالعبرانية «هرمجدون». ثم سكب الملاك السابع جامه على الهواء، فخرج صوت عظيم من هيكل السماء من العرش قائلاً: «قد تم»** (رؤ١٦: ١٥-١٧). هذا هو يوم الرُعب العام الذي يشمل كل الطبقات: ملوك الأرض، والحكام والأمراء، والقادة العسكريون، والأغنياء، والأقوياء، وكل عبد وكل حُر. الكلِ يسيطر عليهم الرُعب المفاجئ، هاربين مذعورين، تغمرهم صرخات الألم، يبحثون عن ملجأ للهروب، فلقد جاء يوم الغضب، ولا مكان للتوبة.

(٤) القيامة

يُفرِّق التدبيرون بين قيامتين للأجساد، الأولى عندما يأتي المسيح «لأجل قديسيه» لاختطاف الكنيسة، فيُقام المؤمنون الأموات، ولهم «تتمة» أو «ملحق» الذين استشهدوا في زمن الضيقة العظيمة. ويُقسِّم فريق من التدبيرين هؤلاء «التتمة» إلى فريقين، شهداء النصف الأول وشهداء النصف الثاني من أسبوع الضيقة. ويسمون هذه «القيامة الأولى» بناءً على قول الرائي: «**مُبارك ومقدس مَنْ له نصيب في القيامة الأولى**». أما القيامة الثانية فهي قيامة عامة للأموات، وهي خاصة بالأشرار فقط الذين طُرِحوا في بحيرة النار. وبين هاتين القيامتين فاصل زمني ألف سنة على الأقل. أو ١٠٠٧ سنة.

إلا أن الدراسة المتأنية والمبنية على علم التفسير للكتاب المقدس، تبين لنا الحقائق التالية:

(١) قيامة عامة واحدة.

أُعطي دانيآل إعلانًا مجيدًا عن القيامة: «**وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي. والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور**» (دا ١٢: ٢-٣). وهو يؤكد أن الكل يستيقظون «معًا» **هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي**.

والرب يسوع قدَّم إعلانات واضحة عن القيامة العامة الواحدة للأبرار والأشرار، التي تحدث في مجيئه الثاني: «**لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيِّئات إلى قيامة الدينونة**» (يو ٥: ٢٨-٢٩). «**وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني: أن كل ما أعطاني لا أُتلف منه شيئًا، بل أُقيمه في اليوم الأخير. لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني: أن كلَّ مَنْ يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير**» (يو ٦: ٣٩، ٤٠). فجميع الذين في القبور- بلا استثناء - سيسمعون صوته «مرة واحدة» في مجيئه الثاني (الوحيد) فيقومون جميعًا في نفس اللحظة. وكما أشرنا سابقًا إلى أمثال الملكوت وفي مثل زوان الحقل، يؤكد المسيح أن الحصاد للمؤمنين والأشرار يتم في نهاية العالم. فأجساد المؤمنين والأشرار عند موتهم تعود إلى التراب، وتعود نفس المؤمن إلى الله الذي أعطاها (جا ١٢: ٧) (في الفردوس) بينما تذهب نفس الخاطئ إلى مكان العذاب. وهذا ما بيَّنه المسيح في مثل الغني ولعازر (لو ١٦: ١٩-٣١). ويظل الاثنان كل في مكانه إلى يوم المجيء الثاني إذ يقوم الجميع معًا عند سماع البوق الأخير.

أما أقوال المسيح: «**وأما من جهة الأموات إنهم يقومون: أفما قرأتم في كتاب موسى، في أمر العليقة، كيف كلَّمه الله قائلاً: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب؟ ليس هو إله أموات بل إله أحياء**» (مر ١٢: ٢٦-٢٧). «**فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك، لأنك تُكافى في قيامة الأبرار**» (لو ١٤: ١٤). فهي لا تتحدث عن القيامة كحادثة بل تشير إلى مكافأة المؤمنين عند القيامة.

وللرسول بولس مساهمة كبيرة في هذا المجال. ففي احتجاجه الأول أمام فيلكس الوالي يقول: «**ولكنني أُقرُّ لك بهذا: أنني حسب الطريق الذي يقولون له «شيعة»، هكذا أعبد إله آبائي، مؤمنًا بكل ما هو مكتوب في الناموس والأنبياء. ولي رجاء بالله في ما هم أيضًا ينتظرونه: أنه سوف تكون قيامة للأموات، الأبرار والأثمة**» (أع٢٤: ١٤-١٥). وهو هنا يؤكد أنه ستكون قيامة واحدة للأبرار والأشرار معًا، مُستخدمًا كلمة «قيامة αναστασιν» بصيغة المفرد.

وفي (تسالونيكي الثانية ١: ٧-١٠) يؤكد أنه عند استعلان الرب من السماء يعاقب الأشرار بهلاك أبدي، ويكافئ القديسين بالمجد والملكوت الأبدي. ويتم الأمران معًا (المكافأة والدينونة) في نفس الوقت.

أما أصحاح القيامة (١كو ١٥) فقد كان دافع الرسول لكتابته هو الرد على التعليم الغريب الذي انتشر داخل كنيسة كورنثوس «**أنه ليس قيامة أموات**» (١كو ١٥: ١٢). أو قول البعض «**إن القيامة قد صارت**» (٢تي ٢: ١٨). وقدَّم الرسول كل الأدلة الممكنة التي تؤكد حقيقة القيامة بدءًا بقيامة المسيح نفسه. فهو يؤكد للمؤمنين حتمية حدوث القيامة واختبار المؤمنين جميعًا ذلك الاختبار العظيم. وهو لا يقصد أن هناك فارق زمني بين قيامة المؤمنين وقيامة الأشرار، لكن هدفه الأساسي هو أن يؤكد للمؤمنين حتمية نوالهم الرجاء وتمجيدهم في مجيء المسيح الثاني والقيامة العامة الواحدة. ففي الوقت الذي يُقام فيه المؤمنون عديمي فساد، يتغير المؤمنون الأحياء ويُبطل الموت «**آخر عدو يُبطل هو الموت**» (١كو ١٥: ٢٦). وحيث أنه بقيامة المؤمنين يُبطل آخر عدو وهو الموت، فلا مجال إذن للحديث عن قيامة أُخرى للأشرار بعد ألف سنة.

وفي النص الشهير «**ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة الراقدين، لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع، سيحضرهم الله أيضًا معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب: إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب، لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السُحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام**» (١تس ٤: ١٣-١٨). يستخدم التدبيرون كلمة «أولاً» ليدللوا بها على نظريتهم بالفارق الزمني بين القيامتين. إلا أن الكلمة لا تعني الفرق الزمني بين قيامة المؤمنين «أولاً» وقيامة الأشرار «ثانيًا». وذلك لأن هذا النص كتبه الرسول بولس للمؤمنين في كنيسة تسالونيكي ليُطمئنهم من جهة اخوتهم المؤمنين الذين رقدوا «ماتوا» نظرًا لإساءة فهم البعض للتعليم عن سرعة مجيء المسيح، أو أن «**يوم المسيح قد حضر**» (٢تس ٢: ٢). مما أحدث تشويشًا في ذهن المؤمنين البُسطاء، وقلقًا في قلوبهم تجاه الراقدين: هل لهم رجاء؟ أم أنهم رقدوا وسيأتي المسيح عاجلاً فإنهم فقدوا رجاءهم؟

لذلك كتب بولس هذه الآيات عن الرجاء المسيحي مؤكدًا حقيقة قيامة المؤمنين الراقدين، فكل النص يتحدث عن الرجاء في قيامة المؤمنين في اليوم الأخير، ولا يشير مُطلقًا إلى الأشرار هنا. ثم يؤكد أن الرجاء شامل للمؤمنين الراقدين إذ يقومون «أولاً» ثم تتغير أجساد المؤمنين الأحياء، ليُخطف الجميع معًا لملاقاة الرب في الهواء.

وفي هذه الفقرة تحدَّث الرسول عن أن قيامة المسيح هي أساس الرجاء (آية ١٤) وأن المجيء الثاني والحياة الأبدية

هما موضوع الرجاء (عدد ١٦-١٧). وأن لهذا الرجاء فاعلية إذ يقول: «**لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام**»[١١٨]. فلو كان يريد التفريق بين قيامتين الأولى للأبرار والثانية للأشرار لأعلن ذلك. وكانت مرثا أخت لعازر أيضًا تحدد أية قيامة يقصد عندما قالت عن أخيها: «**أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة، في اليوم الأخير**» (يو ١١: ٢٤). وكان متى البشير أيضًا قد أوضح إلى أية قيامة يشير بقوله عن الصدوقيين: «**في ذلك اليوم جاء إليه صدُّوقيُّون، الذين يقولون ليس قيامة**» (مت ٢٢: ٢٣)[١١٩].

نعود الآن إلى قول الرب يسوع: «**لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيِّئات إلى قيامة الدينونة**» (يو ٥: ٢٨-٢٩). إذ يتحدَّث فيه عن قيامتين تحدثان في آن واحد «تأتي ساعة». الأولى هي «قيامة الحياة» والثانية هي «قيامة الدينونة».

«قيامة الحياة» للذين آمنوا بالمسيح وفعلوا الصالحات كنتيجة لإيمانهم، و«قيامة الدينونة» للذين رفضوا الإيمان وبالتالي فعلوا السيِّئات.

«قيامة الحياة» يمكن أن نسميها «قيامة من بين الأموات» (لو ٢٠: ٣٥، في ٣: ١٠). و«قيامة الدينونة» يمكن تسميتها «قيامة الأموات» (مت ٢٢: ٣١، أع ٢٣: ٦). وهي تصف القيامة عمومًا سواء للمؤمنين أو للأشرار.

سبب هذا الاختلاف أن قيامة المؤمنين ممجدة، فهي «قيامة أفضل» (عب ١١: ٣٥) ولهذا السبب يسعى ويثابر بولس لعله يبلغ إلى قيامة الأموات (في ٣: ١٠). وهذه القيامة الأفضل تكملة لعمل المسيح الذي بدأه في حياة المؤمنين، عندما اتحدوا به في موته وقيامته (كو ٢: ٢٠، ٣: ١، غل ٢: ٢٠-٢١) فماتوا معه عن الخطية، وقاموا معه في جدة الحياة، للتقدُّم والنمو في طريق القداسة حتى يتمموا خلاصهم بخوف ورعدة (في ٢: ١٢) إلى أن يتم هذا الخلاص المُستعد أن يُعلن في الزمان الأخير(١بط ١: ٥) بقيامة الأجساد (رو ٨: ١١،١تس ٤: ١٣- ١٨، ١كو ١٥: ٤٢-٥٠).

إنها قيامة أبرار، قيامة تمجيد وخلاص تام، وهي استعلان أبناء الله، وقيامة للحياة الأبدية، وهي تختلف عن قيامة الأشرار، ليس اختلافًا زمنيًا بل نوعيًا.

كما أن الاختلاف بين القيامتين هو في الأساس الذي تُبنى عليه كل قيامة، فكما أشرنا إن قيامة المسيح هي أساس قيامة الراقدين فيه (١كو ١٥: ٢٠، ١تس ٤: ١٤). فالمسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه (١كو ١٥: ٢٣). فقيامة المسيح أساس وعربون وسبب قيامة الراقدين المؤمنين به، بينما قيامة الأشرار أساسها الدينونة والعذاب الأبدي.

إذن هناك قيامة عامة واحدة، في ساعة المجيء الثاني للمسيح، يُقام المؤمنون «قيامة من بين الأموات» أو «قيامة الحياة» ويُقام الأشرار «قيامة الدينونة». فهناك قيامة عامة واحدة ودينونة واحدة في آنٍ واحد (أع ١٧: ٣١).

(٢) القيامة الأولى والقيامة العامة.

هناك فرق نوعي بين «القيامة الأولى» (رؤ٢٠: ٦) وبين القيامة العامة التي ستحدث في المجيء الثاني للمسيح.

فالقيامة الأولى قيامة روحية (قيامة نفوس) بينما القيامة العامة قيامة أجساد. والقيامة الأولى في الحاضر بينما القيامة العامة ستحدث في مجيء المسيح الثاني. فالقيامة الأولى قاصرة على المؤمنين بينما القيامة العامة للجميع.

لقد خلق الله الإنسان كائنًا أخلاقيًا عاقلاً، حرًا مسئولاً. وأراد له الله أن يعيش حرًا، إذ أعطاه القدرة على الاختيار الحر. لقد خلق الله الكامل بيئة كاملة، ورأى الله أن كل ما عمله إذا هو حسن (تك ١) وفي هذه البيئة الكاملة أوجد الله إنسانًا كاملاً (رجلاً كاملاً وامرأة كاملةً) وأعطاهما حرية حقيقية، يتوفر فيها عنصر الاختيار الحقيقي، فرغم معرفة الله أن الإنسان يمكن أن يخطئ باستخدامه للحرية الحقيقية، لكن الله قصد أن يتمتع الإنسان بهذه الحرية. فالإنسان لا يصير إنسانًا بدون الحرية. فالإنسان حر في تقرير مصيره، ومسئول أمام الله وأمام نفسه وأمام المجتمع. ولذلك أوصى الرب الإله آدم قائلاً: **«من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت»** (تك ٢: ١٦-١٧). لكن الإنسان عصى وأساء استخدام حريته، وهكذا حُكِمَ عليه بالموت الروحي (الانفصال عن الله) إذ لم يمت آدم جسديًا بل روحيًا، ومات معه وفيه كل الجنس البشري روحيًا: **«من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الجميع إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع»** (رو ٥: ١٢). وهكذا صار الكل خطاة وأموات بالذنوب والخطايا (أف ٢: ١-١٠). ولكن بموت المسيح وقيامته - على القياس - مات معه وقام معه كل من يؤمن به ونال حياة أبدية (٢كو ٥: ١٧). وصار المؤمن شريكًا للمسيح في موته وقيامته (رو ٦: ٥،٦، كو ٣: ١). بل وصار المؤمن شريكًا للمسيح في جلوسه في السماء حتى مجيئه ثانية (٢ كو ٥: ١٤، ٢ كو ٣: ٣، رو ٦: ٢). فاختبار القيامة الأولى هو اختبار ناله كل مَنْ سمع المسيح وآمن به واختبره، وهذا ليس للموت الثاني سلطان عليه. فالقيامة الأولى تقابل الموت الثاني، كلاهما يتوقفان على الإيمان بالمسيح وقبوله ربًا وفاديًا فكل الذين يؤمنون به ويقبلون عمله من أجلهم، لهم نصيب في القيامة الأولى، أما الذين احتقروه ورفضوه فنصيبهم الموت الثاني أي الطرح في بحيرة النار.

ويعلّق مايكل ولكوك بالقول: إن القيامة الأولى تعبير مفهوم يشير إلى ما يصفه العهد الجديد في مواضع كثيرة، بأنه الانتقال من الموت إلى الحياة، وبالتحديد حصول المسيحي على الولادة الثانية (يو ٥: ٢٤-٢٧، أف ٢: ٥-٨)، ١يو ٥: ١١-١٢). فالقديسون هم جميع أولئك الذين يستمتعون بهذه الحياة الجديدة[١٢٠].

وما يؤكد أن القيامة الأولى قيامة روحية هو قول الرائي: **«ورأيت نفوس الذين قُتِلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يقبلوا السِّمة على جباههم وعلى أيديهم، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة. هذه هي القيامة الأولى. مُبارك ومقدس مَنْ له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة»** (رؤ ٢٠: ٤-٦).

(١) نفوس:

رأى يوحنا «نفوس الذين قُتِلوا». والفعل «قُتِلوا» هنا يعني نُفِّذَ فيهم حكم الإعدام بأية طريقة من طرق التعذيب

الرومانية للمسيحيين الأوائل كالحرق بالنار أو الإلقاء للوحوش الجائعة أو قطع الرأس ... إلخ. ولذلك رأى يوحنا نفوسهم تملك مع المسيح في السماء. فيوحنا لم ير أجسادًا مُقامة، كما سيحدث في القيامة العامة في اليوم الأخير، بل رأى نفوس الذين قتلوا (قارن رؤ ٦: ٩-١١).

(ب) عاشوا:

إن أولئك الذين قُتِلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، رغم أنهم قتلوا في خزي وعار إلا أنهم بنفوسهم عاشوا مع المسيح في السماء، وملكوا معه «ألف سنة». إنهم لم يخسروا شيئًا بل كسبوا صفة الملوكية كما اكتسبوا الغلبة والانتصار[١٢١].

والفعل «عاشوا» يختلف عن الفعل «قاموا». فالأول في اليونانية εζησαν يعني ظهروا أو استعدوا أو وقفوا. وهو نفس الفعل «عاش» في القول عن الوحش: **«ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التي أُعطي أن يصنعها أمام الوحش، قائلاً للساكنين على الأرض أن يصنعوا صورة للوحش الذي كان به جُرح السيف وعاش»** (رؤ ١٣: ١٤). فقد جُرِحَ الوحش ولم يمت بل عاش. وهو نفس الفعل الذي استخدمه بولس: **«لأنه مات المسيح وقام وعاش، لكي يسود على الأحياء والأموات»** (رو ١٤: ٩). ويضع بولس الفعلين «قام وعاش» بجانب بعضهما البعض. فالفعل «قام» يعني قيامة الجسد من الأموات، أما الفعل «عاش» يعني الحياة الروحية للمؤمنين في السماء، أي مجرد انفصال النفس عن الجسد واستمرار الحياة بعد فناء الجسد.

وبمقارنة الفعل «عاشوا» مع القول **«وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف السنة»**، يظهر بوضوح أنه هنا لا يتحدث عن قيامة أجساد، ولكن عن استمرار حياة، لذلك «فالقيامة الأولى» هنا تعني انتصار النفس أو الروح على الموت أي اختبار الخلاص في حياة الإنسان بقبول عمل المسيح لأجله والموت عن الخطية (كو ٢: ٣،٢٠: ١). وهنا نحن نموت مع المسيح ونعيش بالروح وهذه هي القيامة الأولى أما غير المؤمنين فسوف يموتون ولن يعيشوا لأنهم لم يختبروا القيامة الأولى بالمسيح. لذلك فالموت الجسدي للمؤمن هو جُرح غير مميت يعيش بعده، فالقيامة الأولى هي حياة الروح والتي تستمر بعد دفن الجسد.

ويرى وليم هندركسن أن القيامة الأولى هي انتقال النفس من أرض الخطية هذه إلى سماء القداسة. ويلي هذه القيامة، عند المجيء الثاني للمسيح (القيامة الثانية) عندما يتمجد الجسد أيضًا[١٢٢].

كما أن الفعل «عاشوا» جاء في زمن الماضي البسيط، وهو ما يسميه المفسرون «ماضي تعميق» بمعنى أن «الذين قتلوا من أجل الشهادة» امتلئوا حياة وعُمِّقَت حياتهم. لقد نالوا حياة روحية أبدية بولادتهم الثانية، وهنا عُمِّقت حياتهم. فالنفوس التي رآها يوحنا في (رؤ ٦: ٩-١١، رؤ ٢٠: ٤-٦) لم تكن أجسادًا ميتة وقامت من الموت أو العدم، بل هي نفوس حية وفيها حياة. والحياة التي عاشتها هذه النفوس (رؤ ٢٠: ٤) لم تكن شيئًا جديدًا أُعطي لهم من العدم بل كانت تعميقًا للحياة التي كانوا يحيونها من قبل.

نعود الآن إلى قول شهير للرب يسوع: «**الحق الحق أقول لكم: إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم: إنه تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون. لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا، لأنه ابن الإنسان**» (يو ٥: ٢٤-٢٧). والمسيح يفرق بين القيامة العامة التي تحدث عنها في الآيتين (٢٨، ٢٩) وسبق لنا شرحهما، والقيامة الروحية التي يتحدث عنها في هذه الآيات. فهو هنا يؤكد أن كل من يسمع كلامه ويؤمن بالذي أرسله، له هبة إلهيه «حياة أبدية» وضمان إلهي أبدي «لا يأتي إلى دينونة» ومركز إلهي جديد «**انتقل من الموت إلى الحياة**». وزمن هذه القيامة الروحية «الآن» بعكس القيامة العامة «ساعة النهاية». وكلمة «الآن» تعني أنه في أي وقت يسمع فيه أي إنسان كلام المسيح ويتجاوب معه ويؤمن ينال الهبة والضمان والمركز الجديد.

فالمسيح هنا لا يتحدث عن المستقبل، بل عن الوقت الذي فيه يتجاوب أي من يسمع الرسالة، فيؤمن بالمسيح فيحيا من موته الروحي بالخطايا والذنوب (أف ٢: ٥-٨). فمن يؤمن بالابن يعطيه حياة أبدية ومن لا يؤمن يدان، لأن الابن له حياة في ذاته يعطيها لمن يؤمن به، وله سلطان أن يدين مَن لا يؤمن به. أما القيامة العامة فهي تحدث في نهاية الدهر، أي هي نهاية العالم (يو ٦: ٣٩، ٤٤، ٥٤، ١كو ١٥: ٢٢-٢٤).

(٥) جمع المختارين من الأربع رياح واختطافهم

يقول الرب يسوع: «**فيُرسِلُ ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السماوات إلى أقصائها**» (عدد ٣١). إن الكنيسة تجتاز الضيق على الأرض، ضيق تجتازه مع العالم، وضيق واضطهاد خاص بها (كما أشرنا سابقًا). ثم يأتي المسيح ثانية لاختطاف الكنيسة، ودينونة الأشرار.

مجيء المسيح سيكون الحدث الأخير الذي يفرِّق بين مصائر البشر، إذ يُخطف الواحد إلى السماء، وينوح الآخر (مت ٢٤: ٤٠-٤١). فالمسيح يجمع مختاريه المؤمنين الأحياء والأموات (بعد قيامتهم) (١تس ٤: ١٣-١٨).

ثامنًا: مجيء واحد

نؤمن أن المسيح أتى مرة بالجسد منذ أكثر من ألفي عام، وحتمًا سيأتي ثانية للخلاص للذين ينتظرونه كما يقول الرسول: «**هكذا المسيح أيضًا، بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**» (عب ٩: ٢٨). إلا أن التدبيريين يرون أن المجيء الثاني سيكون على مرحلتين، الأولى هي الاختطاف ويسمونه (مجيء المسيح لأجل القديسين) ثم المرحلة الثانية هي الظهور أو الاستعلان ويسمونه (مجيء المسيح مع القديسين). وبين هاتين الحادثتين فاصل زمني سبع سنوات هو الضيقة العظيمة. وينادون أن الاختطاف سيكون سريًا فيقولون: «إن مجيئه في السحاب سيكون محتجبًا عن أعين الناس، لن يراه أحد، إذ سيأتي في الخفاء (متسللاً) ويعود أيضًا في

الخفاء، وإنه يتقدَّم ليأخذ جواهره ثم يختفي تحت جنح الليل» «سيكون الاختطاف مجيئًا سريًا وسيعرف عنه المؤمنون فقط» «في الاختطاف سيراه (أي الرب) المؤمنون فقط، إنه سر غامض».

ويتحدثون عن الاضطرابات التي تحدث في الحياة اليومية، كحوادث السيارات والطيران ومراكز الخدمة العامة كالمستشفيات وغيرها، والاضطرابات التي تصيب الكنائس وغير المؤمنين الذين لم يُخطفوا، وتعطل البرامج الإذاعية بسبب الاختطاف السري المفاجئ للمؤمنين[١٢٣].

وفي السطور التالية نحلل رأي التدبيريين ونستعرض النصوص الكتابية التي يستندون إليها، وندلل على أن مجيء المسيح الثاني حدث واحد سيتم في نهاية الدهر.

(١) يرتبط المجيء الثاني بهتاف وصوت بوق.

أشهر نص كتابي يتحدث عن الاختطاف هو «**ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة الراقدين، لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع، سيحضرهم الله أيضًا معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب: إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب، لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق اله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السُحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضًا بهذا الكلام**» (١تس ٤: ١٣-١٨). وهو لا يشير إلى اختطاف سري أو صامت (غير مرئي أو غير مسموع) بل إن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السُحب لملاقاة الرب في الهواء. وستكون حتمًا في نفس الوقت أصوات التسبيح والابتهاج مع جموع القديسين، ثم يُخطفون لملاقاة الرب.

والرب يسوع نفسه حذَّر من فكرة السرية في أمر مجيئه (مت ٢٤: ٢٣-٢٧). بل إنه قال أنه عند مجيئه: «**يُرسِلُ ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السماوات إلى أقصائها**» (عدد ٣١).

نعم إن توقيت المجيء سرِّي، لا أحد يعلم موعده (مر١٣: ٣٢). وكما كان في أيام نوح حيث كان يعيشون حياتهم بطريقة نمطية، يأكلون ويشربون ويُزوجون ويتزوجون، وهم غير متوقعين الهلاك الآتي عليهم هكذا يكون مجيء المسيح سريًا «**وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السماوات، إلا أبي وحده. وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويُزوجون، إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان**» (مت ٢٤: ٣٦-٣٩). فلم يعلم الأشرار حتى جاء الطوفان، ولكن واضح أنه عندما جاء علموا به! فلم يكن حدثًا سرِّيًا . بل كان ملحوظًا للجميع مؤمنين وغير مؤمنين. والمسيح يشبِّه مجيئه بمجيء اللص من حيث أن موعده غير معروف لنا (مت ٢٤: ٤٣-٤٤). فلا توجد آية واحدة أو تلميح إلى أنه سيأتي في الخفاء لاختطاف قديسيه من العالم.

وتشبيه مجيئه كاللص لا يقصد به أنه سيأتي متسللاً في الظلام ويخشى أن يكتشفه أحد، فهو لا يتصرف كلص. فمجيئه سيكون في مجد وعلني وليس في سكون وسرية. بل السرية هنا هي في موعد مجيئه، لكن الحدث سيكون في هتاف وضجيج ومجد.

(٣) يرتبط المجيء الثاني بزوال السماء والأرض

أوضح المسيح أن مجيئه هو نهاية العالم حين تحدث عن القيامة في اليوم الأخير (يو ٦: ٣٩-٤٠، ٤٤، ٥٤). كما قال لتلاميذه: «**السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول ... اسهروا إذًا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم**» (مت ٢٤: ٣٥-٤٢). فإن كان المؤمنون مدعوون لكي يسهروا لأجل ذلك اليوم - عندما تزول السماء والأرض - فهذا دليل آخر بأنهم لن يؤخذوا من العالم قبل ذلك بسبع سنين!

وهناك أدلة كتابية كثيرة تؤكد ارتباط القيامة بنهاية وزوال السماء والأرض مثل قول أيوب: «**أما الرجل فيموت ويبلى. الإنسان يسلم الروح، فأين هو؟ قد تنفد المياه من البحر، والنهر ينشف ويجف، والإنسان يضطجع ولا يقوم. لا يستيقظون حتى لا تبقى السماوات، ولا ينتبهون من نومهم** (أي ١٤: ١٠-١٢) «**وبعد أن يفنى جلدي هذا، وبدون جسدي أرى الله. الذي أراه أنا لنفسي، وعيناي تنظران وليس آخر. إلى ذلك تتوق كُليتاي في جوفي**» (أي ١٩: ٢٦-٢٧). وقول الرسول بطرس: «**ولكن سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر مُحترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها**» (٢بط ٣: ١٠). ففي الآيات السابقة نجد مصطلحات هامة: «السماء والأرض تزولان» «لا يستيقظون حتى لا تبقى السماوات» «يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج». وكلها تشير إلى النهاية الكاملة لهذه الأشياء التي نعرفها وحتى ذلك الوقت فإن الأموات لم يكونوا قد قاموا بعد.

لقد آمنت مرثا - كسائر اليهود آنذاك - أن لعازر «سيقوم في القيامة، في اليوم الأخير» (يو ١١: ٢٤). ولقد أعلن المسيح هذه الحقيقة في مناسبات عدة. وحيث أن الاختطاف يتم في نفس الوقت الذي فيه يقوم الأموات الذين في المسيح (١تس ٤: ١٦، ١٧) لذلك فإنه - أي الاختطاف - سيكون في اليوم الأخير، وليس قبله بسبع سنين!

وفي أصحاح القيامة (١كو ١٥) الذي أشرنا إليه في حديثنا عن القيامة، يؤكد الرسول بولس أن القيامة تتم عند البوق الأخير «**هوذا سر أقوله لكم: لا نرقد كلنا، ولكننا كُلنا نتغير، في لحظة في طرفة عين، عند سماع البوق الأخير. فإنه سيُبَوَّق، فيُقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير**» (عدد ٥١-٥٢). حيث سيُبطل آخر عدو وهو الموت (عدد ٢٦) ويحدث هذا في لحظة في طرفة عين. وفي لحظة القيامة والاختطاف تصير الكلمة المكتوبة «**أُبتُلِعَ الموت إلى غلبة**» (عدد٥٤). وواضح أن آخر عدو يُبطَل وهو الموت سيكون في اليوم الأخير وليس قبله بسبع سنين الضيقة.

ويعتقد التدبيريون أن أولئك الذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولكنهم «**عاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة**». هؤلاء هم الذين استشهدوا بعد اختطاف الكنيسة (شهداء الضيقة) حيث سيقومون في نهاية فترة الضيقة. وحيث أن القيامة ستحدث عند الاختطاف يعتقد التدبيريون أن الاختطاف يتم قبل الضيقة. والسؤال الذي نطرحه عليهم هنا: كيف

تكون قيامة شهداء الضيقة هي القيامة الأولى؟ والسؤال الآخر: إذا كانت القيامة الأولى هي قيامة أجساد قبل الضيقة فهل يقوم شهداء الضيقة قبل أن يستشهدوا؟!

إن الحقيقة هي أن القيامة هي نهاية العالم، والكتاب المقدس لا يُعلِّم أن أحدًا سيخلص بعد مجيء الرب. وما رآه البعض أنه «تباطؤ» رآه بطرس «تأنٍّ» من الرب ليعطي فرصة أكبر للتوبة (٢بط ٣: ٩). فبطرس لا يُعلِّم أن الناس سيخلصون بعد مجيء الرب. ولكن التدبيرين يقولون: «بعد الاختطاف لن يخلص الناس فقط، بل سيكون وقتها أعظم فرصة للكرازة لم يعرفها العالم من قبل، إذ يؤخذ المؤمنون من الأرض، يبدأ بإعلان نفسه بطريقة خاصة إلى ١٤٤ ألف شخص سيكونون بالطبع من اليهود الغيورين الذين سيؤمنون أن يسوع هو المسيا، وسيصبحون ١٤٤ ألف بيلي جراهام يهودي يجوبون الأرض بنشاط عظيم. نعم! لن تعرف المسكونة عصرًا للكرازة بالإنجيل مثل ذلك العصر، سيأتي للمسيح أكبر عدد من المؤمنين في كل التاريخ».

ويرى التدبيريون أن لله خطة مختلفة للخلاص بعد الاختطاف فيرون أن الناس سيخلصون أو يهلكون بناءً على تعاملهم مع اليهود في زمن الضيقة، ويقولون: «إذا تُرِكْتَ ولم تُؤخَذ عندما يجيء المسيح، فلا تضطهد اليهود بل قدِّم لهم المعونة وقت ضيقاتهم، فقد يكون في ذلك خلاصك.. فكل الذين يخفون اليهود ويهتمون بهم وبحمايتهم ويطعمونهم ويكسونهم، سيكونون مستحقين أن يدخلوا عصر الملكوت».

ويبني التدبيريون مفهومهم هذا على مثل «الخراف والجداء» (مت ٢٥: ٣١-٤٦). فالخراف الأبرار هم الذين قال لهم المسيح: «**لأني جعت فأطعمتوني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبًا فآويتموني، عريانًا فكسوتموني... بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم**». ويرى التدبيريون أن كلمة «إخوتي» تعني اليهود أثناء الضيقة والذين يمثلون الفئة الثالثة في المثل بالإضافة إلى الخراف والجداء. وهذا تفسير غير صحيح، فالمسيح لم يُشر إلى فئة ثالثة من الناس، بل قصد بإخوته الأصاغر الخراف، «إخوته» المرضى والجياع والعراة والمحبوسين. فالكلمة «إخوتي» ظهرت فقط عند حديثه عن «الخراف - الأبرار» «**بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم**» ولم يستخدمها عند حديثه إلى الجداء «**بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر، فبي لم تفعلوا**». وهكذا فإن قراءة النص كله توضح الحقيقة، فإذا اعتبرنا كلمة «إخوتي» تعني مجموعة مستقلة من الناس، وليست ببساطة إشارة إلى «الخراف» فحينئذ كان ينبغي أن تظهر في الجزء الثاني من المثل. بالإضافة إلى ذلك فإن «إخوة» يسوع لا يمكن أن تعني جماعة من اليهود بحسب الجسد، فقد قال هو بنفسه: «**لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي**» (مت ١٢: ٤٨-٥٠). ومن الملحوظ أن هذا القول سجَّله متى الذي سجَّل لنا مثل الخراف والجداء أيضًا.

(٣) مجيء واحد أم اثنان أم ثلاثة؟

كما أشرنا أن المسيح جاء متجسدًا وسيأتي ثانية. ومجيئه الثاني سيتم في لحظة وطرفة عين «مرحلة واحدة - ومجيء واحد». وليس هناك مجيء ثالث أو ملحق للمجيء الثاني أو أن المجيء الثاني يتم على مرحلتين.

فإن كان – حسب رأي التدبيريين – الاختطاف (مرحلة) مستقلة عن مجيء المسيح في قوة ومجد، فكيف نعتبر كل مرحلة أنها المجيء الثاني؟ وحيث أن كل مرحلة منهما تمثل حدثًا مستقلاً ومنفصلاً بينهما سبع سنين، أفلا يعتبر المجيء الذي يعقب المجيء الثاني مجيئًا ثالثًا؟!

إن الكتاب المقدس لا يتحدث مطلقًا عن المجيء الثالث، أو يستخدم صيغة الجمع في الحديث عن المجيء الثاني. بل يمكننا القول: إن تعبير «المجيئين الثانيين» يناقض نفسه.

ويدلل أحد التدبيريين على الاختلاف بين الاختطاف السري والمجيء بقوة ومجد بقوله: «إن الحدث المثير للمشاعر، والذي يحدد نهاية يوم النعمة وفتح باب الضيقة العظيمة، ليس هو بالتأكيد المجيء الثاني للمسيح، بل بالحري الاختطاف، الذي يعني أخذ الكنيسة الحقيقية».

إلا أن اعتبار الاختطاف حدثًا مستقلاً وسابقًا لمجيء المسيح يُعتبر مخالفًا تمامًا لكلمات المسيح: «**اسهروا إذًا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم**» (مت ٢٤: ٤٢). فإذا كان الاختطاف سيتم قبل مجيئه، فما الداعي أن يحض المسيح على الاستعداد لمجيء ابن الإنسان؟

وقد سار الرسل على نهج المسيح في تقديم النصح للمؤمنين وتحريضهم على التأني والسهر إلى مجيء الرب: «**لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد. لأنه بعد قليل جدًا سيأتي الآتي ولا يُبطئ**» (عب ١٠: ٣٦–٣٧). «**فتأنوا أيها الإخوة إلى مجيء الرب. هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين، متأنيًا عليه حتى ينال المطر المُبكر والمُتأخر. فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم، لأن مجيء الرب قد اقترب**» (يع ٥: ٧–٨). فإذا كان رجاء المؤمنين الحقيقي في الاختطاف السابق للمجيء الثاني بسبع سنوات فلماذا التحريض على السهر والتأني إلى مجيء الرب؟ والرسول بولس يؤكد أن الاختطاف والمجيء الثاني حدث واحد (١تس ٤: ١٥). ويقول للمؤمنين في كورنثوس: «**وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح**» (١كو ١: ٧). فإذا كان يعتقد أن المؤمنين سوف يؤخذون إلى السماء في اختطاف سرِّي قبل المجيء بسبع سنوات، فلماذا تحدَّث عنهم أنهم متوقعون ذلك؟

(٤) المجيء لأجل القديسين والمجيء مع القديسين

يؤمن التدبيريون أنه مادام الرب سيأتي «مع قديسيه» (يه ١٤) فلا بد أن يكون هناك مجيء سابق للرب «لأجل قديسيه» ليأخذهم إلى السماء. إلا أن كلمة «قديسيه» هنا تشير إلى محفل الملائكة الذين سيأتون مع الرب. وإن كانت الكلمة تستخدم في الكتاب المقدس عن الملائكة وعن المؤمنين القديسين، إلا أن القرينة هنا «**هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه، ليصنع دينونة على الجميع، ويُعاقب جميع فُجَّارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فُجار**» (يه ١٤–١٥) تؤكد أن كلمة «قديسيه» تشير إلى الملائكة. إذ سيأتي في مجيئه الثاني في مجد وقوة تصحبه ربوات من الملائكة. وهذه الربوات من الملائكة يشاركونه في دينونة الأشرار، وهذا

الدور نور الملائكة وليس نور البشر (مت ١٣: ٤٩، ٥٠، ٢تس ١: ٧-٨). ونفس تعبير «ربوات قديسيه» ورد أيضًا في (تثنية ٣٣: ٢) وهو يشير أيضًا إلى الملائكة. وهذا يتفق مع تعليم المسيح (مت ٢٥: ٣١، مر ٨: ٣٨).

(٥) غياب كلمة «كنيسة» في رؤيا ٤-١٨

يستند التدبيريون في فكرتهم أن المجيء على مرحلتين على قول الرائي: «**بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء، والصوت الأول الذي سمعته كبوقٍ يتكلم معي قائلاً: «اصعد هنا فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا**» (رؤ ٤: ١). ويقول سكوفيلد: « إن هذه الدعوة تبدو بوضوح كما جاء في تسالونيكي الأولى ٤: ١٤-١٧ عن الاختطاف. إن كلمة «الكنيسة» لم تظهر مرة أُخرى في سفر الرؤيا حتى يتم الكل». ويقول دي هاد: «إن هذا النص من سفر الرؤيا يعتبر من أقصر الأقوال الكتابية التي تُقدِّم لنا صورة واضحة جدًا عن اختطاف الكنيسة».

ولأن كلمة «كنيسة» لم تظهر في رؤيا ٤-١٨ لذلك يرى التدبيريون أن هذا يعني غياب الكنيسة عن الأرض في تلك الفترة، ولن تعود للمشهد مرة أخرى حتى الأصحاح التاسع عشر من سفر الرؤيا والذي يخبرنا عن عشاء عرس الخروف ومجيء المسيح ملك الملوك».

لكننا نقول للإخوة الأحباء التدبيريون إن كان عدم وجود كلمة «كنيسة» في رؤيا ٤-١٨ يعني عدم وجودها، فهي أيضًا غير موجودة في الأصحاحات (١٩-٢١) وهناك إشارة ختامية: «**أنا يسوع، أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس. أنا أصل وذرية داود، كوكب الصبح المنير**» (رؤ ٢٢: ١٦). وهو يقصد بها هنا ليست الكنيسة بمفهومها العام، بل الكنائس السبع.

وبينما لا تظهر كلمة «كنيسة» من رؤيا ٤ إلى آخر السفر، إلا أن الكنيسة ليست غائبة عن هذه الأصحاحات، ففي رؤيا ١٣: ٧ ، ١٠ يقول: «**وأُعطي - الوحش - أن يصنع حربًا مع القديسين ويغلبهم، وأُعطي سُلطانًا على كل قبيلة ولسان وأمة .. إن كان أحد يجمع سبيًا، فإلي السبي يذهب. وإن كان أحد يقتل بالسيف، فينبغي أن يُقتل بالسيف. هنا صبر القديسين وإيمانهم**». فالوحش يصنع حربًا مع القديسين، إلا أن القديسين يصبرون بإيمان وثقة في النصر. وفي رؤيا ١٦: ٦ يقول: «**لأنهم سفكوا دم قديسين وأنبياء، فأعطيتهم دمًا ليشربوا. لأنهم مستحقون!**». ترد هنا أيضًا كلمة «قديسين». وفي رؤيا ١٧: ٦ يقول: «**ورأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع. فتعجبت لمّا رأيتها تعجبًا عظيمًا**» فهو يرى بابل الزانية (روما) آنذاك سكرى من دم القديسين. وفي رؤيا ١٨: ٢٤ يقول: «**وفيها وُجِدَ دم أنبياء وقديسين، وجميع من قُتِلَ على الأرض**». إذ ترد هنا كلمتا «أنبياء وقديسين».

ويناقض التدبيريون أنفسهم بقولهم إن القديسين المذكورين في الآيات المشار إليها ليسوا هم قديسو الكنيسة، بل قديسو الضيقة. إلا أنه عندما يأتي الحديث عن القديسين في قول الرائي: «**لنفرح ونتهلل ونعطه المجد! لأن عُرس الخروف قد جاء، وامرأته هيأت نفسها. وأُعطيت أن تلبس بزًّا نقيًا بهيًا، لأن البزَّ هو تبررات القديسين**» (رؤ ١٩: ٧-٨). يقولون لنا إن الإشارة هنا إلى الكنيسة. ويقول سكوفيلد: «إن امرأة الخروف هنا هي العروس أي الكنيسة».

فإذا كانت كلمة «القديسين» في رؤيا ١٩ تشير إلى قديسي الكنيسة، فكيف يكون القديسون في الإصحاحات (١٣، ١٦، ١٧، ١٨) نوعية مختلفة من القديسين؟!

مما سبق نخلص إلى أنه ليس هناك ما يُسمى المجيء على مرحلتين، ففكرة المجيء السرِّي للاختطاف ليس لها سند كتابي. لقد شدَّد الكتاب المقدس على أن المجيء الثاني سيكون فجائيًا، غير معروف موعده لأحد. فإذا كان الاختطاف يحدث خفية قبل النهاية بسبع سنوات، فسيكون في قدرة الكثيرين تحديد الوقت بدقة، فكل ما سيفعلونه هو حساب هذه السنين السبع، منذ وقت الاختطاف. إلا أن الكتاب المقدس يُعلِّم أنه لا يوجد أحد يعلم موعد النهاية. مما يؤكد أن الاختطاف لن يكون حدثًا مستقلاً وسابقًا للمجيء الثاني والنهاية بسبع سنوات.

فالمسيح سيأتي في النهاية في مجد مع ملائكته، وسيجازي كل واحد (مت ١٦: ٢٧). فيجازي المؤمنين راحة ومجدًا، ويعاقب الأشرار بهلاك أبدي (٢تس ١: ٤-٧). ومكافأة المؤمنين وعقاب الأشرار سيحدثان معًا، عند مجيء الرب ونهاية العالم.

تاسعًا: الحالة الأبدية

مجيء المسيح الثاني هو نهاية «الأيام الأخيرة»، فقد كان مجيئه الأول هو بداية «الأيام الأخيرة» أو «مرحلة النهاية» وبمجيئه الثاني سيُنهي التاريخ والعالم. يتبع مجيئه الثاني «الحالة الأبدية».

وكما استعرضنا أن الرائي قد رتَّب الأحداث (رؤ ٢٠: ١-١٠) إذ أعلن أن الشيطان قد قُيِّدَ بمجيء المسيح الأول وبداية الألف سنة التي تمتد ما بين مجيئه الأول والثاني، ويملك فيها المسيح ملكًا روحيًا، وقُرب نهاية الألف سنة يُحَل الشيطان زمانًا يسيرًا فيزيد من عنف اضطهاده للكنيسة، إلا أنه سيُهزم ويسقط سقوطًا نهائيًا. ثم بعد ذلك يأتي المسيح كملك للدينونة (رؤ ٢٠: ١١-١٥) ثم الحالة الأبدية (رؤ ٢١-٢٢).

(١) الدينونة مكافأة الأبرار

يقدم لنا يوحنا الرائي مشهدًا وقورًا عن الدينونة الأخيرة فيقول: «**ثم رأيت عرشًا عظيمًا أبيض، والجالس عليه، الذي من وجهه هربت الأرض والسماء، ولم يُوجَد لهما موضع! ورأيت الأموات صغارًا وكبارًا واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم. وسلَّم البحر الأموات الذين فيه، وسلَّم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما. ودينُوا كل واحد بحسب أعماله. وطُرِحَ الموت والهاوية في بحيرة النار. هذا هو الموت الثاني. وكل مَنْ لم يوجد مكتوبًا في سفر الحياة طُرِحَ في بحيرة النار**» (رؤ٢٠: ١١-١٥). وفي هذه الآيات نقف أمام بعض الحقائق:

(أ) قيامة عامة واحدة

كلمة «الأموات» هنا لا تعني الأموات روحيًا، لكنها تعني جميع الأموات جسديًا، الكبار والصغار، لا يُستثنى أحد

من هذا . فالقيامة هنا قيامة عامة تشمل أجساد كل الأموات المدفونين وغير المدفونين، المؤمنين وغير المؤمنين. ولم يتحدث الرائي عن فاصل زمني بين قيامة الأبرار وقيامة الأشرار، بل الكل يقومون معًا في آن واحد.

(ب) يوم واحد للدينونة

يضع الكتاب المقدس الدينونة كجزء هام في خطة الله للمستقبل. ونستعرض هنا أهم الأقوال الكتابية عن يوم الدينونة.

يقول دانيآل: «**كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قُدَّامه. فأُعطيَ سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض**» (دا ٧: ١٣-١٤) «**وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي. والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور**» (دا ١٢: ٢-٣). وهذه إعلانات ورؤى أُعطيت لدانيآل، تؤكد حقيقة الدينونة، ويضع حقيقتين عن الدينونة أنها دينونة عامة لكل الشعوب والأمم، وأن يوم الدينونة هو يوم الفصل النهائي بين الأبرار الذين يقومون إلى الحياة الأبدية والأشرار اللذين يستيقظون إلى العار والازدراء الأبدي.

ويقول ملاخي: «**فهوذا يأتي اليوم المتَّقد كالتنور، وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشًا، ويُحرقهم اليوم الآتي، قال رب الجنود، فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعًا. ولكم أيها المتقون اسمي تُشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها، فتخرجون وتنشأون كعجول الصيرة. وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رمادًا تحت بطون أقدامكم يوم أفعل هذا قال رب الجنود. اذكروا شريعة موسى عبدي الذي أمرته بها في حوريب على كل إسرائيل. الفرائض والأحكام. هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم. لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن**» (مل ٤: ١-٦).

وملاخي هنا يضع بعض الأمور حول حدث الدينونة: أنها تحدث في يوم محدد يصفه بأنه يوم الرب العظيم والمخوف، في هذا اليوم يظهر المؤمنون والأشرار أمام الله، ويكون اليوم مرعبًا ومرًا للأشرار، لكن سيكون يوم فرح وابتهاج للأبرار. ويسبق ذلك اليوم مجيء شخص بروح وشجاعة إيليا، ليرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم، ويشجع الكثيرين على التوبة. وقد اقتبس المسيح كلمات ملاخي عن إيليا وأكدَّ أنها تحققت في يوحنا المعمدان (مت ١٧: ٩-١٣). وبالفعل كان المعمدان شجاعًا جسورًا بنفس روح إيليا. وقد أعلن هو عن نفسه أنه جاء ليُعد طريق المسيا (مت ٣: ١-١٢، لو ٣: ١-٢٠). وبعد المعمدان جاء المسيح (المسيا) في الجسد وسيأتي ثانية.

أما العهد الجديد فقد تحدَّث بأكثر وضوح عن يوم الدينونة، فأورد متى «أمثال الملكوت» التي علَّم بها المسيح (مت١٣). ونحن نقتبس منها مثل «الحنطة والزوان» فقط. إذ قال المسيح: «**يشبه ملكوت السماوات إنسانًا زرع زرعًا جيدًا في حقله. وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوانًا في وسط الحنطة ومضى. فلمَّا طلع النبات وصنع ثمرًا، حينئذ ظهر**

الزوان أيضًا. فجاء عبيد رب البيت وقالوا له: يا سيد، أليس زرعًا جيدًا زرعت في حقلك؟ فمن أين له زوان؟. فقال لهم: إنسان عدو فعل هذا. فقال له العبيد: أتريد أن نذهب ونجمعه؟ فقال: لا! لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان كلاهما معًا إلى وقت الحصاد، وفي وقت الحصاد أقول للحصَّادين: اجمعوا أولاً الزُّوان واحزموه حُزمًا ليُحرَق، وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني». وقد شرح الرب لنا هذا المثل فقال: «الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان. والحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزوان هو بنو الشرير. والعدو الذي زرعه هو إبليس. والحصاد هو انقضاء العالم. والحصَّادون هم الملائكة. فكما يُجمع الزوان ويُحرق بالنار، هكذا يكون في انقضاء هذا العالم: يُرسلُ ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم. مَنْ له أُذنان للسمع، فليسمع» (مت ١٣: ٣٦-٤٣).

وتفسير المسيح للمثل واضح لا يدع مجالاً للشك. فالحقل ليس الكنيسة بل العالم كله، فيه زرع جيد هو بنو الملكوت الذين آمنوا بالمسيح وبكلمة الملكوت وأعلنوا مُلك وسيادة الله وكلمته على حياتهم. هذا الزرع الجيد زرعه ابن الإنسان (الرب يسوع المسيح) بل إن الله من البداية زرع زرعًا جيدًا إذ خلق الإنسان على صورته. إلا أن إبليس (العدو) زرع الزوان في قلب الإنسان الأول (آدم وحواء) وإن كان الله مازال يزرع حنطة في عالمه، لكن العدو يزرع زوانًا في حقل ليس ملكه، فعلى الرغم من انتشار الشر ونمو الزوان مع الحنطة، لكن مازال العالم هو حقل الله. نعم يحاول إبليس أن يُفسد الزرع الجيد أو يقلعه، لكنه لن يستطيع. لن يستطيع أن يُبيد الكنيسة، إنه يحاول جاهدًا تعطيل نموها من خلال مقاومته المستمرة كالزوان الذي يحاول أن يخنق الحنطة. إن إبليس في خداع وتضليل «فيما الناس نيام» يزرع الزوان في كل مكان في الحقل، في كل بقعة من العالم.

ويقول الرب يسوع إن الحنطة والزوان ينميان معًا، فلا يمكننا قلع الزوان أو استئصال الشر والأشرار، فالله يسمح للخير والشر أن يسيرا معًا في العالم، أي أن تنتشر رسالة الملكوت ويمتد الملكوت وفي ذات الوقت يمتد الشر.

يحاول إبليس أن يقلع بني الملكوت لكنه لن يستطيع، لكن الله لا يشاء أن يقلع الزوان الآن، فهو لا يشاء أن يُهلك أناسًا بل أن يقبل الجميع إلى التوبة. كما أن الله لا يشاء أن يرفع الكنيسة من العالم الآن حتى تستمر تزرع بذار الملكوت. لذلك فالحنطة والزوان ينميان معًا ولكن ليس إلى الأبد، بل إن هناك يومًا محددًا للحصاد النهائي والدينونة. ويوم الحصاد النهائي هو يوم الفصل النهائي، الرب يُرسل ملائكته ليجمعون من ملكوته كل بني الشرير وفاعلي الإثم والمعاثر ليطرحهم في أتون النار «البحيرة المتقدة بالنار والكبريت» هناك يكون البكاء وصرير الأسنان تعبيرًا عن الندم وفقدان الأمل. وفي ذات اليوم يجمع الرب مختاريه من الأرض حيث سيضيء بنو الملكوت كالشمس في ملكوت أبيهم، بعد أن كانوا مخفيين ومختلطين ببني الشرير وأبناء الظلمة، لكنهم في المجيء الثاني يُجمعون إلى بيت أبيهم وملكهم ويضيئون كالشمس.

والأصحاح الخامس والعشرون من بشارة متى كله يدور حول الدينونة، إذ يُنهي المسيح مثله الأول عن العذارى العشر، بأولئك الجاهلات خارج الباب (الأعداد ١١-١٢). كما أنه خَتَم مثل الوزنات بالعبد الشرير وهم يطرحونه في

الظلمة الخارجية (عدد٣٠). ثم عقَّب المسيح على المثلين بشرح تفصيلي لأحداث يوم الدينونة: «**ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميِّز بعضهم من بعض كما يميِّز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف على يمينه والجداء على اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رِثوا الملكوت المُعدَّ لكم منذ تأسيس العالم**» (٣١-٣٤). وواضح أن المسيح أشار إلى أن وقت الدينونة «عندما يأتي ابن الإنسان في مجده». ويجتمع أمامه جميع الشعوب، والتعبير «جميع الشعوب» واضح أنه يشمل اليهود وغير اليهود، وهو يوازي التعبير الذي استخدمه المسيح في تكليف تلاميذه بالمأمورية العُظمى: «**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم**» (مت ٢٨: ١٩). وعندما يأتي ابن الإنسان في مجده ويجتمع أمامه الجميع يبدأ يفصل ويميِّز بعضهم عن بعض في فريقين: الخراف والجداء. والخراف هم الذين سمعوا صوته وتبعوه وقد أعطاهم حياة أبدية وضمانًا أبديًا (يو١٠: ٢٧-٣٠). أما الجداء فهم الذين رفضوا الإيمان به «**فيمضي هؤلاء – الجداء – إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية**» (عدد ٤٦). قارن (يو ٥: ٢٩، رؤ ٢٠: ١٠-١٤).

وقد أكدَّ البشير لوقا كاتب سفر الأعمال حقيقة أن الله حدَّد يومًا واحدًا للدينونة فقال: «**فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا، متغاضيًا عن أزمنة الجهل. لأنه أقام يومًا هو مزمع فيه أن يدين المسكونة بالعدل، برجل قد عيَّنه، مُقدِّمًا للجميع إيمانًا إذ أقامه من الأموات**» (أع ١٧: ٣٠-٣١). والقيامة العامة أو الدينونة هي استكمال لعمل بدأه الله في الماضي حين آمن به البعض وصاروا من خرافه، فقاموا قيامة روحية من موت الخطية (القيامة الأولى) فالقيامة العامة بالنسبة لهم هي تعميق للحياة الأبدية واستمرار لها. أما بالنسبة للأشرار فالقيامة العامة هي استكمال للدينونة بسبب رفضهم (يو ٣: ١٩-٢٠).

(ج) يوم الدينونة هو يوم نهاية العالم

أشار يوحنا في إنجيله إلى هذه الحقيقة (٦: ٣٩-٤٠، ٤٤،٥٤). وفي سفر الرؤيا أشار عدة مرات إلى أن يوم الدينونة هو اليوم الذي فيه ينتهي العالم، ثم تأتي السماء الجديدة والأرض الجديدة (رؤ٢٠: ١١، ٢١: ١-٥).

(د) أساس الدينونة هو سفر الحياة.

رأى يوحنا أسفارًا قد فُتحت، استطاع أن يميز منها أهمها وهو «سفر الحياة» الذي هو أساس الدينونة: «**وانفتحت أسفار، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودِينَ الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم... وكل مَنْ لم يوجد مكتوبًا في سفر الحياة طُرِحَ في بحيرة النار**» (رؤ٢٠: ١٢، ١٥). فكل من آمن بالمسيح وكُتِبَ اسمه في سفر الحياة ينال الحياة الأبدية، أما كل من لم يوجد مكتوبًا في سفر الحياة طُرِحَ في بحيرة النار. إلا أننا نفاجئ بقوله: «**ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم**». ويعلِّق نورمان نودمان[١٢٤] بالقول: «أساس الدينونة ما هو مكتوب في الأسفار. إن أسماء البعض قد سُجلت من قبل في «سفر الحياة» وهم الذين ينتمون للحمل (رؤ١٣: ٨). أما قوله «بحسب أعمالهم» فلا شك أن هناك تعليمًا عامًا شائعًا في العهد الجديد أيضًا أننا قد خلصنا بالنعمة وليس بالأعمال

(أف ٢: ٨-١٠). والإجابة بالطبع هي أن «أعمالنا» أو «تصرفاتنا» هي المحك أو المقياس الذي يحدد ما إذا كان خلاصنا بالنعمة، خلاصًا حقيقيًا وصادقًا أم لا. إن ربنا يسوع نفسه يصف مظهر هذا الخلاص في متى ١٢: ٣٣-٣٧ بأنه لو جُعلت الشجرة جيدة «بمعنى لو أن تجديدًا قد حدث» فعندئذ يكون «الثمر جيدًا» لأن «من ثمارهم» يمكن القول إن كانت الشجرة قد صارت جيدة أم لا.

ويتابع قائلاً: هناك وجه آخر لهذه الدينونة النهائية وهو أن «الموت والهاوية» قد طُرحا في بحيرة النار بمعنى أنهما قد دُمرا تمامًا. والهاوية لا تعني «الجحيم» لكنها تشير إلى عالم الأموات. وتعبير «الموت» (عدد ١٤) يشير إلى الانفصال بين الجسد والروح (الموت الجسدي) وهو لن يكون فيما بعد. ومن ثم فإن الهاوية لن يكون لها وجود فيما بعد. لذلك فإن هذا الجزء ينتهي بإشارة إلى الانفصال الحاد والقاطع الذي سوف يحدث في النهاية».

إن الكل سوف يقفون معًا أمام كرسي المسيح (٢كو ٥: ١٠) قارن (١كو ١٥: ٢٦، يو ٦: ٣٩-٤٠، ٥٤،٤٤).

إذًا هناك يوم واحد للدينونة، في ذلك اليوم يُكافئ الأبرار ويُعاقب الأشرار. وقد لُقِّبَ ذلك بكرسي المسيح، العرش الأبيض العظيم، الدينونة، يوم الدينونة، واليوم. وكلها إشارات لذات المعنى الواحد. وفي كل مرة تُذكر الدينونة يظهر سلطان وعظمة الله، وأحيانًا يُشار إلى أن الآب هو الذي سيدين وأحيانًا أُخرى يُشار إلى الله الابن كمن سيدين العالم، والحقيقة أن الآب هو الذي سيدين من خلال الابن. فسيأتي الوقت الذي فيه يجلس المسيح كقاضي على كرسيه ليدين الأحياء والأموات، عندها يصرخ الخطاة: للجبال والصخور: «**اسقطي علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف، لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم، ومَنْ يستطيع الوقوف؟**» (رؤ ٦: ١٦-١٧).

وإن كان يوم الدينونة يوم غضب وعقاب للأشرار، فهو يوم مكافأة للمؤمنين (٢كو ٥: ١٠، رؤ ١٤: ١٠). فسيكون هناك تقييم شامل لحياة كل مؤمن، وسينال الأمناء جزاء الميراث لأنهم يخدمون الرب المسيح (كو ٣: ٢٤). ونتيجة تقييم حياة المؤمن وأعماله سينال أو سيخسر المكافأة، ولكن إن احترق عمله، وخسر المكافأة، فإنه سيخلص «ولكن كما بنار» (١كو ٣: ١٠-١٥). والرب سيكافئ كل خدمة أمينة قُدمت بمحبة للمحتاجين، ويعتبرها الرب أنها موجهة له شخصيًا (مت ٢٥: ٢٥، ٣٦، ٤٠). وسيكافئ الرب المؤمنين الذين تألموا راحة ومجدًا، بل أنه يستخدم الآلام الحاضرة ليؤهلهم لملكوته ومجده (٢تس ١: ٤-٧).

وقد عبَّر العهد الجديد عن هذه المكافأة بالتعبير «إكليل البر» (٢تي٤: ٨) أو «إكليل الحياة» (يع ١: ١٢) (رؤ ٢: ١٠) و «إكليل المجد» (١بط ٥: ٤). هذا الإكليل أفضل من الأكاليل العالمية لأنه أبقى (١كو ٩: ٢٥). وتصل ذروة المكافأة في اكتمال الملكوت، إذ يقول الرب للخراف الذين عن اليمين: «**يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رِثوا الملكوت المُعدَّ لكم منذ تأسيس العالم**». هذا هو الميراث الأبدي الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، بل هو محفوظ في السماوات لأجلنا (١بط ١: ٤).

(٣) سماء جديدة وأرض جديدة

تابع يوحنا رؤيته بعد وصف أحداث الدينونة، فقال: «**ثم رأيت سماءً جديدة وأرضًا جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى قد مضتا، والبحر لا يوجد في ما بعد**» (رؤ ٢١: ١). وقد ورد تعبير «السموات والأرض» مقترنًا معًا في مواضع عديدة في الكتاب المقدس، من أهمها (تك ١: ١، مز١٠٢: ٢٥-٢٧، إش ٥١: ٦، ٦٥: ١٧، ٦٦: ٢٢، رو٨: ١٩-٢١، ٢بط٣: ٦-٧، ١٠، ١٣، رؤ٢٠: ١١). وكلمة «جديدة» هنا هي «كاينوس καινοσ» وليست «ناؤوس νεοσ». والأخيرة تشير إلى الجديد في الأصل والزمن، بينما «كاينوس καινοσ» المستخدمة هنا تشير إلى الجدة في الطبيعة والنوعية. فالتعبير «سماء جديدة وأرض جديدة» لا يعني أنها ستكون مختلفة تمامًا عن الأولى، لكنها هي نفس الخليقة بعد أن تُعتق من عبودية الفساد: «**لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ أُخضِعت الخليقة للبُطل – ليس طوعًا، بل من أجل الذي أخضعها – على الرجاء. لأن الخليقة نفسها ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله**» (رو ٨: ١٩-٢١). فالأرض التي لُعنت بسبب الخطية، ستزول عنها اللعنة. والمستقبل المجيد الذي ننتظره بمجيء المسيح ثانية سيكون مجيدًا أيضًا لكل الخليقة، وهو ما يتضح من ترنيمة الأربعة والعشرين شيخًا: «**أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت**» (رؤ ٤: ١١).

فالقول «سماء جديدة وأرض جديدة» تعبير إسخاتولوجي (أُخروي) يصف حالة الكمال الأخيرة للكون المخلوق، والرب هو الذي سيخلق السماء الجديدة والأرض الجديدة التي يسكن فيها البر. وهذا الحدث سيتم في يوم مجيء المسيح الثاني، إذ يستخدم الرب كوارث طبيعية لا لإفناء الخليقة بل لتنقيتها (مر١٣: ٢٤-٢٧، ٢بط ٣: ٣-١٣)[١٢٥].

ويربط الرائي السموات الجديدة والأرض الجديدة بأورشليم الجديدة (رؤ ٢١: ١-٢٢: ٥). وأورشليم الجديدة أو المدينة المقدسة هي: «**مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعبًا، والله نفسه يكون معهم إلهًا لهم**» (رؤ ٢١: ٣). وهو هنا يُصوِّر شعب الله على أنهم مواطنو المدينة السماوية، أورشليم الجديدة. ويصور حال شعب الله في الأبدية بالقول: «**وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حُزنٌ ولا صُراخ ولا وجع في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت**» (رؤ ٢١: ٤). والفعل «مضت» المستخدم عن تجديد السماء والأرض هو نفسه الذي يستخدمه الرسول بولس عن تجديد الفرد: «**إذًا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة: الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا**» (٢كو ٥: ١٧). فعندما يتحدث بولس عن المؤمن كخليقة جديدة في المسيح لا يعني أن شخصيته القديمة قد أُلغيت، بل صارت جديدة في المسيح، وهكذا السموات والأرض. فنحن نؤمن أن تجديدًا شاملاً سيحدث في المجيء الثاني.

ويصف الرائي (رؤ ٢١: ٩-٢١) المدينة المقدسة بالتفصيل، ويصف في عبارات رمزية ما ستكون عليه حالة مواطني هذه المدينة، إذ يصفهم بأنهم «العروس امرأة الحمل» وهو امتياز عظيم يُمنح لأُناس غير مستحقين، إذ يُرفعون إلى مثل هذه المكانة السامية!

ثم يصف المدينة أن أبوابها تقع في جميع الاتجاهات دلالة على أن مواطني الملكوت يأتون من كل صوب وحدب، من كل الأمم والشعوب والألسنة. وتحمل أسوار المدينة أسماء الأسباط الاثني عشر وأسماء رسل الخروف الاثني عشر، فهذه المدينة تمثل ذروة عمل ونشاط الله في كل فترات العهدين القديم والجديد. وهذا يؤكد حقيقة أن ملكوت الله هو ملكوت واحد للجميع، لكل المؤمنين من زمن العهدين. وأن هناك مصيرًا واحدًا ومكانًا واحدًا للجميع. أما عن مقاييس المدينة فهذه تشير إلى أن كل جزء، كل سنتيمتر منها معروف لدى الله وواقع تحت عنايته. لذلك فكل أعضاء مدينة الله سيكونون أكثر سعادة. وهكذا يمكننا النظر إلى الجانب المستقبلي لملكوت الله على أنه يُعَد الذروة لِما يمكن أن يتمتع به المؤمن الحقيقي هنا والآن[١٢٦]. إذ عندما يأتي المسيح ثانية يكتمل الملكوت، ويتُوج بالنُصرة والمجد. وشجرة الحياة التي مُنِعَ الإنسان الأول من الوصول إليها (تك ٣ : ٢٢-٢٤) ستعود من جديد ويتحقق الوعد الإلهي للغالبين: «**مَنْ يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله**» (رؤ ٢: ٧). واللعنة التي حلت على الأرض بالسقوط (تك ٣: ١٤-١٥) ستزول «**لا تكون لعنة ما في ما بعد**» (رؤ ٢٢: ٣). والإنسان (آدم وحواء) الذي طُرِدَ من الجنة (تك ٣: ٢٢) لديهم «كل من يؤمن بالمسيح» الآن حرية الدخول إليها وإلى كل ثمرها (رؤ ٢٢: ٢). إن الرائي يتحدث هنا عن تكوين جديد، أو يتحدث عن الفردوس المردود بعد أن فُقِد بسبب السقوط في الخطية.

(٣) الحالة الأبدية

كلمة «أبدي» أو «أبدية» في اليونانية «αιωνιοσ أيونيوس» تدل على استمرار الزمن ودوامه. وقد اُستخدمت عن العهد الأبدي (تك ٩: ١٦، ١٧، إر٥٠: ٥) والبيت الأبدي (جا ١٢: ٥) والفرح الأبدي (إش ٣٥: ١٠) والخلاص الأبدي (إش ٤٥: ١٧) والملكوت الأبدي (دا ٤: ٣) والبر الأبدي (دا ٩: ٢٤) والحياة الأبدية (يو ٣: ١٦، ١٧: ٣). و«الحياة الأبدية» تعني أن كل من يؤمن بالمسيح يكون له نصيب في حياة الله الأبدي وليس فقط استمرار الحياة إلى ما لا نهاية. وسيتمتع الأبرار بالميراث الأبدي (عب ٩: ١٩) والمجد الأبدي (١تي ٣: ١٠، ١بط ٥: ١٠) والملكوت الأبدي (٢بط ١: ١١). فالله دعانا إلى شركة ابنه يسوع المسيح (١كو ١: ٩) ودعانا لنحيا حياة القداسة (١بط ١: ١٥). وإن كان قد وُهِبَ لنا لا أن نؤمن بالمسيح فقط بل أن نتألم لأجله (في ١: ٢٩) إلا أن هذه الآلام تمهيد للأمجاد السماوية «**إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه**» (رو ٨: ١٧). كما أن الله دعانا إلى مجده الأبدي، وملكوته الأبدي، فمن له شركة مع الله في ابنه يسوع المسيح، ويعيش حياة مقدسة، وإن تألم في الأرض، إلا أنه من المحتم أن يشترك ويتمتع بالمجد الأبدي.

وإن كان ما نعرفه الآن عن الأبدية محدود، نظرًا لمحدوديتنا لكننا هناك سنُعْرَف كما عُرِفنا (١كو١٣: ١٢). وستصل البهجة والسعادة إلى أوجها (رؤ ٢٢: ٤-٥).

يا له من مشهد بديع، ويا لها من سعادة لا نظير لها إذ سنكون كل حين مع الرب (١تس ٤: ١٨). فليكن لنا الشوق المقدس الذي يتجاوب مع قول الرب: «**أنا آتي سريعًا**» فنقول: «**آمين. تعال أيها الرب يسوع**» (رؤ ٢٢: ٢٠-٢١).

أما عن حال الأشرار فإنهم تنتظرهم «النار الأبدية» (مت ١٨: ٨، يه ٧) و«العذاب الأبدي» (مت ٢٥: ٤٦) و«الهلاك

الأبدي» (٢تس ١: ٩) والخطية الأبدية التي تستلزم «دينونة أبدية» (مر ٣: ٢٩). والكتاب المقدس يبين لنا أن النار الأبدية حالة ومكان، إذ يقول المسيح في مثل الغني ولعازر: **«فرفع – الغني – عينيه في الجحيم وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه.. وقال لإبراهيم أسألك إذًا يا أَبت أن تُرسله إلى بيت أبي، لأن لي خمسة أخوة، حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضًا إلى موضع العذاب هذا»** (لو ١٦: ١٩–٣١). وعبَّر الكتاب المقدس عن هذا المكان بكلمات مثل «الهاوية» و«الظلمة الخارجية» و«جهنم».

إلا أن الأقسى في وصف أبدية الأشرار هو حالتها أكثر من مكانها، إذ هي أول وقبل كل شيء الانفصال عن الله إلى الأبد، والنار التي لا تُطفأ والدود الذي لا يموت (مر ٩: ٤٣–٤٨). والندم وعذاب الضمير الذي لايتوقف ولا يهدأ، ألم يقل المسيح: **«فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية»** (مت٢٥: ٤٦).

عاشرًا: أي أُناس نحن؟

في إطار حديثه عن المجيء الثاني الحتمي والفجائي، سأل الرسول بطرس: «أي أناس يجب أن تكونوا أنتم؟» (٢بط ٣: ١١). وقصد منا أن نحدد موقفنا من المجيء الثاني. وهو يميز بين فئتين من الناس، يختلف موقف كل منهما تجاه المجيء الثاني.

أولاً: القوم المستهزئون (قوم التباطؤ)

«هذه أكتبها الآن رسالة ثانية أيها الأحباء، فيهما أُنهِضُ بالتذكرة ذهنكم النقي، لتذكروا الأقوال التي قالها سابقًا الأنبياء القديسون، ووصيتنا نحن الرسل، ووصية الرب والمخلص. عالمين هذا أولاً: أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون، سالكين بحسب شهوات أنفسهم، وقائلين: «أين هو موعد مجيئه؟ لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باق هكذا من بدء الخليقة». لأن هذا يخفى عليهم بإرادتهم: أن السماوات كانت منذ القديم، والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء، اللواتي بهنَّ العالم الكائن حينئذ فاض عليه الماء فهلك. وأما السماوات والأرض الكائنة الآن، فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة للنار إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار. ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يومًا واحدًا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد. لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يُهلك أناسًا، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر مُحترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيه» (٢بط ٣: ١–١٠).

واضح من هذه الآيات أن القوم الذين يشير إليهم يسخرون من حقيقة مجيء المسيح الثاني، ويعيشون حياة محورها نواتهم، فينغمسون في ملذاتهم ويسلكون بحسب شهوات أنفسهم، ويلهثون وراء رغباتهم. ومحور استهزائهم من حقيقة مجيء المسيح ما يلي:

(١) أين هو موعد مجيئه؟

وهذا سؤال استنكاري يقصدون به نفي حقيقة المجيء أصلاً. وكأنهم يقولون إن الوعد غير حقيقي ولن يتحقق، فهو

وعد وهمي لا يمكن الاعتماد عليه.

(٢) كل شيء باق من بدء الخليقة:

فهم يزعمون أن الكون ثابت من بدء الخليقة دون أي تغيير. وكأنهم يقولون إن هذه الأمور سمعنا عنها من جدودنا وآبائنا، وها نحن قد كبرنا ولم يتحقق شيء من كل هذه الوعود. هؤلاء يشبهون الناس في أيام نوح الذين «**لم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان**». ومثل العبد الرَّديّ الذي يقول في قلبه: «**سيدي يُبطئ قدومه**» (مت ٢٤: ٣٩، ٤٨).

ردود بطرس عليهم

قدَّم الرسول بطرس بعض الردود المنطقية والتاريخية على هذا الاستهزاء:

(١) رد من التاريخ:

قال بطرس: «**لأن هذا يخفى عليهم بإرادتهم: أن السماوات كانت منذ القديم، والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء، اللواتي بهنَّ العالم الكائن حينئذ فاض عليه الماء فهلك. وأما السماوات والأرض الكائنة الآن، فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها، محفوظة للنار إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار**». فهو يؤكد أن الكون لم يبق كما هو بلا تغيير من بدء الخليقة، لكن الله أخرب العالم بالطوفان في أيام نوح. وهلاك العالم بالطوفان مقدمة ودليل على حتمية هلاكه بالنار في اليوم الأخير. فكما أهلك الله العالم بقوة كلمته بالماء أيام نوح، فإن السماوات والأرض محفوظة بقوة كلمة الله أيضًا، للنار في يوم الدين وهلاك الناس الفجار.

(٢) نسبية الوقت:

قال الرسول: «**أن يومًا واحدًا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد**». فحساب الله للزمن يختلف تمامًا عن حساب البشر للزمن، فليس عند الله ماضٍ أو مستقبل بل كل الزمن حاضر أمام الله في ذات اللحظة، كما أن الله غير المحدود، الأزلي الأبدي لا ينظر للزمن نظرة محدودة كنظرتنا نحن، فهو يرى الوقت بأبعاد لا نعرفها نحن، فما نراه نحن أنه زمن طويل (آلاف السنين) هو في نظر الله كلا شيء، ويقول موسى في صلاته: «**لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عَبَرَ، وكهزيع من الليل**» (مز ٩٠: ٤) وقوله «بعد ما عبر» يقصد به أن الألف سنة لا تساوي أكثر من يوم عبر وانتهى، أو تساوي هزيع من الليل (ثلاث ساعات) وبالطبع لا يقصد الحرفية هنا لكن يقصد أن مقياس الله للزمن يختلف عن مقاييسنا نحن للزمن، ويقصد قِصَرْ حياة الإنسان. لذلك فإن الأخرويات هي أزمنة وأوقات جعلها الله في سلطانه، وليس من حقنا اقتحام هذا المجال ومحاولة تحديد موعد مجيئه، أو أن نظن أن وعده غير واقعي ولا يتحقق.

(٣) رد من طبيعة الله:

«**لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يُهلك أناسًا، بل أن يُقبل**

الجميع إلى التوبة». فالله أمين وله خطة ثابتة ولا يتباطأ عن تحقيق وعده وإنجاز خطته. لكنه يتأنى ويتمهل على البشر ليعطيهم فرصة تلو الأخرى للتوبة. إنه يؤجل قضاءه ودينونته، ولا يشاء أن يهلكَ أُناسٌ بل أن يتوب الكل. أنه لا يسكت على الخطية، لكنه من فرط محبته للخاطي يتمهل عليه. فما يظهر للناس أنه تباطؤ من الرب هو في الحقيقة تأنٍ ونعمة من الرب حتى لا يُهلك الناس.

(٤) وعد المسيح:

«ولكن سيأتي كلص في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر مُحترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها» (قارن مت ٢٤ :٤٢-٤٣). فالمسيح سيأتي حتمًا، وبشكل مفاجئ لا يعرفه أحد ولا يتوقع أحد موعد مجيئه.

ثانيًا: جماعة المؤمنين المنتظرين

«فبما أن هذه كلها تنحل، أي أُناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة، وأرضًا جديدة، يسكن فيها البر.

لذلك أيها الأحباء، إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوُجدوا عنده بلا دنس ولا عيب، في سلام. واحسبوا أناة ربنا خلاصًا، كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضًا بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضًا، متكلمًا فيها عن هذه الأمور، التي فيها أشياء عسرة الفهم، يُحرِّفها غير العلماء وغير الثابتين، كباقي الكتب أيضًا، لهلاك أنفسهم.

فأنتم أيها الأحباء، إذ سبقتم فعرفتم احترسوا من تنقادوا بضلال الأردياء، فتسقطوا من ثباتكم. ولكن انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. له المجد الآن وإلى يوم الدهر. آمين» (٢بط٣: ١١-١٨).

هذه الجماعة تشبه العبد الأمين الحكيم (مت ٢٤: ٤٥-٤٧). والرسول هنا يخاطب هذه الجماعة قائلاً: بما أن العالم سينتهي في يوم الدين، أي حيث أن المجيء الثاني حقيقة حتمية لا شك في حدوثها في يوم ما، إذن ما هو موقفكم أنتم من هذا الحدث؟ ويجيب أن موقفكم كمؤمنين يجب أن يكون:

(١) حياة طاهرة

تسلكوا في سيرة مقدسة وتقوى، أن تعيشوا حياة طاهرة وتكريس وفرز وتخصيص لله، حياة تنمو وتتقدم في الإيمان والتكريس اليومي، والسعي الدائم نحو الكمال، ومشابهة صورة المسيح.

(٢) حياة مُنتَظِرة

يجب أن يكون المؤمنون «**منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب**». والكلمتان «**منتظرين وطالبين**» هنا تصفان حالة

إنسان يتوقع الحدث ويتعلق به، لذلك فهو ينتظره بشغف ويقين في حدوثه.

(٣) ثقة في وعد الرب اليقيني

«**ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة، وأرضًا جديدة، يسكن فيها البر**». فالمؤمن الحقيقي لا يشك مطلقًا في وعد الرب، إنه يحب الرب ويصدق وعوده. وبحسب وعد الرب لنا كمؤمنين ننتظر سماوات جديدة، وأرضًا جديدة يسكن فيها البر.

(٤) حياة جهاد

• جهاد أن يعيشوا بلا دنس ولا عيب، في سلام: أي أن يكونوا بلا عيب أمام الله، كالذبائح الصحيحة التي تصلح للتقديم لله ويقبلها. وأن يعملوا لإرساء دعائم السلام في الأسرة والكنيسة والمجتمع، وأن يكونوا في سلام من جهة مستقبلهم الأبدي.

• جهاد في الخدمة الأمينة لله: فالمسيح يتأنى في مجيئه ليعطي للناس فرصة للتوبة والخلاص، وليعطي للكنيسة أيضًا فرصة أن تنشط وتقود الناس إلى التوبة. فلابد كما أشرنا في علامات المجيء أن تصل البشارة إلى كل المسكونة ثم يأتي المنتهى.

(٥) الثبات والنمو

«انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. له المجد الآن وإلى يوم الدهر. آمين». فهو يحفز المؤمنين للنمو الدائم في التعليم الكتابي، وهو ما يؤهلهم للنمو في النعمة ومعرفة المسيح بعمق، وهو ما يقيهم من تعاليم وضلال الأردياء.

هوامش الباب الثالث

٧٦- اسطفانوس زكي، **المجيء الثاني والرجاء المبارك**، (القاهرة: سنودس النيل الإنجيلي، ١٩٩٩)، ص ١١.

٧٧- مكرم نجيب، **قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح**، ص.٦٢.

٧٨- رالف إدوارد دودرف، **الاختطاف السري هل هو حقيقة كتابية؟**، ترجمة: القس حمدي سعد، (القاهرة: الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، ٢٠٠٠م).

٧٩- حمدي سعد، **أشهر النبوات**، ص. ١٤١.

٨٠- مكرم نجيب، **قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح**، ص.٧٤- ٧٩.

٨١- عزت شاكر، **المُلك الألفي**، (القاهرة: مجلس العمل الرعوي والكرازي بسنودس النيل الإنجيلي، ٢٠٠٢)، ص.١٣-٢٠.

٨٢- اسطفانوس زكي، **المجيء الثاني والرجاء المبارك**، ص.٢٢-٢٩.

٨٣- عزت شاكر، **المُلك الألفي**.

٨٤- إكرام لمعي، **الاختراق الصهيوني للمسيحية**، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١م)، ص. ١٨٥-٢٠٨.

٨٥- عزت شاكر، **المُلك الألفي**.

٨٦- إكرام لمعي، **الاختراق الصهيوني للمسيحية**.

٨٧- حليم إبراهيم أرسناوي، **صدى النبوات في الماضي في الحاضر في المستقبل**، (بيروت، ط٢، ١٩٨١) ص ١٣٨-١٦٣.

٨٨- عزت شاكر، **الكنائس السبع وقضايا العصر**، (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٢) ص. ٢٣-٢٧.

٨٩- ارجع إلى نبوات ورؤى الجزء الأول الباب الأول، الفصل الثاني للمؤلف.

٩٠- عبد المسيح اسطفانوس، **محاضرات غير منشورة**.

٩١- مكرم نجيب، **قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح**، ص. ٨٤-٨٥.

٩٢- حليم إبراهيم أرسناوي، **صدى النبوات في الماضي في الحاضر في المستقبل**. ص١١٢- ١١٨.

٩٣- زكريا استاورو، **أساسيات مسيحية**، (القاهرة: مكتبة الأخوة، ٢٠٠١)، ص. ١٥٧-١٧١.

٩٤- عبد المسيح اسطفانوس، **محاضرات غير منشورة**.

٩٥- حليم إبراهيم أرسناوي، **صدى النبوات** في الماضي في الحاضر في المستقبل ص ٢٥٦- ٢٦٤

٩٦- زكريا استاورو، د. **أساسيات مسيحية**.

٩٧- حليم إبراهيم أرسناوي، صدى النبوات، ص.٢٧٨- ٤٦٨.

٩٨- حمدي سعد، **أشهر النبوات**، ص. ١٣٠

٩٩- حليم إبراهيم أرسناوي، **صدى النبوات**، ص. ٢١٦، ٢٢٢، ٣٠١.

١٠٠- إكرام لمعي، **هل يملك المسيح على الأرض؟**، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٧)، ص١٢-١٣.

١٠١- إكرام لمعي هل يملك المسيح على الأرض، ص. ٣٨-٣٩.

١٠٢- وليم هندركسن، **أعظم من منتصرين**، ترجمة: الشيخ فايز فضيل، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٧)،

١٠٣- إكرام لمعي، **هل يملك المسيح على الأرض؟**، ص٤٢-٤٥.

١٠٤- ليون موريس. **التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، الرؤيا**. ترجمة: شوقي غطاس، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٦) ص، ٢٥٤-٢٥٦،

١٠٥- مايكل ولكوك، **الكتاب المقدس يتحدث اليوم، سفر الرؤيا**، ترجمة: القس جاد المنفلوطي، (القاهرة: دار النشر الأسقفية، ١٩٩٨)، ص. ٢٣٩-٢٤٠.

١٠٦- رالف إدوارد دودرف، **الاختطاف السري هل هو حقيقة كتابية؟**، ص٥٥-٥٨

١٠٧- عزت شاكر، **الكنائس السبع وقضايا العصر**، ص، ١١٣-١١٦.

١٠٨- فهيم عزيز، **الفكر اللاهوتي في كتابات بولس**، ص٤١٣.

١٠٩- مكرم نجيب، **المنظور المسيحي للتاريخ: تسالونيكي الثانية**، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٦م)، ص.٦١.

١١٠- حمدي سعد، **أشهر النبوات**،

١١١- مكرم نجيب، **المنظور المسيحي للتاريخ، تسالونيكي الثانية**، ص. ٦٤.

١١٢- حمدي سعد، **أشهر النبوات**، ص. ١٦٩.

١١٣- فهيم عزيز، **الفكر اللاهوتي في كتابات بولس**، ص. ٤١٦.

١١٤-مكرم نجيب، **المنظور المسيحي للتاريخ: تسالونيكي الثانية**، ص. ٧٤-٧٥.

١١٥- مكرم نجيب، **المنظور المسيحي للتاريخ: تسالونيكي الثانية**، ص. ٧٨-٨٠.

١١٦- فهيم عزيز، **الفكر اللاهوتي في كتابات بولس**، ص. ٤١٩.

١١٧- مكرم نجيب، **المنظور المسيحي للتاريخ: تسالونيكي الثانية**، ص. ٨٦.

١١٨- مكرم نجيب، **الكنيسة والإنجيل: تسالونيكي الأولى**، (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٠م)،

١١٩- حمدي سعد، **أشهر النبوات**، ص. ١٤٩-١٥٤.

١٢٠- مايكل ولكوك، **الكتاب المقدس يتحدث اليوم: سفر الرؤيا**، ص. ٢٣٧-٢٣٨.

١٢١- ليون موريس، **التفسير الحديث للكتاب المقدس: العهد الجديد، الرؤيا**.

١٢٢- وليم هندركسن، **أعظم من متصرين**، ص. ١٨١.

١٢٣- للمزيد حول هذه الموضوع اقرأ كتاب الاختطاف السري هل هو حقيقة كتابية؟ المشار إليه في قائمة المراجع.

١٢٤- نورمان نودمان، **سفر الرؤيا: دراسة كتابية تأملية أو ما وراء الأحداث**، ترجمة: عبد الكريم كيرلس، (القاهرة: الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، ١٩٩٧م) ص.١١٣-١١٤.

١٢٥- حمدي سعد، **أشهر النبوات** ص. ١٧٩-١٨١.

١٢٦- نورمان نودمان، **سفر الرؤيا: دراسة كتابية تأملية أو ما وراء الأحداث**، ص.١١٧-١٢١.

قائمة المراجع

* استاورو، زكريا. **أساسيات مسيحية**. القاهرة: مكتبة الأخوة، سنة ٢٠٠١.

* المسكين، متى. **المسيح والمسيا**. القاهرة: دار مجلة مرقس، ١٩٩٣.

* حليم إبراهيم أرسناوي. **صدى النبوات في الماضي في الحاضر في المستقبل**. بيروت، ط٢ سنة ١٩٨١.

* **دائرة المعارف الكتابية**. ج٤. المحرر: وليم وهبه بباوي. القاهرة: دار الثقافة، سنة ١٩٩٢.

* نودمان، نورمان. **سفر الرؤيا – دراسة كتابية تأملية أو ما وراء الأحداث**. ترجمة: القس عبد الكريم كيرلس. القاهرة: الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، ١٩٩٧م.

* رالف إدوارد دوبرف. **الاختطاف السري هل هو حقيقة كتابية؟** ترجمة القس حمدي سعد. القاهرة: الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، سنة ٢٠٠٠م.

* زكي، اسطفانوس. **المجيء الثاني والرجاء المبارك**. القاهرة: سنودس النيل الإنجيلي، سنة ١٩٩٩.

* سعد، حمدي. **أشهر النبوات**. القاهرة: دار الثقافة، سنة ١٩٩٨.

* شاكر، عزت. **كنيسة بلا أسوار**. القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة، سنة ٢٠٠٠.

* شاكر، عزت. **المُلك الألفي**. القاهرة: مجلس العمل الرعوي والكرازي بسنودس النيل الإنجيلي، سنة ٢٠٠٢.

* شاكر، عزت. **الكنائس السبع وقضايا العصر**.القاهرة: دار الثقافة، سنة ٢٠٠٢ .

* عزيز، فهيم. **الفكر اللاهوتي في كتابات بولس**. القاهرة: دار الثقافة، سنة ١٩٨١.

* عزيز، فهيم. **ملكوت الله**. القاهرة: دار الثقافة، سنة ١٩٨٨.

* فوش، جرهاردوش. **علم اللاهوت الكتابي**. ترجمة: د. عزت زكي. القاهرة: دار الثقافة، سنة ١٩٧٧.

* لمعي، إكرام. **الاختراق الصهيوني للمسيحية**. القاهرة: دار الشروق، سنة ١٩٩١م.

* لمعي، إكرام. **هل يملك المسيح على الأرض؟** القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٧.

* موريس، ليون. **التفسير الحديث للكتاب المقدس – العهد الجديد – الرؤيا**. ترجمة: شوقي غطاس. القاهرة: دار الثقافة، سنة ١٩٩٦.

* نجيب، مكرم. **قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح**. القاهرة: دار الثقافة، سنة ٢٠٠٢.

* نجيب، مكرم. **المنظور المسيحي للتاريخ ـ تسالونيكي الثانية**. القاهرة: دار الثقافة، سنة ١٩٩٦م.

* نجيب، مكرم. **الكنيسة والإنجيل– تسالونيكي الأولى**. القاهرة: دار الثقافة، سنة ٢٠٠٠م.

* نعيم، محسن. **نبوات ورؤى ج ١**. القاهرة: دار الثقافة، سنة ٢٠٠٥.

* هندركسن، وليم. **أعظم من منتصرين**. ترجمة: الشيخ فايز فضيل. القاهرة: دار الثقافة، سنة ١٩٨٧.

* ولكوك، مايكل. **الكتاب المقدس يتحدث اليوم – سفر الرؤيا**. ترجمة: القس جاد المنفلوطي. القاهرة: دار النشر الأسقفية، سنة ١٩٩٨.

* Barton, John. **Postexilix Hebrew Prophecy- The Anchor Bible Dictionary. Vol; 5 O- sh.** Editor – in chief-: David Noel Freedman. AB.B 1992.
* Craigie. P. C. **Israel and Prophecy- The New Evangelical Dictionary of Theology.** Edited by: Walter A. Elwell. Michigan: Baker book house, 1984.
* George W. E Nichlsburg. **Eschatology (Early Jewish)- The Anchor Bible Dictionary. Vol; 2 D- G.** Editor – in chief-: David Noel Freedman. AB.B 1992.
* Kidner, Derek. **New Bible Commentary 21 St. Century Edition.** Editor: D.A.Carson. U.S.A.: Inter – varsity press. 2000.
* Moltmann, Jurgen. **Theology of Hope** . London: SCM Press LTd 1967 .
* Peterson, David L. **Eschatology- Old Testament. The Anchor Bible Dictionary. Vol; 2 D- G.** Editor – in chief-: David Noel Freedman. AB.B 1992.
* Schmitt, John J. **Preexilic Hebrew Prophecy- The Anchor Bible Dictionary. Vol; 5 O- sh.** Editor – in chief-: David Noel Freedman. AB.B 1992.
* Thomas, Gordan J. **Eschatology in Bible and Theology.** Edited by: Kent E. Brower and Mark W. Elliott. U.K: Inter Varsity Press. 1999.
* **Early Christian Eschatology. The Anchor Bible Dictionary. Vol; 2 D- G.** Editor – in chief-: David Noel Freedman. AB.B 1992.

× هل حقًا تنبأ موسى عن مجيء يسوع؟

× هل تحدثت النبوات الكتابية عن دولة إسرائيل الحالية؟

× كيف يمكنني الآن أن أفهم نبوة مكتوبة منذ أكثر من ٢٥٠٠ عام؟

× ما الفرق بين النبوات والرؤى؟

× هل حقًا يتكلم الله لنا من خلال هذه النبوات والرؤى؟

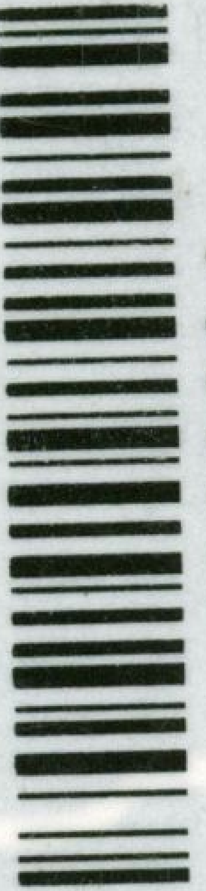
× كيف أستطيع أن أفهم النبوة في بعدها التاريخي والنبوي؟

× هل الصراعات والحروب القامة حاليًا مذكورة في الكتاب المقدس؟

هذه نماذج للعديد من التساؤلات التي كثيرًا ما تجول بخاطرنا عندما نحاول التعمق في عالم نبوات ورؤى الكتاب المقدس. وربما تظل الكثير من هذه التساؤلات حائرة لا تلقى إجابة مرضية.

ومن هذا المنطلق اهتم الكاتب بدراسة نبوات ورؤى الكتاب المقدس دراسة متعمقة ووافية، لكي يقدم لنا تحليلاً وتفسيرًا شاملاً لكل النبوات والرؤى الكتابية. وهو يتناولها من حيث سياقها وبعدها التاريخي وكذلك بعدها النبوي.

وقد بذل الكاتب قصارى جهده حتى ينجز هذه الدراسة في أفضل صورة ممكنة وذلك بالاعتماد على معونة روح الله والرجوع إلى عدد هائل من المراجع و الدراسات الكتابية الثمينة.



دار الثقافة

١٠١٠٤١١٨